يطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية
الجزء الأول من موسوعة :

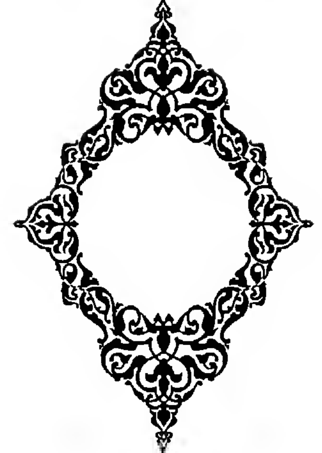
رجال ونساء

أنزل الله فيهم قرآنا

الدكتور عبد الرحمن عميرة

دار الحرم للتراث

45 سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
ت : 5916021



رجال ونساء

أنزل الله فيهم قرآنا

اســــــم الكتاب : رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا

اســــــم المؤلف : د/عبدالرحمن عميرة

الناشــــــــــر : دار الحرم للتراث

العنــــــــوان : ٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة

التليفــــــــون : ٥٩١٦٠٢١ - ٠١٠٥٦٢٤٥٨١ - ٠١٠١٥٣٢١٤٥

رقـــــم المجلد : الأول

رقـــــم الإيداع : ٢٠٠٥/١٨٠٠٣

الترقـــيم الدولي : ٧-٢٤-٦٠٣٨-٩٧٧

تجهيزات الكمبيوتر : H 4 للكمبيوتر ٠١٠٦٦٧٤٣٣٥

تصميـم الغـلاف : ياسر فوده ٠١٢١٦٨٤٥٠٦



الطبعـــة الأولى
ينـــاير / ٢٠٠٦

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين النبى الأمى الأمين وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد.

كان من توفيق الله سبحانه وتعالى أن أعاننا بفيض من عنده لنقدم للأمة الإسلامية نخبة من هؤلاء الرجال والنساء الذين أنزل الله فيهم قرآنًا

ولقد كان الهدف إخراج هذه السلسلة هو ربط المسلمين فى القرن الحادى والعشرين بكتاب ربهم.

وذلك لإيماننا الجازم أن كتاب الله ـ هو العلاج الناجح لكل ما تعانيه البشرية من أوجاع ـ فهو فضلاً عن أنه نور وهداية يعتبر المنهج الأمثل والدستور الخالد الذى يرشد البشرية إلى الخير فى عاجل دنياها وآجل أخراها.

إن القرآن الكريم جاء من عند الله سبحانه وتعالى ليكون للبشرية ـ كل البشرية المنهج الذى يجب أن تلتزمه فى حياتها وتسير على مبادئه فى كل أمورها.

وقد التزم الجيل الأول جيل الصحابة والتابعين ـ ومن بعدهم السلف الصالح بما كان يمليه عليهم هذا الكتاب. فماذا كانت النتيجة..؟

لا ينكر منصف فى الشرق والغرب أنهم أصبحوا به سادة وقادة ـ سادة تتلمذت على أيديهم الدنيا فى كل شئون الحياة.

وقادة إنقادت لهم البشرية وتابعتهم فى الإيمان بكلمة التوحيد ثم عاشوا

حياتهم على ظهر الأرض قادة ومعلمين.

ويطيب لنا أن نقدم فى هذه الموسوعة بعض النماذج من هؤلاء الرجال.

منهم القائد العملاق: عتبة بن أبى بصير الفدائى المؤمن والحابى الذى آمن إيمانًا يزيد ولا ينقص، ويقوى ولا يضعف. أن النصر على الفئة الباغية لن يتحقق بقوة السلاح، ولن يأتى بكثرة الجنود، ولن يكون بصلابة القلاع والحصون.

وكل هذه الأشياء عوامل لابد منها للجيش المقاتل. ولا يصح إغفالها بحال من الأحوال ولكنها ليست سببًا للنصر.

وإنما يأتى النصر من عند الله تعالى.

قال فى محكم كتابه ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(١).

فقد يكون المسلمون ضعفاء فى قوة السلاح ـ وفى غير استعداد كامل. ومع ذلك يحققون النصر.

وقد يكون المسلمون أقوياء أكثر عددًا وعدة ومع ذلك لا يحققون النصر وينهزمون. قال الله تعالى.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(٢).

نقدم فى هذه الموسوعة ـ البراء بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ الصحابى المتبتل فى محراب الله.

والفدائى المقاتل الشهيد.

فهو فارس من فرسان مدرسة النبوة.

وعملاق من عمالقة الإسلام.

(١) سورة آل عمران آية ١٢٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٢٥.

وشهيد نال الشهادة وحظى بها وهو على صهوة فرسه.

ومسلم عرف الإيمان طريقه إلى قلبه مبكرًا فأضاء على ما حوله نورًا وبهاء.

قال عنه الرسول - ﷺ.

«رُبَّ أشعس أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله تعالى لأبر قسمه منهم «البراء بن مالك»».

نقدم فى هذه الموسو الحسين بن على بن أبى طالب. رضي الله عنه.

الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول - ﷺ.

الحسين الذى قال عنه الرسول ﷺ:

«حسين منى وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينًا».

الحسين الذى شهد مقتل أبيه على بن أبى طالب بيد آثمة وشهد مقتل أخيه الحسن عن طريق امرأة فاجرة.

وعاش يتيماً محروماً بعد وفاة أمه فاطمة الزهراء. نبع الحنان والعطف والمواساة والحب.

يقول عنه أخوه الحسن رضي الله عنه.

«إنى أحدثكم عن أحب الناس إلى قلبى. وأقربهم إلى نفسى وأصفاهم قلباً وقالباً. أخبركم عن أخ لى هو - والحق يقال - من أعظم الناس فى عينى وكان أعظم ما عظَّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينيه.

لقد كان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشترى مالا يجد، ولا يكثر إن وجد. وكان خارجاً عن سلطان فرجه فلا يستخف له عقل، ولا تسقط له راية. يسأله والده الإمام على رضي الله عنه قائلاً: يا بنى ما السداد..؟

فقال: يا أبة السداد دفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف..؟

قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

قال: فما السماحة..؟

قال: البذل فى العسر واليسر.

رحم الله الشهيد الحسين وأسكنه فسيح جناته.

نقدم الصحابى الجليل أبا هريرة: عبد الرحمن بن صخر - صاحب العين الفاحصة والأذن اللاقطة.

صاحب السماحة الوافية، والبسمة الحانية، والخلق الجم.

لم يعرف طول حياته هُجّر القول ولافُحْش الكلام، وكيف لا يكون كذلك وهو صاحب رسول الله ﷺ، ورفيقه فى حله وترحاله أبو هريرة: استطاع بعقليته اللماحة وذهنه المتقد أن وعى وجمع سنة الرسول ﷺ التى كانت للبشرية تشريعاً ودستوراً ونوراً وهداية. من ذلك الحديث الذى رواه عن رسول الله ﷺ عن فساد الزمان وعلامته.

وكان هدفنا من تأليف هذه الموسوعة:

١ - ايقاظ الأمة الإسلامية من غفوتها وأن تعود إلى سابق عزها ومجدهاوتخرّج رجالاً أصحاب عقل وحكمة. وتربى أمة من الأمم. لتحمل هذا الدين مرة أخرى إلى البشرية كلها.

ويكون كتاب الله قائداً لها يوجهها إذا بعدت.

ودليلاً يبصرها إذا أخطأت، ويأخذ بيدها بعيداً عن وعورة الطريق ومزالق الحياة.

وإذا كان الأمر كذلك. فلقد وضعت فى هذا الكتاب العديد من الحلول للمشاكل التى تواجه الإسلام والمسلمين.

وإذا كان الأمر كذلك كيف نعيد مبادئ الإسلام إلى دنيا الناس.

كيف نجعل الإسلام دستوراً للحياة وقانوناً للحكم..؟

الطريق إلى ذلك أن نوجد للإسلام رجالاً.. رجالاً فى ميدان الحياة ورجالاً فى حقول الإنتاج، ورجالاً فى ساحات القتال.

لو وجد هؤلاء الرجال ما ابتعد الإسلام عن توجيه الحياة والأحياء.

لو وُجد للإسلام رجال لم نجد من يقف فى طريقه ويحكم عليه بوقف التنفيذ.

لو وجد للإسلام رجال ما ابتعد عن موقف الصدارة.

لأنه فى غيبة هؤلاء الرجال طُرد المسلمون من ديارهم.

وعندما افتقدت الساحة هؤلاء الأبطال انكمشت رقعة بلاد المسلمين.

إن تعاليم الإسلام تحتاج إلى عقل فيلسوف وعاطفة أديب. ودقة مشرع، وشجاعة فارس، ولباقة شاعر.

من الذى يصلح للتبليغ عن المرسلين وتوضيح شرعهم..؟

إنها النخبة الممتازة، والخلاصات الممتازة.

ونحن نعلم أنه ليس كل إنسان بخلقه وسمته يصلح للسفارة عند الآخرين، ولا لاستلانة المعاندين.

لابد إذن من استعداد شخصى يجعل صاحبه شجاعًا فى مواطن الجراءة رقيقًا فى مواطن التلطف.

ولكى نجد هذا العملاق ينبغى أن نختار له كفايات فارعة تصلح لإبلاغ رسالته وخدمة عقيدته وشريعته.

نقدم فى هذا الكتاب عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - والذى نزل فيه قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٢.

عبد الرحمن بن عوف من الأمناء الأوفياء الذين ائتمنهم الرسول عليه الصلاة والسلام على أهل بيته وذويه.

ومن العشرة المبشرين بالجنة.

ومن الستة الذين كون منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مجلس الشورى، ومن الأسخياء الكرماء الذين بذلوا أموالهم فى سبيل الله.

ولقد كان عبد الرحمن بن عوف التقى الوفى يتسلح دائمًا بسلاح التقوى.

والتقوى حساسية فى الضمير وشفافية فى الشعور.

وخشية مستمرة، وحذر دائم. وتوق لأشواك الطريق. طريق الحياة الذى تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات.

وأشواك المطامع والمطامح.

وأشواك المخاوف والهواجس.

وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا.

والتقوى هى التى تجعل الإنسان يعتقد اعتقادًا جازمًا أن وراء الكون ظاهره وخافيه حقيقة أكبر من الكون هى التى تصدر عنها وتستمد من وجودها وجوده.

والتقوى فى النهاية هى هجرة الإنسان من ظلام البصر إلى نور البصيرة لأن البصر لا يرى إلا المحسوسات.

والبصيرة ترى المعنويات.

البصر لا يرى إلا الكثيف.

والبصيرة ترى آثار اللطيف.

وتجعله يهاجر من الكون إلى خالق الكون.

وتنقله من الآثار إلى موجد الآثار.

وترفعه من ترابية الأرض إلى شفافية السماء.

وتخرجه من ضيق الدنيا إلى سعتها.

وتحيله من قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان.

وعن طريق البصيرة تتكشف أمام القانتين المؤمنين أن هؤلاء المنفقين المال فى سبيل الله لا ينفقون من عند أنفسهم، إنما ينفقون مما استخلفهم الله فيه من ملكه. وهو الله الذى «له ما فى السموات وما فى الأرض» وهو الذى استخلف بنى آدم فى شىء من ملكه.

وهو الله الذى يحيى ويميت. وعن طريق دورة الحياة ودورة الممات يستخلف جيلاً منهم بعد جيل.

يقول الله تعالى عن هؤلاء المنفقين ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

فالمال الذى فى أيدى الناس جميعًا هو من رزق الله لهم، فإذا أُنفق المال فى وجوه الخير ضاعفه الله تعالى لقوله:

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٢]. وإذا كان الموت والحياة بيد الله تعالى.

والحياة لا تذهب بأى كارثة من الكوارث لقوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[٣]. وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾[٤]. فكذلك المال لا يذهب بالإنفاق.

لأن الإنفاق قرض حسن لله تعالى مضمون الأداء.

ويضاعفه أضعافًا كثيرة يضاعفه فى الدنيا مالاً وبركة.

(١) سورة البقرة آية رقم ٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٥.

(٣) سورة الرعد آية ٣٨.

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٥.

وسعادة وراحة، ويضاعفه فى الآخرة نعيمًا ورضا.

وجنة وقربى من الله تعالى.

وإذا كان مرد الحياة والموت لله تعالى فأيضًا مرد الغنى والفقر إلى الله لا إلى حرص وبخل ولا إلى بذل وإنفاق.

وأختم هذه المقدمة بما حدث بين عبد الملك بن مروان خليفة المسلمين فى ذلك الوقت ورجل من آل سمعان.

وقف عبد الملك يخطب فاعترضه هذا الرجل قائلاً:

مهلاً أمير المؤمنين: اقض لصاحبى هذا بحقه..؟؟ ثم اخطب.

فقال عبد الملك: وما ذاك..؟

فقال إن الناس قالوا له ما يخلّص ظلامتك من عبد الملك إلا فلان فجئت به إليك لأنظر عدلك الذى كنت تعدنا به قبل أن تتولى هذه المظالم. فطال بينهما الكلام.

فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين. إنكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، وتعظون ولا تتعظون.

أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم أم نطيع أمركم..؟

فإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا فكيف ينصح غيره من يغش نفسه..؟

وإن قلتم خذوا الحكمة حيث وجدتموها. واقبلوا العظة ممن سمعتموها.

فعلام قلدناكم أزمة أمورنا، وحكمناكم فى دمائنا وأموالنا..؟

أو ما تعلمون أن منا من هو أعرف منكم بصنوف اللغات..؟ وأبلغ فى العظات. فإن كانت الأمانة قد عجزت عن إقامة العدل فيها فخلوا سبيلها وأطلقوا عقالها يبتدرها أهلها الذين قاتلتموهم فى البلاد، وشتتم شملهم فى

كل واد..؟

أما والله لئن بقيت فى أيديكم إلى بلوغ الغاية، واستيفاء المدة.

لتضمحلن حقوق الله وحقوق العباد.

فقال عبد الملك: وكيف ذلك..؟

قال: لأن من كلمكم فى حقه زُجر.

ومن سكت عن حقه قهر.

فلا قوله مسموع، ولا ظلمه مرفوع، ولا من جار عليه مردوع.

وبينك وبين رعيتك مقام تذوب فيه الجبال.

حيث ملكك هناك زائل.

وناصرك خاذل.

والحاكم عليك عادل.

فأكب عبد الملك على وجهه يبكى. وقال له ما حاجتك..؟

فقال: عاملك بالسماوة ظلمنى، وليله لهو، ونهاره لغو، ونظره زهو.

فكتب عبد الملك إلى الوالى بإعطائه ظلامته. ثم عزله.

ونحن لا نؤيد الفظاظة فى القول. ولا النصيحة بالغلظة. بل نقول قل الحق وتلطف ونقتدى بقول الله تعالى لرسوله.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١).

ولقد جرب الناس قديمًا القول فرأوا نجعه فى العقول ألطفه، وأنفعه فى النفوس أجمله.

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

قال الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام عندما بعثهما إلى فرعون الطاغية الجبار قاتل الأطفال والنساء.

﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (١).

فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذى يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان اذهبا إليه غير يائسين من هدايته راجين أن يتذكر ويخشى فالداعية الذى ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة ولا يثبت عليها فى وجه الجحود والإنكار ولهذا قال الله تعالى.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٢).

وهذا كله حضٌّ على مكارم الأخلاق فينبغى للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا ووجهه منبسطًا طلقًا مع البر والفاجر من غير مداهنة. تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

وقوله تعالى:

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٤).

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أمر الله تعالى رسوله فى هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة. فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان (٥).

---

(١) سورة طه آية ٤٤.

(٢) سورة البقرة آية ٨٣.

(٣) سورة الإسراء آية ٥٣.

(٤) سورة فصلت آية ٣٤.

(٥) راجع تفسير القرطبى عند تفسيره لهذه الآية.

ويقول صاحب الظلال فى قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

«عندها ينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينة والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية فى وجه هائج غاضب.

وهذه السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد وهذه القدرة ضرورية لتؤتى السماحة أثرها حتى لا يصور الإحسان فى نفس المسىء ضعفًا. ولئن أحسَّ أنه ضعف لم يحترمه، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقًا(١).

وما قاله صاحب الظلال ترجمه شعرًا الشاعر محمود الوراق بقوله:

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منه لدى الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره
وأتبع فيه الحق، والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن
إجابته عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زلَّ أو هفا
تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

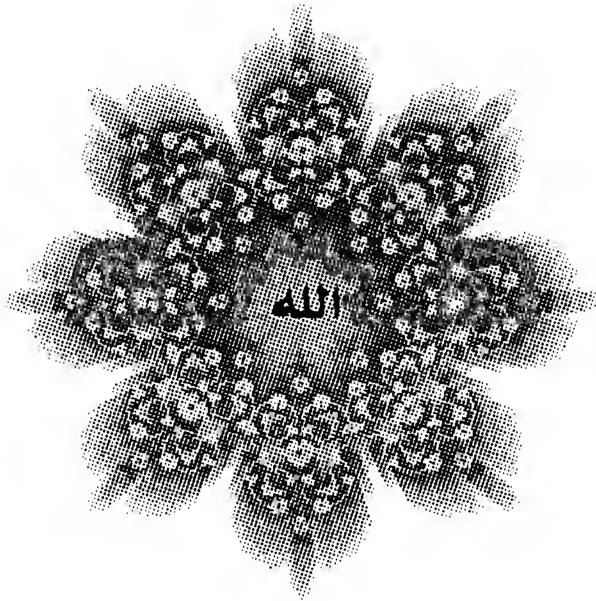
---

(١) راجع الظلال جـ ٢٤ صـ ٣١٢٢ بتصرف.

نرجو من الله العلى القدير ـ أن يجعل هذه الموسوعة علامة خير لمبادئ الإسلام والمسلمين. وسبيلاً للعودة مرة أخرى إلى إسلامنا وديننا ونقتدى بحملة القرآن الأول: الذين خرجوا إلى الدنيا والظلام شامل والجهل حاكم والعقائد زيف وأباطيل. فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق والعدل للبشرية كلها.

فمتى يأتى أمثال هؤلاء الرجال الأبطال..؟ إنا لمنتظرون ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

أ.د. عبد الرحمن عميره



عتبة بن أسيد أبو بصير

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

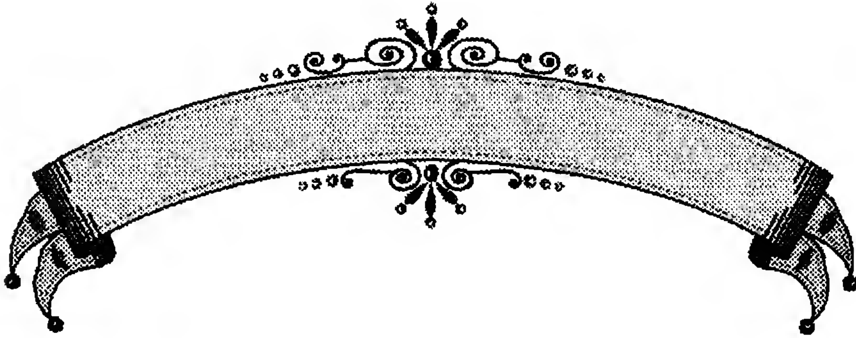
(البقرة: ٢١٨)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال بعض المفسرين نزلت فى كل من هاجر وجاهد فى سبيل الله- منهم عتبة بن أسيد أبو بصير.

وقال بعض المفسرين نزلت فى سرية عبد الله بن جحش وكان معه تسعة رهط من الصحابة. فهل كان معهم عُتبة بن أسيد..؟

وإذا كان فمن هو عتبة بن أسيد أبو بصير قائد الفدائية الأولى التى أرعبت قريش حتى تنازلت عن شروطها فى صلح الحديبية؟



قال الرسول- ﷺ:

«ويل امه مسعر حرب لو كان معه رجال...»

رواه البخارى فى الشروط

وأبو داود فى الجهاد


عتبة بن أسيد رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

عرفته الجزيرة العربية: بأبى بصير. كانت ولادته فى مكة، قريباً من بيتها الحرام.

ولما شب عن الطوق عرف الطريق إلى الكعبة.

وكان يقف أمامها طويلاً، يشاهد الوفود الجرارة التى تفد إلى تلك البقعة المباركة، من كل أنحاء الجزيرة العربية.

وكم رأى بعينيه دموعاً تتساقط.

وابتهالات وأدعية تخرج من شفاه مرتعشة، أمام الكعبة تصدر من الرجال والنساء الذين يفدون حجاجاً إلى بيت الله الحرام. وكم سمع تمتمات وهمهمات تلتقطها أذناه ولا يفهم لها معنى..؟؟

عندها يطلق قدميه تسبقان الريح، ويرتمى بين أحضان أمه يسألها مستفسراً ملحاً.

وتجيبه أمه حانية عاطفة، حتى تأخذه سنة من النوم.

فتربت على كتفه وتلفه بغطائه.

وتدعو رب البيت أن يحرسه ويرعاه.

وفى يوم من الأيام عاد الفتى إلى أمه حزيناً باكياً لقد شاهد الرجال يعملون معاولهم فى أركان وجدران الكعبة.

وتوجه إليها بالسؤال قائلاً: لماذا يفعلون ذلك يا أماه؟

وهدأت الأم من روعه، وقالت:

إنهم يفعلون ذلك لإعادة بنائها، حتى تكون جديدة.

وحتى لا تمتد إليها أيدى اللصوص عن طريق جدرانها الذى هدماه السيل؟؟

فيسرقون ما فى داخلها من حلى وجواهر؟؟

وفى اليوم التالى شاهد أبو بصير تشاحن القبائل.

وتنافر البطون فى مكة، وإشهارهم السلاح.

ودعوتهم للحرب والقتال. لماذا؟

من أجل التنافس على وضع الحجر الأسود فى موضعه.

وأخيراً، اتفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم ليختار القبيلة التى يكون لها شرف تثبيت الحجر الأسود فى مكانه.

ولقد كان محمد الأمين أول داخل.

الذى قرر أن تشترك كل القبائل فى وضعه.

عندها: فرش رداءه ووضعه عليه.

وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف وحسمت مشكلة الحجر الأسود.

وأخذ الرجال يعودون لعملهم فى البناء.

ومن يومها أحب عتبة بن أسيد محمداً الأمين كل الحب.

وأعجب به كل الإعجاب، فاتخذه قدوة ومثالاً.

يتابعه فى كل ما يأتى من أمر أو يلقى من حديث.

وفى كل يوم كان عتبة يخرج إلى محمد الأمين.

يجلس إليه إن جلس..

ويتبع خطواته إذا سار..

دعوة محمد ﷺ إلى الإسلام

وفى يوم ليس كمثله يوم- وقد ارتفعت الشمس قدر رمح أو رمحين- أخذ محمد الأمين يسرع الخطا ناحية الصفا حتى استوى عليه.

وأخذ ينادى يا صباحاه يا صباحاه.

وكان عتبة لا يزال فى فراشه مفتح العينين.

يفكر فى الذهاب إليه عندما سمع صوته يملأ الكون.

إن صوت محمد ينادى من فوق الصفا- عندها ألقى غطاءه من عليه وخرج مسرعاً إلى هناك.

واجتمعت قريش إليه تريد أن تعرف ما يريد؟

نعم ماذا يريد الأمين بدعوته المبكرة إليهم؟

لقد عرفوه ميمون الطالع فلا يأتى إلا بخير...

وصادق الكلمة فلا ينطق بغير الحق.

وتربى فى بنى سعد فملك ناصية البيان.

فإذا استمعوا إليه، استمعوا إلى كلام بيِّن فصل.

ولما رأى رسول الله اجتماعهم بين يديه قال:

يا آل غالب، يا آل لؤى، يا آل مرة، يا آل كلاب.

يا آل قصى، يا آل عبد مناف:

«لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم.

أكنتم مصدقيَّ..؟

قالوا: نعم. ما جربنا عليك كذباً.

قال: فإنى رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة.

ثم تلا قول الله تعالى:

﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

عندها: انفضوا من حوله بين مصدق ومكذب.

وسرت همهمات لا تفصح ولا تبين.

ثم عاد الرسول ﷺ إلى بيته.

وعاد عتبة بتلك الكلمات التى سمعها- والتى لا يفهم لها كثير معنى...؟؟

إسلام عتبة..

ولكن أحس عتبة: أن النور يملأ شغاف قلبه.

والطمأنينة إلى ألفاظ محمد أثلجت صدره.

وأحس أن قوة غريبة تدفعه دفعا إلى دار محمد ﷺ حيث وضع يده فى يده.

ونطق بالشهادتين.

ثم تتابع المؤمنون بدعوة الرسول ﷺ.

وما كادت قريش تسمع ذلك حتى ركبت رأسها، وأخذت تشن حرباً لا هوادة فيها على المستضعفين الذين تابعوا محمداً على دينه..؟؟

وذهب بعض المستضعفين إلى الرسول ﷺ.

يطلبون منه أن يدعو ربه ليخفف عنهم ما هم فيه..

فجلس مغضباً ثم قال:

«والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق اثنين ما يصرفه ذلك عن دينه. أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم. ما يصرفه عن دينه.

(١) سورة الشعراء الآيات: ٢١٣- ٢١٥.

وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله أو الذئب على غنمه. ولكنكم قوم تعجلون...» ؟؟

وأخذ العذاب يشتد.

والهول يصب عليهم صباً.

ويدخل أبو جهل على سمية أم عمار فيرفسها ويركلها ثم يطعنها بالحربة فى قلبها فماتت.. ؟؟

وسرى الخبر بين المستضعفين.

فأهمهم وأقلق بالهم. لماذا.. ؟

لأن الرسول ﷺ لم يأذن لهم بحرب.

فماذا يفعلون.. ؟

وهؤلاء يشنون عليهم حرب إبادة.. ؟؟

واجتمعوا عند الرسول ﷺ ووضعوا بين يديه ما يراد بهم وما ينتظرهم من بلاء على يد هؤلاء غلاظ الأكباد..

عندها قال الرسول ﷺ:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

إنها الهجرة إذن.. ؟؟

والأمر من الرسول ﷺ وخرج المستضعفون إلى تلك الأرض.

إلى بلد لا يظلم فيها أحد.

وإلى ملك يعرف ربه ويخشى عقابه، ويعمل على مرضاته.

ويتابع أنباء الرسول ﷺ مع قريش.

ويتعرف على أخبار معاركه فى سبيل نصرة هذا الدين.

من أنباء هذا الملك

يقول عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كنت أجلس عند النجاشى فدخل عمرو بن أمية الضمرى.

وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب إليه.

فلما خرج، قلت للنجاشى:

هذا الرجل رسول عدو لنا قد وترنا، وقتل أشرافنا فأعطينيه فأقتله.

فغضب الملك من ذلك.

ورفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه كسره، فابتدرت أنفى..؟؟

فجعلت أتلقى الدم بثيابى.

عندها أصابنى من الذل ما جعلنى أتمنى أن تنشق بى الأرض لأتوارى فيها..

ثم قلت: أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك؟

قال: فاستحيا وقال:

يا عمرو تسألنى أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، والذى كان يأتى عيسى لتقتله..؟

قال عمرو: فغير الله قلبى عما كنت عليه.

وقلت فى نفسى: عرف الحق هذا والعرب والعجم وتخالف أنت؟

ثم قلت: أتشهد أيها الملك بهذا؟

قال: نعم. أشهد به عند الله يا عمرو، ثم سكت هنيهة وقال:

«فأطعنى يا عمرو واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قلت: أتبايعنى له على الإسلام.

قال: نعم. فبسط يده فبايعنى على الإسلام»(١).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٣٧.

عتبة بن أسيد والهجرة..

ولكن عتبة لم يهاجر إلى الحبشة، ولم يخرج من مكة، لأنه لا يستطيع فراق الرسول ﷺ.

وعاد المهاجرون مرة أخرى إلى مكة.

واشتد إذاء قريش لهم.

وامتد هذا الأذى إلى رسول الله.

واجتمع رجالها فى دار الندوة وقرروا أن تقدم كل قبيلة شابّاً جلداً من رجالها، ويجتمع هؤلاء الرجال.

ثم يضربون محمداً ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه بين القبائل، وبذلك لا تستطيع بنو هاشم أن تأخذ ثأرها من كل القبائل.

وأذن الله سبحانه وتعالى لنبيه بالهجرة إلى يثرب.

وتتابع المسلمون بالهجرة خلف رسولهم.

خوفاً من طغيان قريش.

ولكن عتبة «أبا بصير» لم يهاجر إلى يثرب.

لاعتقاده أن الرسول ﷺ سيعود مرة أخرى إلى مكة.

ومعه الأنصار والمهاجرون لتأديب قريش.

وتحطيم الأصنام داخل الكعبة وخارجها.

ثم كان صلح الحديبية بين الرسول ﷺ وبين قريش.

وكان من بنود الصلح:

أن من خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة مسلماً، رده محمد إلى قريش.

عندها فكر عتبة «أبو بصير» فى الهجرة إلى يثرب.

عتبة «أبو بصير» والهجرة إلى يثرب

فى غفلة من رجالات قريش: اعتلى ظهر ناقته وترك لها زمامها تسابق الريح، وتطوى الصحراء إلى يثرب.

نعم إلى يثرب لينضم إلى كتيبة المسلمين.

ويصير جنديًا من جنود الله.

يدافع عن دينه، ويجندل الذين يقفون فى طريقه.. ؟

وما كاد أبو بصير يصل إلى يثرب ويلتقى بصحابة رسول الله من مهاجرين وأنصار.

ويحس بالراحة والاطمئنان بجوار رسول الله ﷺ، حتى أوفدت قريش رسولين إلى رسول الله- ليرد لهم أبا بصير.. ؟

تنفيذاً للعهد الذى تم بينهم فى صلح الحديبية.

عندها قال الرسول ﷺ:

«يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً.. فانطلق إلى قومك».

قال أبو بصير: يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى.. ؟

قال الرسول عليه السلام:

«يا أبا بصير: انطلق.

فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً».

واستجاب أبو بصير لما أمره به رسول الله، وانطلق مع الرسولين إلى مكة، وفى الطريق قرر أبو بصير أمراً، إن قريش صاحبة حيلة ومكر.

وأخذت هذه الشروط من الرسول ﷺ عن طريق العوذ والإضرار هذه واحدة.

والثانية : لابد من تحرير المستضعفين الذين آمنوا بدعوة محمد ﷺ من طغيان قريش إذن لن يعود إلى مكة.

وعليه أن يهب نفسه للجهاد فى سبيل الله.

وويل لقريش ممن استقر الإيمان فى قلبه، واستضاءت روحه بنور الإيمان..؟؟

عتبة والتفلت من قبضة قريش...

عندما وصل عتبة «أبو بصير» وحارساه إلى وادى ذى الحليفة.

نزلوا للراحة وتناول الطعام، وما كادوا يفرغون من الطعام حتى نزل بسيفه على أحد الرجلين فقتله.. ؟؟

وفر الآخر حتى أتى رسول الله وقال له:

قُتل والله صاحبى.

وإنى لمقتول أيضاً.

عندها جاء أبو بصير فقال: يا رسول الله قد وفت ذمتك، وقد رددتنى إليهم فأنجانى الله منهم.

ثم خرج مودعاً رسول الله.

واتجه صوب مكة، حتى نزل مكاناً يسمى «العيص» على ساحل البحر الأحمر بطريق قريش التى كانوا يمرون عليها إلى الشام.

وفى وسط الطريق طريق القوافل إلى الشام ومكة.

ركز هذا الفارس الشجاع والفدائى الصادق الإيمان حربته.

وتوشح سيفه، وأمسك رمحه بيده.

وقرر أن يأخذ على قريش الأرض من أقطارها.

سيحاربها فى تجارتها ويقوض كل اقتصادها.

ويجندل أبطالها إن وقفوا فى طريقه.. ؟؟

ولتعش مكة بغير تجارة.

ولتأكل حشيش الحمض والسعدان مع إبلها وأغنامها.. ؟؟

ولتوقف قريش من اليوم كل معاملاتها مع العالم الخارجى.

ويعلم الرسول ﷺ بما اعتزمه هذا الفدائى الكبير- فقال:

«ويل امه مسعِّر حرب لو كان معه رجال..»(١).

وتدوى هذه الكلمة فى أرض الله الممتدة الواسعة.

وتبلغ الرجال المسلمين الذين حبستهم قريش بين دروب مكة.

وفهموا أن ذلك نداء من القائد العام للجماعة المسلمة، وبالانضمام إلى كتيبة أبى بصير فخرجوا جميعاً وعلى رأسهم أبو جندل سهيل بن عمرو.

حتى بلغ عددهم سبعين رجلاً.

وأخذوا فى مزاولة أعمالهم من التربص لقوافل قريش.

القوافل الخارجة إلى الشام.

أو القادمة إلى مكة.

ويستولون عليها، وعلى ما تحمله من عروض التجارة، وعلى ما فى جيوب الرجال من الذهب والفضة.

وجندلوا من فرسان قريش كل من وقف فى طريقهم.

وعلمت قريش بما يفعله أبو بصير ورفاقه.

فخافت على تجارتها، فلم ترسلها إلى الشام، فكسدت بضاعتها،

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في الشروط ١٥ وأبو داود في الجهاد ٥٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٤: ٣٣١ (حلبى).

وانفض عنها عملاؤها، وأصيبت بضربة موجعة، وعلتها الكآبة والمجاعة.

ويتجه وفد من مكة بقيادة أبى سفيان بن حرب إلى المدينة، لمقابلة رسول الله ﷺ. وعندها وقفوا بين يديه.

أخذوا يسألونه أن يقبل أبا بصير ورفاقه ويردهم إلى المدينة..

وقال لهم عليه السلام:

«يا أبا سفيان، والشروط التى أخذتموها فى صلح الحديبية.. ؟

ويرد أبو سفيان راجياً متوجعاً:

«يا محمد إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكل، وتعين على نواهب الدهر، اقبل رجاءنا، وارحم صغارنا لأنهم يعيشون فى مجاعة طاحنة، أرسل إلى أبى بصير وصحبه فضمهم إليك.

واستجاب الرسول ﷺ لطلب قريش.

وأرسل رسالة إلى أبى بصير يرده إليه.

ويمسك أبو بصير بكتاب رسول الله ويقرأه بشفتيه، ويبلله بدمع عينيه، ويضعه على صدره تبركاً به.

ثم ماذا .. ؟

فارقت روحه جسده. رحمه الله رحمة واسعة.

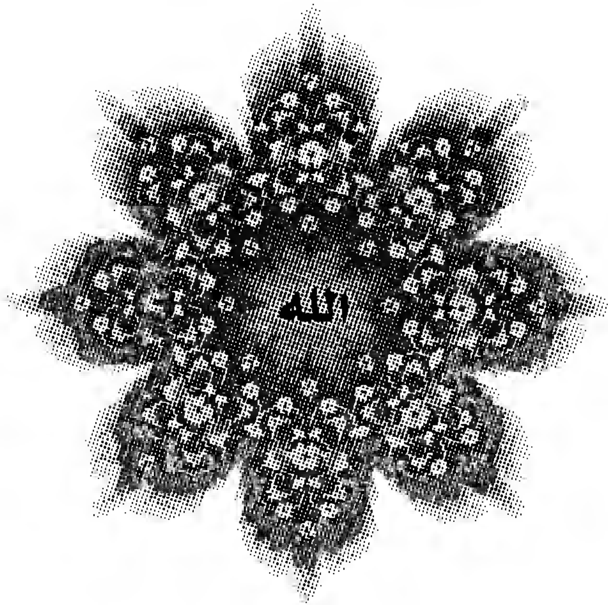
أبو بصير يوسد فى قبره..

يقول أبو جندل رضي الله عنه رفيق أبى بصير فى الفدائية الأولى التى كسرت غرور قريش:

وبعد غسله وسدناه قبره..

ثم فررنا إلى الله تعالى للانضمام إلى جيش الفتح إلى دعاة الدين الخالص.

الذين أزالوا الزيف المتراكم من الألوهية المزيفة عن طريق البشرية قاطبة.. ؟؟





تذييل

فدائية القرن العشرين

فدائية القرن العشرين

نقول: إذا كانت الفدائية الأولى قد كسرت غرور قريش.

وساهمت مساهمة فعالة فى محاصرة الشرك وأهله.

وعبدت الطرق والمسالك أمام الدين الجديد.

وجعلت كلمة لا إله إلا الله تدوى فى جنبات الأرض حتى نزل قول الله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(١).

دخلوا فى دين الله أفواجا، وهاجروا إلى ربهم، وفروا إلى مولاهم.

وخلت رقعة الأرض من الزور والبهتان.

وطهرت جنباتها من الكفر والطغيان.

حتى قال القائد العملاق عقبة بن نافع- وهو واقف على شاطئ البحر المحيط.

«والله لو أعلم أن خلف هذا البحر قوماً لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بمحمد لخضت إليهم بهذا الفرس».

نقول: إذا كانت الفدائية الأولى قد فعلت ذلك.

فماذا يجب على الفدائية الجديدة أن تفعله أمام غرور الصهيونية العالمية.. ؟

---

(١) سورة النصر الآيات من ١- ٣.

عليها أن تسلك ما سلكته الفدائية القديمة، لأنه لو تم لها ذلك لركعت الصهيونية العالمية على أقدامها.

واستجابت لكل متطلبات الأمة العربية.

ومن تتابع حلقات التاريخ وتتطابق أحداثها.

أن قريشاً تنازلت عن كل شروطها التى فروضها فى صلح الحديبية تنازلت عن شروطها، عندما استولت الفدائية المسلمة على طريق القوافل على ساحل البحر الأحمر والذى ينقل تجارتها إلى بلاد الشام.

نعم بلاد الشام المتاخمة فى عصرنا الراهن للأرض المحتلة.

التى تتربع عليها الصهيونية العالمية.

لو اتبعت الفدائية الحديثة استراتيجية الفدائية القديمة، لدمرت أكثر من ٧٠٪ من الأغذية والمواد الخام التى تستوردها إسرائيل.

وبالذات عن طريق البحر الأحمر.

من قارة أفريقيا وما جاورها.

ولو اتبعت الفدائية الحديثة، خطط الفدائية القديمة.

لاستطاعت أن تضرب العدو الإسرائيلى ضربات متتابعة خارج حدوده.. ولدمرت كل منتجاته من الصناعات الخفيفة والثقيلة.

والتى تتسرب عن طريق إحدى الدول العربية.

ويكتب عليها زيفاً وتضليلاً صنع فى تركيا.

والتى تغمر الأسواق العربية فى كل وقت وحين.. ؟؟

ونحن من هذا المنطلق نناشد الفدائية المؤمنة على أرض فلسطين المحتلة أن تنقل أعمالها خارج حدودها.

حتى يمكنها محاصرة العدو وقطع الإمدادات الآتية إليه.

وتدمير منتجاته التى يغمر بها الأسواق العربية.

إن حدث هذا يكون هذا الفعل أقوى الأسلحة فى كسر شوكته، وتقريب هزيمته.

عندها لن يحتاج حكام العرب إلى طلب السلام من العدو الإسرائيلى، بل هو الذى سيطلبه، ويلح فى طلبه.

فهل أنتم يا قادة الأمة العربية فاعلون.. ؟

إن تم ذلك كان لكم النصر والظفر بإذن الله تعالى.

وتصبحون من جند الله الذين لهم شرف تحقيق وعد الله على بنى إسرائيل بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾(١).

فمن من حكام العرب يقول:

«أنا وشعبى من جند الله»

ومن هو العملاق الذى يتحقق على يديه وعد الله بسوم العدو الإسرائيلى سوء العذاب فى فترة من فترات الدهر...؟

إن من يقدم على ذلك يفوز برضى الله فى الدنيا.

وبفردوسه الأعلى فى الآخرة.

إن العلامة التى وضعها الله تعالى لتدمير بنى إسرائيل.

هى تجمع فلولهم على أرض فلسطين.

نعم تجمع فلولهم من كل بقاع الأرض.

قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٦٧.　(٢) سورة الإسراء آية رقم ١٠٤.

ولقد تم تجمعهم واستقرارهم حول المسجد الأقصى مسرى الأنبياء.

ثم ماذا.. ؟

أيرسل الله عليهم جبريل عليه السلام لقلب مدينتهم وتدميرها عليهم، كما حدث مع قوم لوط؟

أيرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية تصرعهم، وتستأصل شأفتهم، كما حدث مع قوم صالح عليه السلام..؟

أيرسل عليهم الصواعق المدمرة، ويفتح عليهم أفواه البراكين المشتعلة، فتشوى أجسادهم وتزهق أرواحهم.. ؟

إن وعد الله تعالى لم يتضمن شيئاً من ذلك.

ولكنه حدد فناءهم وإبادتهم على يد عباد الله المؤمنين- من أمة محمد- ﷺ قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ (١).

«ليسوؤوا وجوهكم: بالسبى والقتل فيظهر أثر الحزن فى وجوهكم.

« التتبير» والتدمير والإهلاك وتقويض كل شىء عن طريق من سماهم الله «عباد الله» فهؤلاء عباد الله يقهرونهم ويقتلونهم، ويأسرونهم.

فتعلو وجوه الأحياء منهم المهانة والمذلة.

والخزى والعار.

لأنهم لا يستطيعون فعل شىء لأنفسهم أو الدفاع عن ذويهم.

ثم إن العباد المؤمنين يدمرون كل شىء عليهم.

ويخربون كل عامر على أرضهم التى اغتصبوها ويصبون عليهم النكال

(١) سور الإسراء الآية: رقم ٧.

والهوان صبا.

ونتساءل: مَنْ مِنْ أمة محمد يكون له شرف تنفيذ وعد الله.. ؟

تنفيذ الوعد على إخوة القردة والخنازير.

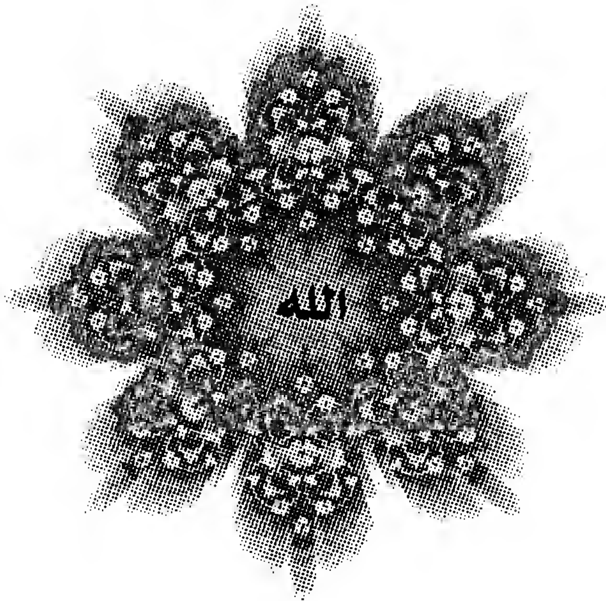
تنفيذ وعد الله على أحفاد إبليس كما وصفهم عيسى عليه السلام.

من منكم يا أتباع محمد ﷺ يحظى بجريان قضاء الله وقدره على يده ضد أعداء الله..؟

من يا أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين.

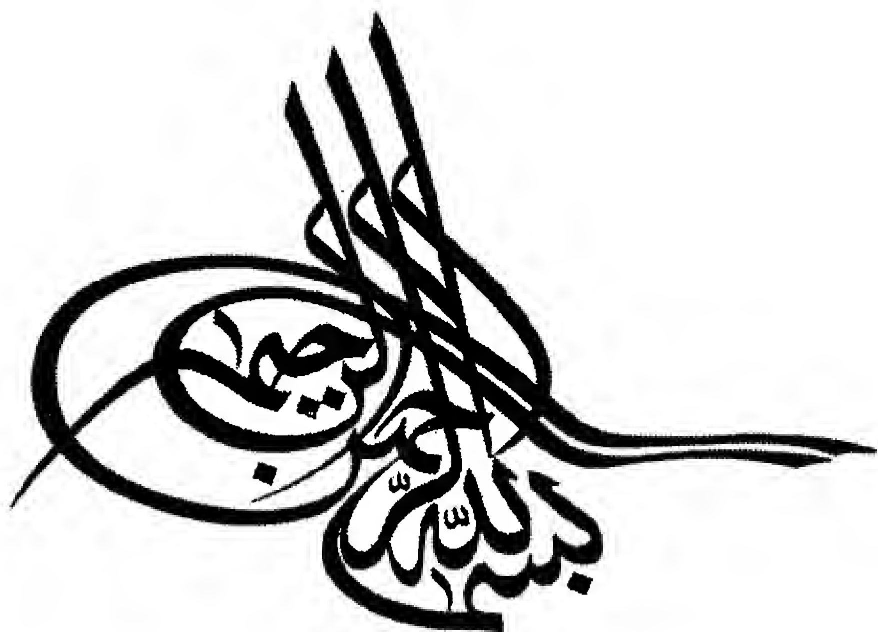
من يا خير أمة أخرجت للناس..؟

إنا لمنتظرون ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.. ينصر من يشاء..



البـراء بن مـالك

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

(سورة الأحزاب: ٢٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

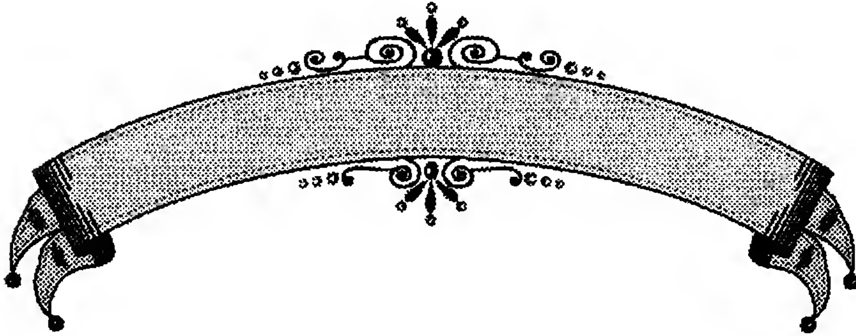
قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية فى طلحة بن عبيد الله والبراء بن مالك وغيرهما من الذين سقطوا شهداء فى ساحة القتال.

قاله صاحب أسباب نزول القرآن ص ٣٦٧.

وقاله السيوطى فى الدر المنثور ٥: ١٩١.

وراجع تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ج٣ ص ٣١٢.

فمن هو البراء بن مالك..؟



قال الرسول ﷺ :

«كم من ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه به، لو أقسم على الله لأبر قسمه، منهم البراء بن مالك».

رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما


البراء بن مالك رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

فارس من فرسان مدرسة النبوة.

وعملاق من عمالقة الإسلام.

وشهيد نال الشهادة وهو على صهوة فرسه.

ومسلم عرف الإيمان طريقه إلى قلبه مبكراً.

فشاع الإيمان على ما حوله نوراً وضياء، ومعرفة وبهاءً.

أصله ونسبه ..

من الأنصار الأوفياء الذين سمعوا بدعوة الرسول ﷺ فركبوا المطايا سعياً إليه.

وقطعوا الفيافى والقفار حتى وصلوا إليه.

وعندما جمعتهم مع الرسول ﷺ بيعة العقبة قالوا:

«تكلم يا محمد، وخذ لنفسك وربك ما أحببت».

فتكلم رسول الله وبدأ بتلاوة آيات القرآن الكريم.

ثم رغبهم فى اعتناق الإسلام.

ودعاهم إلى توحيد الواحد الأحد، ونبذ ما عداه من الآلهة المزيفة.

ثم قال: إذا قبلتم ذلك، أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم..

فأخذ البراء بيده ثم قال:

- نعم. والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه نساءنا وأولادنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب، وأهل السلاح ورثناها كابراً عن كابر.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال:

يا رسول الله: إن بيننا وبين القوم- يعنى اليهود- حبالاً وإنا لقاطعوها فهل إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا..؟

فتبسم رسول الله ثم قال:

بل الهدم الهدم.

والدم الدم.

أنا منكم وأنتم منى.

أحارب من حاربتم.

وأسالم من سالمتم»[1].

وإذا كان هذا هو حال الأنصار فى بدء الدعوة الوليدة، فإن البراء بن مالك يعتبر من خلاصة هؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ:

«لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

ونقول: كيف لا يكون البراء بن مالك كذلك.

وأمه سهلة بنت ملحان، والتى اشترطت عندما تقدم لها أحد صناديد

(١) راجع سيرة ابن هشام بيعة العقبة الثانية مجلد ١: ص٤٤٢ط مؤسسة علوم القرآن.

يثرب وسراتها للزواج منها.

ولم يكن الإسلام قد عرف الطريق إلى قلب هذا الخاطب.

أن يكون مهرها الإسلام.

وأخو البراء أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ والذى رأى من ولده وأحفاده: نحو مائة فارس.

كلهم حمل السيف وقاتل فى سبيل الله.

وعمه أنس بن النضر:

الذى اندفع بسيفه إلى صفوف الأعداء فى غزوة أحد، فلقيه سعد بن معاذ. فقال: أى سعد، والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أحد..

فقاتلهم حتى سقط شهيداً...

يقول أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف أو طعنة برمح.

وقد مثلوا به تمثيلاً فاحشاً.

فما عرفناه، حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه، ونزل قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (١).

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣.

البراء فى غزوة أحد..

ثم ماذا..؟ يصمت التاريخ فلا يتحدث عن طفولة البراء.

ولا يذكره فى أيام شبابه من قريب أو بعيد.

حتى كانت غزوة أحد.

أولى المشاهد التى شهدها البراء مع الرسول ﷺ.

فكان بطلاً مغواراً.

وفارساً لا يشق له غبار.

وجندل الكثير من فرسان قريش.

ووقف سدّاً منيعاً أمام الرسول ﷺ.

يمنع سيوف المشركين التى شرعت لتنال منه.

ومن ذلك التاريخ، أصبح البراء بن مالك أصيلاً فى كل المعارك التى خاضها المسلمون ضد الفئة الباغية.

سواء أكان ذلك داخل الجزيرة العربية أو خارجها.

وتحول سيفه فى يده إلى قدر الله تعالى الذى يحصد به الرءوس التى كفرت بأنعم الله.

وأصبحت لعبة فى يد إبليس اللعين الذى يدعوها إلى عبادة الأوثان، والأصنام مرة، وإلى عبادة الكواكب والنجوم ثانية.

وإلى السجود والخضوع للشمس والقمر. وقد قال الله تعالى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾(١).

وعاش البراء بن مالك فارساً مجاهداً، وصحابيّاً متفانياً فى مدرسة الرسول ﷺ.

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٧.

ومبارزاً يخوض المعارك للنصر على الأعداء وطالباً للشهادة من ربه..

ثم ماذا.. ؟

مرت السنون، وكرت الليالى، وقد بلغ الرسول ﷺ أجله.

بعد أن بلَّغ الرسالة.

وأدى الأمانة.

ودعى إلى دين الله. ودخل الناس فيه أفواجاً.

ونزل قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾(١).

مات الرسول ﷺ وتحقق ما أخبر به، من أن الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً. ثم يخرجون منه أفواجاً.

البراء بن مالك على أرض اليمامة

ارتدت الجزيرة العربية، وامتنعوا عن دفع الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ عندها قام الخليفة أبو بكر بما يجب عليه من تجييش الجيوش، ومقاتلة هؤلاء المرتدين.

حتى يعودوا مرة أخرى إلى رحاب الإسلام والإيمان وقال كلمته المشهورة:

«والله لو منعونى عقالاً كانوا يعطونها لرسول الله لقاتلتهم عليه».

وسارت أولى الجيوش إلى أهل اليمامة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ومعه الفارس المغوار البراء بن مالك رضي الله عنه.

وعلى أرض اليمامة التقى الجيشان.

وقاتلوا قتالاً مرعباً.

وتساقط القتلى بالمئات من الجانبين.

(١) سورة المائدة آية رقم ٣.

ثم رجحت كفة المشركين.

وأوشك المسلمون أن ينهزموا.

عندها وقف ثابت بن قيس وأخذ ينادى:

يا معشر المسلمين- فلحق به زيد بن الخطاب رضي الله عنه وأخذا يتقدمان ويعملان سيفيهما فى صفوف الأعداء حتى سقطا شهيدين.

عندها برز البراء بن مالك إلى مقدمة الجيش، وثار كما يثور الأسد.

وأخذ ينادى يا معشر المسلمين:

أنا البراء بن مالك هلموا إلىَّ.

وتدافع المسلمون إليه من كل جانب. وأخذوا فى زحزحة الفئة الباغية حتى أجبروهم على الفرار مذعورين إلى حديقتهم.

وعندما دخلوا جميعاً.

أغلقوا بابها عليهم.

وتحصنوا بأسوارها من سيوف المسلمين.

وكان بداخل الحديقة مسيلمة الكذاب مدعى النبوة.

عندها نادى البراء مرة أخرى:

يا معشر المسلمين يا أتباع محمد بن عبد الله.

يا أنصار رسول الله ألقونى عليهم فى الحديقة حتى أفتح الباب عليهم..

إنها مخاطرة جريئة، وجولة غير مأمونة.

ولكنها هينة فى سبيل الله.

وهو أيضا يريد الشهادة.

بعد أن يؤدى واجبه فى القتال، ويتحقق النصر، وتتطهر أرض الله من

الفئة الباغية المشركة.

وهمَّ المسلمون أن يفعلوا ما طلبه البراء.

ولكن قائد الجيش خالد بن الوليد، لم يوافقه على ذلك.

وقال: إنك إذا ألقيت نفسك فى الحديقة.

عندها يكون جسدك طعمة لسيوف المشركين.

وقد لا تمكنه السيوف المشرعة من فتح الباب..

ولكن البراء لم يهدأ له بال.

وترقب غفلة خالد، وسبات حراس الحديقة، وظلام الليل عندما يرخى سدوله على الكون.

حتى شاهد فرسان الله: البراء بن مالك يعتلى سور الحديقة ويهتف قائلاً: الله أكبر الله أكبر.

ثم ألقى بنفسه خلف باب الحديقة.

وأخذ يعالج فتحه بشراسة وقوة إيمان حتى تمكن من فتحه.

تمكن من فتحه، ولم يحس بسيوف المشركين وهى تعمل عملها فى جسمه، وهو فى شغل عنها بما عزم عليه.. ؟؟

وتدافع جيش الفتح إلى داخل الحديقة.

وتمكنوا من قتل عدو الله مسيلمة الكذاب.

بعد أن فرت حاميته مذعورة من الهول الكبير الذى شننته عليهم كتائب جند الله.

عندها سرى فى الكون كله صوت شجى بقوله تعالى:

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ١٠.

ولكن أين البراء بن مالك.. ؟ هكذا هتف خالد.. ؟؟

أين محطم الأغلال والأقفال.. ؟

أين صاحب الاستراتيجية السريعة فى تحقيق النصر وهزيمة الأعداء..؟

عندها وقعت عين خالد على جثة ملقاه بجوار باب الحديقة، ولها أنين مكتوم ويعالج صاحبها سكرات الموت.

ولم يكن إلا البراء بن مالك.

وتقدم خالد وحمله إلى خيمته.

وأخذ فى تطبيبه شهراً كاملاً، حتى شفى من جراحاته..

وكان أفراد الجيش فى كل يوم يسمعون نحيبه وبكاءه لأنه لم ينل الشهادة..؟؟

وكان خالد يطيب خاطره.

ويذكره بأن لكل أجل كتابا، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

ثم يقول له: إن الله سبحانه وتعالى يدخر لك الشهادة، وستنالها بمشيئة الله على أرض فارس حيث أسلحة الأعداء المتطورة.

والخدع الحربية التى يتقنونها .

والتروس المحكمة التى يحملونها..

وعاد فرسان مدرسة النبوة إلى مدينة الرسول ﷺ .

ومعهم الفارس الذى يطلب الشهادة.

عادوا والفرحة تملأ قلوبهم، وتيجان النصر فوق رءوسهم.

ولكن لم يطل بهم المقام فى المدينة.

(١) سورة يونس آية رقم ٤٩.

حتى أمرهم خليفة المسلمين بالتوجه إلى أرض فارس، لنشر دين الله والدعوة إلى توحيد الله..

ودخل جيش الفتح تلك الأراضى البعيدة، المليئة بالأشجار والنخيل.

وتغمر أرضها المياه العذبة من الأنهار المتدفقة.

ولكن أهل فارس ما كادوا يسمعون بدخول الجيش الإسلامى إلى أراضيهم حتى توجهوا إلى حصونهم المحكمة.

وإلى قلاعهم العالية.

التى تعلوها الأبراج الشاهقة.

حتى يتمكن جنودها من رصد حركات الأعداء.

وكانت خطة الجيش الإسلامى محاصرة تلك الحصون.

وإغلاق المنافذ والطرق على أهلها.

حتى ينفذ ما بحوزتهم من مياه وطعام.

فإما يشعلون الحرب، وهم منهكون لقلة الطعام والشراب فتسهل هزيمتهم.

أو ينزلوا على شرط من الشروط الثلاثة التى يعرضها الإسلام، على أهل البلاد المعادية، وهى:

إما الإسلام، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم.

وإما الجزية عن يد وهم صاغرون.

وإما الحرب، التى لا تبقى ولا تذر.

البراء وأخوه أنس فى محاصرة أحد الحصون..

نعم كلفا بتلك المهمة.

وهى عملية فيها الترقب الممل..؟؟

والانتظار الطويل.

وتدعو إلى الاسترخاء.

وفى يوم من الأيام والبراء يرسل بريد عينيه عبر المجهول.

شاهد أخاه أنسا تمسك به كلاليب قوية، وتسحب بحبال إلى فوق الحصن لتقتله..؟؟

وما كاد البراء يرى ذلك حتى طار خلفها، وأمسك بتلك الكلاليب وعالجها بيديه حتى قطعها وخلص أخاه منها.

ثم سقطا سوياً على الأرض سالمين..

لأن الله تعالى أراد أن يخلصهما من تلك المكيدة التى نصبها الفرس لهما.

ونظر البراء فى يديه فإذا هما متفحمتين تماماً.

نتيجة لإمساكه بتلك الكلاليب التى كانت تسخن من قبل الأعداء على النار بدرجة عالية.

حتى إذا أطبقت على الفارس عسر عليه الفكاك والخلاص منها بيديه.

لأنها تتحول إلى قطع من النار الملتهبة.

وأصبح البراء مشغولاً بيديه.

واستمر فترة لا يستطيع أن يحمل بيده رمحا، ولا يستعمل بهما سيفاً.

ولا يقدر بمفرده على تناول طعامه وشرابه.

وأصبح وجوده عبئاً على نفسه وعلى الآخرين..؟؟

وهمس بينه وبين نفسه مناجياً ربه، لماذا لم أنل الشهادة يا رب؟

وكأن الوجود كله تحول فى لحظة خاطفة إلى أفواه تردد قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾(١) .

ومرت الأيام بطيئة قاسية.

وكرت الليالى مظلمة عابسة.

ثم جمع الفرس جموعهم مرة أخرى بعد هزيمتهم فى معركة القادسية.

وعلم الخليفة- عمر بن الخطاب- رضي الله عنه بما يدبره «الهرمزان» وإعداده الكتائب، وتجييشه الجيوش على حدود مدينة تستر وثغورها.

وكتب «يزدجرد» إلى أهل فارس:

يذكرهم الأحقاد، ويؤنبهم على تكاسلهم ويقول:

أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد والأهواز، ثم لم يرضوا بذلك حتى طاردوكم فى بلادكم وعقر داركم.. ؟؟

عندها كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص:

«أن ابعث إلى أهل الأهواز جنداً كثيفاً.

وأمر عليهم سهل بن عدى، وابعث معه البراء بن مالك.

واستجاب المسلمون إلى أمر عمر.

وتجمعت الجيوش حول تستر والأهواز(٢) .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥.

(٢) قال أبو زيد: الأهواز اسمها «هرمز سهر» وفى الكتب القديمة أن سابور بنى بخوزستان مدينتين سمى إحداهما باسم الله عز وجل وهو هرمز سابور ومعناها عطاء الله لسابور، وسمتها العرب سوق الأهواز، وأهلها معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس. قال مغيرة بن سلمان: أرض الأهواز نحاس تنبت الذهب، غزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاه عمر البصرة بعد المغيرة بن شعبة ففتح الأهواز عنوة سنة ١٧هـ.

ثم حاصروهم أشهرا، وأكثروا فيهم القتل.

واستطاع البراء بن مالك أن يجندل من فرسانهم أكثر من مائة مبارز..؟؟

ثم زاحفتهم المشركون فى أيام تستر ثمانين زحفاً.

يكون عليهم مرة، ولهم أخرى.

حتى إذا كان فى آخِر زحف منها، واشتد القتال.

قال المسلمون يا براء:

«إن رسول الله قال:

«لو أقسمت على الله لأبرك».

فاقسم على ربك يا براء...

قال البراء: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم..».

فطاردوهم وأثخنوا فيهم القتل..

ثم تقابلوا معهم مرة أخرى على قنطرة السوس..

وترس فيها المشركون وأوجعوا المسلمين ضرباً.

فقالوا: يا براء أقسم على ربك..

فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتنى بنبيك، ﷺ..

فمنحوا أكتافهم وطاردوهم.

ثم ماذا.. ؟ سقط البراء شهيداً.

قتل البراء بعد هزيمة الفرس حتى أدخلوهم خنادقهم.

ثم اقتحموها عليهم، وحاصروا «الهرمزان»، فلما عاينوه وهموا بالقبض عليه.

قال لهم: ما تريدون.. وأنتم تشاهدون ما أنا فيه..؟

قالوا: القبض عليك..

قال: معى فى جعبتى مائة نشابه والله ما تصلون إلىَّ ما دام معى منها واحدة.

وما قيمة أسارى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل وجريح..؟؟

قالوا: فتريد ماذا..؟

قال: أن أضع فى أيديكم يدى على حكم عمر بن الخطاب يصنع بى ما يشاء..؟؟

قالوا: لك ذلك.

عندها رمى قوسه وأمكنهم من نفسه.. فشدوه وثاقاً، ثم خرجوا به إلى المدينة حتى إذا وصلوا إليها هيئوا «الهرمزان» وألبسوه كسوة من الديباج.

ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى «الآذين» مكللا بالياقوت.

ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه.

فسألوا عنه: فإذا هو فى المسجد نائم فى ميمنته..

حتى إذا رأوه جلسوا دونه، وليس فى المسجد نائم ولا يقظان غيره.

والدرة معلقة..

فقال الهرمزان: أين عمر..؟

قالوا: هو ذا.

فقال: أين حرسه وحجابه..؟

قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان..؟

قال: فينبغى أن يكون نبيّاً.

قالوا: إنه يعمل بشرع الأنبياء.

وكثر اللغطفاستيقظ عمر على أصوات الجلبة، ثم استوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان.

فقال: عندما رآه : «الهرمزان»؟

قالوا: نعم.

فتأمله ورأى ما عليه فقال: أعوذ بالله من النار.

ثم قال: الحمد لله الذىأذل بالإسلام هذا وأشياعه.

يا معشر المسلمين:تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدى نبيكم، ولا تبطركم الدنيا فإنها غرارة...

فقال الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه.

فقال عمر: لا. حتىلا يبقى عليه من حليته شىء.

فقام الرجال: ورموا عنه كل شىء إلا شيئاً يستره، ثمألبسوه ثوباً صفيقاً.

فقال: يا عمر إنا وإياكم فى الجاهلية، كان الله قدخلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم،فلما كان معكم غلبتمونا.

فقال عمر: إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا.

ثم قال له:ما عذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة..؟

فقال: أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك.

قال: لا تخف ذلك.

ثم طلب ماءفأتى به فى قدح عظيم.

فقال: لو مت عطشاًلم أستطع أن أشرب فى مثل هذا الإناء.

فجئ له بماء فى إناء آخر.

فقال: أنا آمن حتى أشرب.

فقال عمر:لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه.

فقال عمر: أعيدوا عليه، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش.

فقال: لا حاجة لى فى الماء إنما أردت أن استأمن به.

فقال عمر: إنى قاتلك.

قال: قد أمنتنى...؟؟

فقال عمر: كذبت.

قال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد أمنته.

قال عمر: ويحك يا أنس، أنا أؤمن قاتل مجزأة، والبراء بن مالك..؟

والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك.

قال: قلت له: لا بأس حتى تخبرنى.

وقلت له: لا بأس عليك حتى تشربه.

فأقبل عمر على الهرمزان وقال: خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم.

عندها قال «الهرمزان»: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

عندها فرح عمر بإسلامه وفرض له ألفين وأنزله المدينة.

رحم الله البراء بن مالك.

ورضى الله عن عمر بن الخطاب.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم المرسلين، والذى قال:

«كم من ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره. منهم البراء بن مالك»(١).

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الصلح ٨ والجهاد ١٢ والأدب ٦ ومسلم فى القسامة ٢٤ وفضائل الصحابة ٢٢٥ والبر ١٣٨ والترمذى فى المناقب ٥٤، وابن ماجه فى الديات ١٦ وأحمد بن حنبل فى المسند ٣: ١٢٨ و ١٤٥، ١٦٧ (حلبى).



تذييل

تدريب الجيل الأول
على استراتيجية المعارك

تدريب الجيل الأول
على استراتيجية المعارك

صحابة رسول الله أعدهم رسولهم- ﷺ- إعداداً حربيّاً، وعلمهم استراتيجية المعارك وأسباب النصر.

قال الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١).

وأعدهم اعداداً روحياً.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾(٢).

وأيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(٤).

ولكن النصر فى النهاية: لن يكون بقوة السلاح.

ولن يكون بعدد الجنود.

ولن يكون بصلابة القلاع والحصون.

وكل هذه الأشياء عوامل لابد منها للجيش المقاتل.

ولا يصح إغفالها بحال من الأحوال.

ولكنها ليست سبباً للنصر.

ولن يتحقق النصر عن طريق العبادة، ولا عن طريق القوة الروحية.

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.
(٢) سورة التوبة آية رقم ٥١.
(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥.
(٤) سورة الأنفال آية رقم ١٢.

ولن يتحقق النصر عن طريق معرفة الله فحسب.

ولن يتحقق النصر عن طريق فرد من الأفراد.

أياً كان هذا الفرد رسولاً أو غير رسول..؟

النصر فى النهاية هو من عند الله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١).

فقد يكون المسلمون ضعفاء فى قوة السلاح، وفى غير استعداد كامل، ومع ذلك يحققون النصر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

والذليل الضعيف:

وقد يكون المسلمون أقوياء أكثر عدداً وعدة، ومع ذلك لا يحققون النصر وينهزمون. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (٣).

وإذا كان النصر من عند الله تعالى.

فعلام يترك الجهاد..؟

وفى ترك الجهاد احتلال للبلاد، ويعيش أهلها فى خوف ورعب..

ومما يخاف هؤلاء الذين ترعبهم كلمة الجهاد..؟

أيخافون القتل..؟

ومتى كان جنود الله يحرصون على الحياة وكتابهم يقول:

﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران آية ١٢٦.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٢٣.
(٣) سورة التوبة آية رقم ٢٥.
(٤) سورة النساء آية رقم ٧٤.

قدمت الآية القتل فى سبيل الله، لأن المؤمنين لا يتشبثون بالبقاء ولا يحرصون على هذه الدنيا.

الدنيا لا تساوى جناح بعوضة، كما أخبر بذلك رسولهم ﷺ ولكنهم يحرصون فقط على نشر دينهم أو الموت دون ذلك.

فإذا خرجوا لملاقاة الأعداء كان نصب أعينهم.

إما النصر المؤزر والفتح المبين.

وإما الشهادة.

ولم يكن حب البقاء فى حسابهم قط.

ولهذا قال رسول رسول الله فى مجلس الفرس.

«جئنا لكم بقوم يحبون الموت ويرغبون فيه، كما تحبون أنتم الحياة وتتمسكون بها».

وإذا كان النصر والظفر من عند الله..؟

فالهزيمة والاندحار أمام الأعداء بسبب سلوك الأفراد..؟

بسبب بعد هؤلاء المقاتلين عن ربهم وعدم تنفيذهم لأوامره.

الهزيمة تكون بسبب المعاصى التى يرتكبها أفراد المجتمع.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].

وبهذا الفهم لطبيعة الجهاد فى الإسلام.

خرج فرسان النهار، رهبان الليل. خرجوا من الجزيرة العربية ينشرون الأمن بعدالخوف.

والنور بعد الظلام، والهدى بعد الضلال، وانداحوا فى أربعة أركان الأرض.

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٣٠.

وحققوا الكثير من النصر.

وإذا كان القتال باسم الله.

وإذا كانت الحرب لرد العدوان والطغيان.

إذا كانت الحرب لنصرة الذين استضعفوا.

فلن يفلح أن يكون فى الجانب الآخر ترسانات من الأسلحة، ولن يجديهم نفعاً إن يكدسوا كل ما تفتق عنه العقل البشرى من أسلحة فاتكة مدمرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١).

ولأن قتال المؤمنين لأعدائهم بأمر من الله تعالى، وبإذن منه، وبتوقيته وقدره.

قال الله تعالى:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٢).

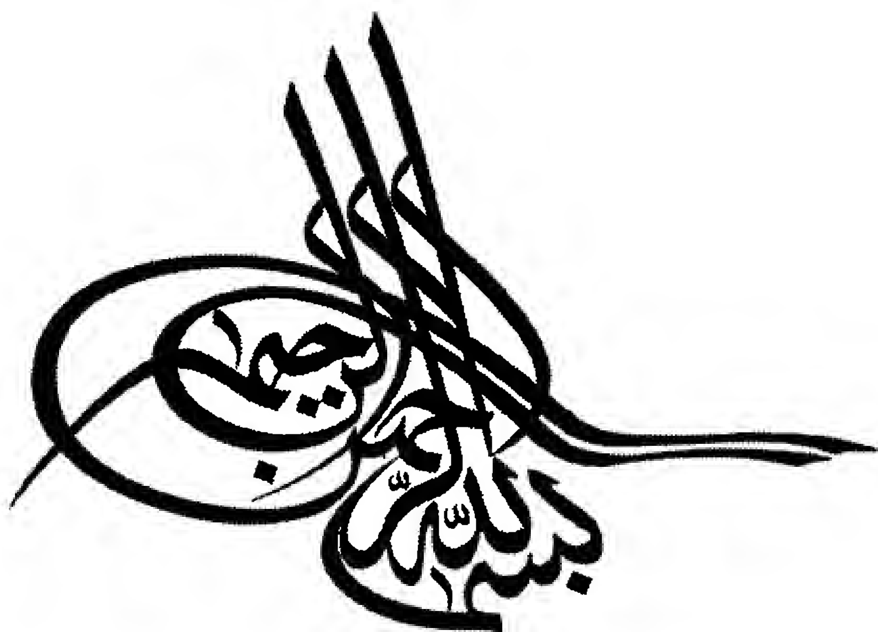
هذا وبالله التوفيق...

(١) سورة الحج آية رقم ٣٨.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٢٩.

الحسين بن على بن أبى طالب

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

(سورة الأحزاب: ٣٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال بعض رجال التفسير وكتاب السير والتاريخ نزلت هذه الآية فى آل بيت رسول الله ﷺ، السيدة فاطمة الزهراء وزوجها الإمام على وابنهم الإمام الحسن وابنهم الإمام الحسين- رضي الله عنهم.

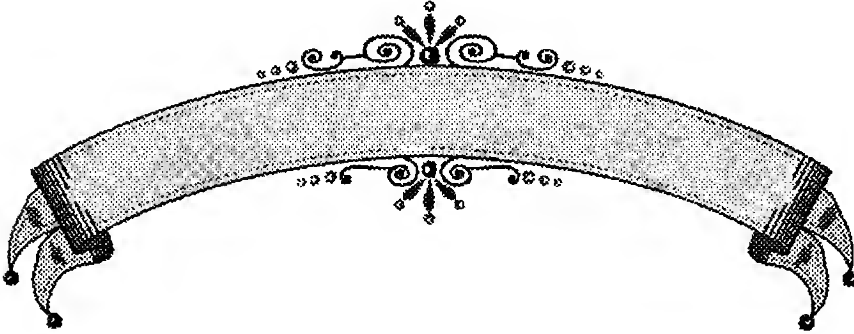
قال فى ذلك الواحدى فى كتابه أسباب النزول ص٢٣٩.

وذكره القرطبى فى التفسير ١٤ ص١٨٣.

وقاله ابن كثير فى التفسير ج٥ ص٤٥٤.

وذكره الإمام مسلم فى صحيحه ج١٥ ص١٩٥.

فمن هو الإمام الحسين..؟



قال الرسول ﷺ:

«حسين منى وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا»

لم ينس المسلمون صورة الرسول - ﷺ - وهو آخذ بكتفى الحسين وقدماه على قدميه يرقصه قائلاً: ترق، ترق، فما يزال الصبى يرقى حتى يضع قدميه على صدر جده فيقول له: افتح فاك فيفتحه ويقبله- ﷺ وهو يقول: اللهم أحبه فإنى أحبه.

رواه الإمام مسلم- شرح النووى جـ ١٥ ص١٩٥


الحسين بن على رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

تربى فى بيت النبوةوتسمعت أذناه آيات الوحى المتتابع وشاهد المسلمين فى مسجد- الرسول ﷺ - وهم يقومون الليل ويصومون النهار.

وفتّح عينه على المعارك الضارية التى خاضها المسلمون ضد الشرك وعصابته، وضد الأصنام وعبّادها.

والده : على بن أبى طالب فارس الفرسان والذى حماه الله سبحانه وتعالى من الجلوس أمام صنم أو السجود لغير الله تعالى.

وعندما آخى رسول الله- ﷺ - بين المهاجرين والأنصار وفرغ من ذلك. أخذ بيد على بن أبى طالب وقال:

«هذا أخى. وفى رواية «أنت أخى فى الدنيا والآخرة»[1] .

فكان رسول الله- ﷺ - سيد المرسلين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذى ليس له نظير ولا مثيل من العباد، وعلى بن أبى طالب أخوين».

وأمه فاطمة الزهراء- رضي الله عنها - بنت رسول الله- ﷺ ، وأم الحسن والحسين سيدا شباب الجنة. والذى كان الرسول- ﷺ - يقول عنهما :

«هذان ابناى وابنا ابنتى، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»[2] .

فاطمة التى قال عنها رسول الله - رضي الله عنه :

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى المناقب: مناقب الإمام على بن أبى طالب ورواه الإمام أحمد فى المسند.

(٢) صحيح مسلم ١٥- ١٧٦.

«فإن ابنتى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما أذاها، وإنى أتخوف أن تفتن فى دينها»(١).

قال الرسول - ﷺ - ذلك عندما فكر الإمام على- رضي الله عنه - أن يتزوج من ابنة أبى جهل العدو الأول للإسلام والمسلمين وكان للحسن والحسين مكانة خاصة فى قلب الرسول - ﷺ - عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله- ﷺ:-

«حسين منى وأنا من حسين أحبَّ الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»(٢).

النشأة والحياة

لقد نشأ الحسين- رضي الله عنه - فى مدينة الرسول - ﷺ - وكانت المدينة فى ذلك الوقت تموج بالوفود لمقابلة الرسول - ﷺ - لتعلن إسلامها. وتتفقه فى أمور دينها، وكان فى الجانب الآخر جيش الإسلام، الذى يعد العدة، ويجهز أدوات القتال للدخول فى معارك ضد هؤلاء المناوئين للإسلام الشانئين لأهله واستمر الوضع على ذلك حتى وفاة الرسول - ﷺ - واختيار أبى بكر الصديق رضي الله عنه - خليفة للمسلمين- وكيف تم امتناع بعض القبائل العربية عن دفع الزكاة لأبى بكر، بحجة أن هذه الزكاة كانت لرسول الله- ﷺ خاصة- وقد مات فلا تدفع لغيره.

ثم كانت حروب الردة، وكان الحسين فى ذلك الوقت فتًى يافعاً استظهر الكثير من آيات القرآن الكريم، وتدرب على أساليب الحرب والقتال، ولكن قادة الجيوش كانوا لا يقبلون هؤلاء الفتية معهم لخوض المعارك، والدخول فى أهوال القتال.

ثم جاء يوم نعى الناعى للمسلمين خليفتهم أبا بكر الصديق، واختيار عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - بدلاً منه.

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند جـ ٤ ص ٣٨ والإمام مسلم جـ ١٦ ص٤.

(٢) رواه الترمذى، وقال: هذا حديث حسن، وورواه أحمد عن عفان بن وهب.

عمر الذى وصفته امرأة من النساء بقولها:

«هذا رجل فرغ من دنياه وكأنه ينظر لربه بعينيه».

ويقول عنه الرسول -ﷺ- :

«إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

وقال عنه أيضاً:

«إنه قد مضى من الأمم قبلكم ناس محدَّثون، وإنه إن كان فى أمتى هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب».

وتطرق هذه الكلمات سمع الفتى اليافع، الحسين بن على، فيذهب إليه: يا عماه أريد أن أسمع منك. ولقد سمعت عنك الكثير، ويرحب عمر بالحسين سبط رسول الله- ﷺ - ويهش فى وجهه ويجلسه بجواره ويقول له: يا ابن أخى: ماذا تريد أن تعرف عن عمر بن الخطاب..؟

ويتابع عمر حديثه قائلاً:

«كنت مع رسول الله- ﷺ- فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى عنه:

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى، فلم أزل مع رسول الله -ﷺ - على ذلك حتى توفاه الله، وهو عنى راضٍ، والحمد لله كثيراً على ذلك، وأنا به أسعد.

فلما ولى أمر المسلمين أبو بكر فكان من لا ينكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه أخلط شدتى بلينه، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى».

ويزداد إعجاب الفتى بالخليفة عمر بن الخطاب- حتى إنه يحضر

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

مجلسه مع كبار الصحابة، برفقة أبيه، ليتسمع إلى عمر، الرجل القوى العادل والمؤمن الذليل الخاشع.

ولكن تمر الأيام وتكر الليالى ويسمع الحسين- رضي الله عنه - خبراً أرَّق المسلمين، وجعلهم يعيشون فى مأتم كبير وحزن دائم. لقد قتل الخليفة عمر، بيد أجنبية آثمة. عن طريق مؤامرة دنيئة تريد أن تنال من الإسلام والمسلمين.

ثم شغل الحسين، بدينه، والتفقه فيه، وذلك بالعكوف فى مسجد الرسول - ﷺ - ويحاول أن يعرف أخبار الأمم الغابرة، وأحوال الدول البائدة. وخصوصاً بعد مقتل الخليفة عثمان- رضي الله عنه - وانشغال المسلمين بالفتن المتلاحقة، الفتن التى جعلت أباه يدخل فى معارك طاحنة. لا خارج الجزيرة العربية كما كان يحدث سابقاً فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر- ولكن معارك داخلية، كان لها أسوأ الأثر فى تفتيت وحدة المسلمين وتمزيق شملهم.

لقد تتابعت الحوادث تتابعاً سريعاً.

لقد ماتت أمه فاطمة الزهراء التى كان يلقى عندها الحنان والحب والعطف والكلمة الحانية الرقيقة.

ثم قتل والده على بن أبى طالب - رضي الله عنه - اعتدت عليه يد آثمة، ضربه عبد الرحمن بن ملجم، ثم قبض عليه وأوقف بين يديه وهو مكتوف- قبحه الله- فقال له على: أى عدو الله ألم أحسن إليك..؟

قال: بلى..

قال: فما حملك على هذا..؟

قال: شحذته أربعين صباحاً «يقصد السيف» وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال له على: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه، ثم قال إن مت فاقتلوه، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به، فقال جندب بن عبد الله يا أمير المؤمنين: إن مت نبايع الحسن..؟

فقال- رضي الله عنه-: لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر.

ثم جلس الحسين بجوار أخيه الحسن يتسمعان إلى آخر ما ينطق به أباهما فى دار الدنيا وهو يقول:

«أوصيك يا حسن وأنت يا حسين وجميع ولدى، ومن بلغه كتابى: بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإنى سمعت أبا القاسم يقول:

«إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».

انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب إلخ ثم فاضت روحه إلى بارئها. وقد غسله ابناه الحسن والحسين رضوان الله عليهما.

ثم عاش الحسين بعد مقتل والده، يجتر أحزانه، ويطلب من ربه الصبر والسلوان، وهو لا يكف عن العبادة، ويقوم الليل إلا قليلاً، ثم يلتقى بأخيه الحسن بين الفينة والفينة.

حتى جاء يوم وسمع بمرض أخيه الحسن فذهب إليه فوجد الطبيب عنده.

فقال الحسين للطبيب ما به...؟

قال: هذا رجل قطَّع السُّم أمعاءه..

فقال الحسين: يا أبا محمد أخبرنى عمن سقاك السم..؟؟

قال الحسن: ولم يا أخى..؟

قال الحسين: أقتله وأقتص منه قبل أن أواريك التراب، حتى ولو كان بأرض بعيدة أتكلف الذهاب إليه.

قال الحسن: يا أخى إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقى أنا وهو عند الله.. وأبى أن يسميه.

ثم عاش الحسين بعد فقد الحسن غريباً فى بلده، وحيداً بين أهله، ضارعاً إلى ربه أن يلهمه الصبر والسلوان.

دعوة أهل العراق الحسين ليكون خليفة للمسلمين

مات معاوية -رضي الله عنه- وتم أخذ البيعة لابنه يزيد من أهل الشام ولكن بقى الكثير من المسلمين فى الولايات الإسلامية،يرفضون خلافة يزيد بن معاوية، ويتطلعون إلى خلافة الحسين ابن الإمام على-رضي الله عنه- وحفيد الرسول-ﷺ- وابن فاطمة الزهراء بنت أكرم الخلق على الله تعالى.

وأخذت الكتب والرسل تأتى الحسين -رضي الله عنه- يدعونه إلى العراق ليبايعوه خليفة للمسلمين.

ويقسموا له أنهم لم يبايعوا أحداً، وأنهم ينتظرون قدومه إليهم حتى تتم البيعة له..

إن العراقيين بعامة، وأهل الكوفة بخاصة، لهم جروح دامية فى قلب الإمام على وابنه الحسين- **رضوان الله عليهما** .

فهل عادوا إلى رشدهم، وأرادوا التكفير عن أخطائهم وأقدموا على التوبة الخالصة الصادقة عما بدر منهم **تجاه** زوج فاطمة الزهراء وابنها الحسن..

لعلهم يكونون صادقين هذه المرة، ويعملون على وضع الأمر فى نصابه وتسليم الحق لأصحابه.

وعندما وصل الحسين إلى هذه النتيجة **كلف** ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالذهاب إلى العراق **ليكشف** حقيقة القوم، ويتعرف على نواياهم، وما عقدوا العزم عليه.

ولما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وتسامع أهلها بقدومه، وفدوا عليه، **وجاءته** جموعهم يبايعونه على إمرة الحسين، وحلفوا بكل الأيمان لينصرنه إن جاء، **وليقدمن** أنفسهم وأموالهم فداء له، واجتمع على بيعته فى

أيام قليلة أكثر من ثمانية عشر ألفاً.

وما كاد خطاب مسلم يصل إلى الحسين حتى تغيرت الأمور بالكامل. عندما علم يزيد بن معاوية وأعوانه بما حدث فى الكوفة. فتم عزل النعمان ابن بشير عنها، وتولية عبيد الله بن زياد عليها. وتم قتل مسلم بن عقيل وأتباعه وأعدت العدة وجيشت الجيوش لمحاربة الحسين، إن وطئت أقدامه أرض العراق. حدث كل هذا والحسين لا يعلم شيئاً عنه.

الحسين وتجهيز حملته إلى العراق

ما كاد يصل خطاب مسلم بن عقيل إلى الحسين رضوان الله عليه- حتى أخذ يعد نفسه للرحيل إلى العراق، ومعه أهله وذوه ومحبوه وجنده، وما كاد يعلم بذلك عبد الله بن العباس ﷺ حتى ذهب إليه. ثم قال له:

يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لى ما أنت صانع.

قال: إنى أجمعت المسير فى أحد يومى هذين إن شاء الله تعالى.

فقال ابن عباس: أخبرنى إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم، ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم..

وإن كان أميرهم حى، وهو مقيم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك أن يستنفروا عليك الناس، ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذى دعوك أشد الناس عليك.

فقال الحسين: إنى أستخير الله وأنظر ما يكون.

فلما كان من العشى أو من الغد. جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له: يا ابن عم. إنى أتصبَّر ولا أصبر، إنى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم.

أقم فى هذا البلد حتى ينفى أهل العراق عدوهم، ثم أقدم عليهم، وإلا فسر

إلى اليمن فإن بهم حصوناً وشعاباً، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس فى معزل، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم، فإنى أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب.

فقال الحسين: يا ابن عم. والله إنى لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكنى قد أزمعت المسير.

فقال له: فإن كنت ولابد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه.

وقال الشعبى: كان ابن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بمكة فبلغه أن الحسين بن على قد توجه إلى العراق.

فسار خلفه لحقه مسيرة ثلاث ليال، فقال: أين تريد..؟

قال: العراق.

ثم أخرج له ما معه من كتب ورسائل من أهل العراق.

فقال ابن عمر: لا تأتهم. فأبى.

فقال ابن عمر: إنى محدثك حديثاً، إن جبريل عليه السلام أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله، والله ما يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم.

فأبى أن يرجع..

قال: فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل.؟؟

ثم التقى به أبو سعيد الخدرى- رضي الله عنه - فقال:

يا أبا عبد الله إنى لكم ناصح، وإنى عليكم مشفق، وقد بلغنى أنه قد كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإنى سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملونى وأبغضونى وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز منهم فاز بالسهم الأخيب، والله

ما لهم نيات، ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف.

وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره، أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه وتقول أشهد لقد سمعت عائشة أم المؤمنين- رضى الله عنها- تقول:

«إنها سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

«يقتل الحسين بأرض بابل[1]..؟؟».

فلما قرأ كتابها قال: فلابد لى إذاً من مصرعى ومضى». ثم إن الحسين لقى الفرزدق فى الطريق فسلم عليه وقال: أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب..

فسأله الحسين عن أمر الناس وما وراءه..؟

فقال: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء.

فقال له: صدقت لله الأمر من قبل ومن بعد يفعل الله ما يشاء..

ثم حرك الحسين راحلته وقال: السلام عليكم ثم افترقا.

وسار الحسين- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حتى وصلوا إلى مكان. فقال الحسين للأدلاء ما إسم هذا المكان:؟

قالوا: كربلاء.

عندها قال الحسين: كرب وبلاء..؟؟

(١) بلدة قريبة من الكوفة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر، وقال المفسرون إن الله عناها بقوله: «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» ويقال إن أول من عمرها نوح عليه السلام بعد الطوفان. وسكنها فرعون وإبراهيم وبخت نصر. الذى غرب وقتل بنى إسرائيل.

مقتل الحسين رضي الله عنه

عن على بن الحسين زين العابدين قال: إنى لجالس تلك العشية التى قتل أبى فى صبيحتها، وعمتى زينب تمرضنى إذا اعتزل أبى فى خبائه، ومعه أصحابه وعنده «حوى» مولى أبى ذر الغفارى وهو يعالج سيفه يصلحه ويقول:

يا دهر أف لك من خليل

كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل

والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل

وكل حى سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى حفظتها، وفهمت ما أراد فخنقتنى العبرة فرددتها، ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل..؟؟

عندها صاحت عمتى وقالت: واثكلاه.

فقال لها: يا أخية اتق الله واصبرى، وتعزى بعزاء الله. واعلمى أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شىء هالك إلا وجه الله، الذى خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقهره وعزته.

بات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون ويستغفرون، ويدعون ويتضرعون وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم.

والحسين يقرأ قول الله تعالى:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾(١).

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٧٨ و ١٧٩.

فلما صلى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة، وكان يوم عاشوراء انتصب للقتال، وصلى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً فصفهم أيضاً.

ثم ركب الحسين على فرسه، وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعاً يديه، ونادى الناس قائلاً لهم: اسمعوا منى نصيحة أقولها لكم فأنصت الناس كلهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس إن قبلتم منى وأنصفتمونى كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علىَّ سبيل وإن لم تقبلوا منى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ﴾(١)، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٢).

ثم شرع يذكر للناس فضله ونسبه وعلو قدره ويقول:

راجعوا أنفسكم وحاسبوها. هل يصلح لكم قتال مثلى وأنا ابن بنت نبيكم وليس على وجه الأرض ابن بنت نبى غيرى، وعلىٌّ أبى، وجعفر الطيار ذو الجناحين عمى، وحمزة سيد الشهداء عم أبى..؟

وقال لى رسول الله - ﷺ - ولأخى: «هذان شباب أهل الجنة»(٣).

أما تتقون الله؟.

أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى..؟

ثم قال أيها الناس ذرونى أرجع إلى مأمنى من الأرض..؟

فقالوا: وما يمنعك أن تنزل على حكم بنى عمك.. ؟

فقال: معاذ الله: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾(٤).

---

(١) سورة يونس آية رقم: ٧١ (٢) سورة الأعراف آية رقم: ١٩٦

(٣) الحديث رواه الترمذى فى المناقب ٣٠ وابن ماجه فى المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل فى المسند ٣:٢، ٦٢، ٦٤، ٨٢، ٥: ٣٩١ (حلبى). (٤) سورة غافر آية ٢٧.

ثم قال: أخبرونى أتطلبون بقتيل لكم قتلته..؟

أتطلبون بمال لكم أكلته..؟

أو بقصاصة من جراحة..؟

فأخذوا لا يكلمونه قال فنادى: يا شبيث بن ربعى، يا حجار بن أبجَر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلىَّ أنه قد أينعت الثمار، وأخضر الجناب، فأقدم علينا فإنك إنما تقدم على جند مجندة..؟

فقالوا له: لم نفعل.

فقال: سبحان الله، والله لقد فعلتم. ثم قال: أيها الناس، إذ قد كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم.

فقال له: قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بنى عمك فإنهم لن يؤذوك ولا ترى منهم إلا ما تحب..؟

فقال له الحسين: لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقر لهم إقرار العبيد..؟؟

وتزاحف الجيشان وتلاحمت السيوف وتطايرت الرقاب، وقتل الحسين رضوان الله عليه- وأسكنه فسيح جناته.

قتل الحسين بالسيوف المسلمة.

قتل الحسين بأبناء الرجال الذين طالما قاتلوا فى سبيل الله لرفع راية الله قتل الحسين.

لأن الله سبحانه وتعالى قدَّره وأراده، ولا راد لقضاء الله وقدره.

من مناقب الحسين رضي الله عنه

يقول الحسن بن على عن أخيه الحسين- رضي الله عنهما:

إنى أخبركم عن أخ لى من أعظم الناس فى عينى، وكان أعظم ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينيه، وكان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشترى ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد.

وكان خارجاً عن سلطان فرجه فلا يستخف له عقل ولا راية، وكان خارجاً عن سلطان جهله فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، ولا يخطو خطوة إلا لحسنة، وكان لا يسخط ولا يتبرم.

وكان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على الصمت.

وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، وكان لا يشارك فى دعوى ولا يدخل فى مراء، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضياً يقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً.

وكان إذا ابتدأ أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه.

إن هذه الآداب التى تحلى بها الحسين رضوان الله عليه- مستقاة من أدب الرسول- ﷺ- الذى لا ينطق عن الهوى.

إن الرسول - ﷺ- قال: «إن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة» وهذا ما جعل الدنيا صغيرة جداً فى نظر الحسين.

وكان قنوعاً لا يأكل إلا القليل لقول الرسول - ﷺ- المسلم يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء.

وكان يتحكم فى شهواته فلا تغلبه، ولا يتطلع إلى غير ما أحله الله تعالى له، وكيف يفعل ذلك أو يفكر فيه والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾(١).

وكيف يكون الحسين جهولاً، وقد تربى على مائدة النبوة، ونهل من ينابيع الوحى الإلهى، وقرأ قول الله تعالى:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢).

ويقال: إن الإمام على بن أبى طالب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سأل ابنه الحسين عن أشياء من المروءة فقال:

يا بنى ما السداد..؟؟

قال: يا أبه السداد دفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف..؟

قال: اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة.

قال: فما المروءة..؟

قال: العفاف وإصلاح المرء ماله.

قال: فما الدنية..؟

قال: النظر فى اليسير ومنع الحقير.

قال: فما السماحة..؟

قال: البذل فى العسر واليسر.

قال: فما الشح..؟

قال: أن ترى ما فى يدك سرفاً، وما أنفقته تلفاً.

قال: فما الإخاء..؟

قال: الوفاء فى الشدة والرخاء.

(١) سورة الأنعام آية ١٥١.

(٢) سورة لقمان الآيات ١٧- ١٨.

قال: فما الجبن..؟

قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

قال: فما الغنيمة..؟

قال: الرغبة فى التقوى، والزهادة فى الدنيا.

قال: فما الحلم..؟

قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قال: فما الغنى..؟

قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل، فإنما الغنى غنى النفس عندها قال الإمام على- رضي الله عنه - يا بنى سمعت رسول الله- ﷺ - يقول: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أفضل من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسن كحسن الخلق. ثم قال: لا ورع كالكف عن محارم الله، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الشجاعة البغى، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحب الفخر.

ثم قال على: يا بنى لا تستخفن برجل تراه أبداً فإن كان أكبر منك فعده أباك وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك.

وقال على بن العباس الطبرانى: كان على خاتم الحسن أو الحسين بن على مكتوباً:

قدم لنفسك ما استطعت من التقى

إن المنيـــة نازلة بك يا فـــتى

أصـبـحت ذا فـرح كـأنك لا ترى

أحـبـاب قلبك فى المقـابر والبلى

قال المدائنى: جرى بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله.

فقام الحسين فقبله أيضاً. وقال: إن الذى منعنى من ابتدائك بهذا أنى رأيت أنك أحق بالفضل منى فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به منى.

والحسين- رضي الله عنه - نظر فى ذلك إلى حديث الرسول- ﷺ -: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»(١).

من أشعار الحسين رضي الله عنه

استغن عن المخلوق بالخالق ... تسد على الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غيرُ الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه ... فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه ... زلت به النعلان من حالق

وقال أيضاً:

كلما زاد صاحب المال مالاً ... زيد فى همه وفى الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيـ ... ـش ويا دار كل فان وبالى
ليس يصفو لزاهد الزهـ ... ـد إذا كان مثقلاً بالعيال

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب ٨- باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعى ٢٥- ٢٥٦ بسنده عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: وذكره، ورواه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ٢١- ١٩٣٢ بالسند السابق. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ثم قال وقد زار مقابر الشهداء بالبقيع:

ناديت سكان القبور فأُسكتوا	وأجابنى عن صمتهم ترب الحصا
قالت أتدرى ما فعلت بساكنى	مزقت لحمهمُ وخرّقت الكسا
وحشوت أعينهم تراباً بعدما	كانت تأذى باليسير من القذا
أما العظام فإننى مزقتها	حتى تباينت المفاصل والشوا
قطعت ذا زادٍ من هذا كذا	فتركتها رمماً يطوف بها البلا

وقال مقارناً بين الدنيا والآخرة:

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة
فهذا ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشأت
فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل
وإن كانت الأرزاق شيئاً مقدرا
فقلة سعى المرء فى الرزق أفضل
وإن كانت الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يبخلُ..؟[1]

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٠٩.


تذييل
البلاء فى منهج الإسلام

البلاء فى منهج الإسلام

هل لابد من البلاء ما دمنا فى هذه الدنيا..؟ ولماذا ينزل البلاء على الفئة المؤمنة أكثر من غيرها.. ؟

إن البلاء ينزل أكثر ما ينزل على الصفوة المختارة من عباد الله ولهذا يقول الله تعالى:

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾(١).

ويقول أيضاً:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾(٢).

إذن هذه الحياة خلقت لكى يجاهد فيها الإنسان. والجهاد لا يختص بنوع دون نوع، ولكنه يشمل الحياة كلها ولهذا يقول الرسول ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

إذن لابد من الجهاد لتعمير هذا الكون.

ولابد من الجهاد ضد أعداء الله وأعداء دينه، هؤلاء الذين يعيثون فى الأرض فساداً، ويملؤونها شروراً وآثاماً..

ولابد من الجهاد لأداء فرائض الله، فلا خمول ولا كسل، ولا تهاون ولا ضعف، وإنما هو الجد والعمل.

وكل هذه الأشياء تتطلب صبراً طويلاً ومعاناة مستمرة إذن لابد من الصبر على أداء الطاعات.

والصبر على مقاومة الشهوات والبعد عن المعاصى.

(١) سورة محمد آية رقم ٤.   (٢) سورة محمد آية رقم ٣١.

والصبر على جهاد الشانئين المخالفين لشرع الله.

والصبر على كيد الأعداء، وكيد الأصدقاء وفتنة الأزواج والأولاد.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾(١).

والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد المشقة، والصبر على انتصار الباطل والصبر على قلة الناصر، والصبر على التواء النفوس وضلال القلوب، وعناد المعاندين، وسفه المتكبرين.؟

ولهذا يقول الله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٢).

والمستعرض لسنة الله في خلقه- يرى أنواع البلاء التي تنزل على الصفوة المختارة من عبيده فآدم عليه السلام: يُبتلى بإبليس أبغض الخلق إلى الله تعالى، العاصي لأمر الله، الفخور بأصله وخلقه. هذا المخلوق يكيد لآدم ويبتليه حتى يأكل من الشجرة.

قال تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾(٣).

وكان لنوح عليه السلام عدو لئيم هو عوج بن عناق زعيم الكفرة الواقف أمام دعوة الإيمان أن تصل إلى قلوب عباد الله. حتى قال نوح عليه السلام:

(١) سورة التغابن آية رقم ١٤.

(٢) سورة البقرة الآيتان ١٥٥- ١٥٦.

(٣) سورة طه الآيات ١٢٠- ١٢٣.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾(١).

وكان لصالح مصرع بن مهرج وقدار بن سالف، واستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورن فى قوله تعالى:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾(٢).

ثم قال: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾(٣) عقر ناقة نبى الله صالح وكان فى هذا بلاء أى بلاء ثم عاجلهم الله بالعقوبة قال الله تعالى:

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(٤).

وموسى عليه السلام يبتلى بفرعون: الذى ادعى الألوهية، وكفر بربه وقال عن موسى عليه السلام لقومه: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(٥).

وزكريا عليه السلام يقتله هدار بن هدار بإشارة من امرأة سيئة السمعة، قتل زكريا عن طريق أيد آثمة وتحز رقبته لتقدم هدية لهذه المرأة الشقية زكريا الذى قال الله تعالى عنه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٦).

وعيسى عليه السلام الذى قال عن نفسه كما جاء فى كتاب الله تعالى:

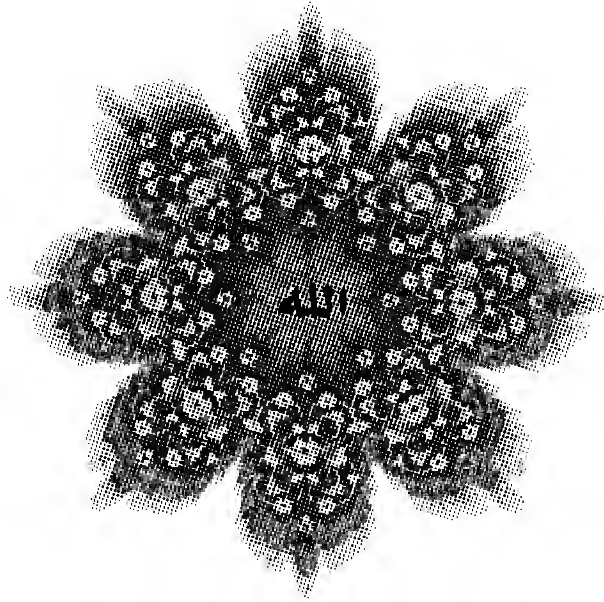
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي

(١) سورة نوح آية رقم ٢٧.
(٢) سورة النمل آية رقم ٤٨.
(٣) سورة القمر آية رقم ٢٩.
(٤) سورة الأعراف آية ٧٧- ٧٨.
(٥) سورة غافر آية رقم ٢٦.
(٦) سورة الأنبياء آية رقم ٨٩- ٩٠.

بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (١).

وعيسى عليه السلام يسلط عليه داود بن نورا مجموعة من شيعته بقتله وصلبه ولكن الله أنجاه من مكره وغدره قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (٢).

والحسين بن بنت رسول الله- ﷺ- تقتله الفئة الباغية بعد أن حالت بينه وبين شربة ماء. ولكن الله انتقم منهم، وقتلهم شر قتلة ومزقهم كل ممزق. وصدق ربى فى قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (٣).



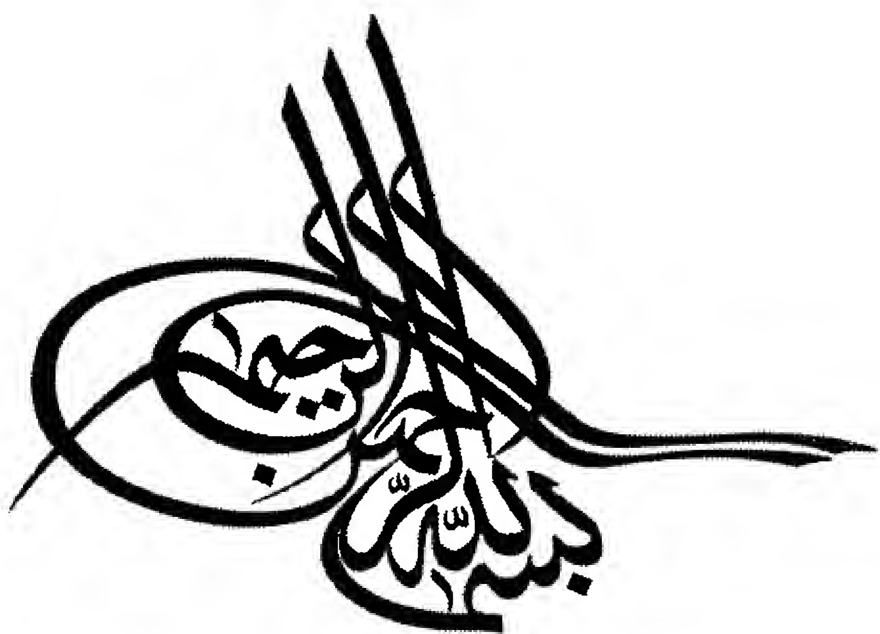
(١) سورة مريم آية رقم ٣٠، ٣١ .

(٢) سورة النساء آية ١٥٧.

(٣) سورة الفجر آية رقم ١٤.

عمرو بن العاص بن وائل القرشى

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(سورة البقرة الأيتان: ١٦٣- ١٦٤)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

ذكر المفسرون أن هذين الآيتين نزلتا فى كفار مكة ومنهم عمرو بن العاص رضي الله عنه قبل إسلامه.

أخرجه ابن جرير فى التفسير ٢ : ٣٧.

وذكره ابن كثير فى التفسير عند حديثه عن هاتين الآيتين.

وذكره السيوطى فى الدور المنشور ١ : ١٦٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبى الشيخ.

وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٥١.

فمن هو عمرو بن العاص..؟



حياته ونشأته

فارس من فرسان قريش فى الجاهلية والإسلام.

وشاعر محلق يقرض الشعر ويرويه.

ومن شعره فى أبيات يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشى:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه

ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما

قضى وطراً منه وغادر سبة

إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

نشأ على بطحاء مكة وجبالها. وكان رامياً لا يشق له غبار، وتعلم فنون الصيد والقنص، ومداعبة الخيل، والقفز على ظهورها وهى تسابق الريح جرياً. ومقاتل محاور، يعرف كيف يسد على عدوه منافذ الطرق، ويطعنه فى مقتل.

كان مجانباً للإسلام وزاهداً فيه، حتى أراد الله تعالى فشرح صدره لدينه.

والده: العاص بن وائل من سراة قريش وأولى الرأى فيها. وأحد رجال الندوة وأفذاذها.

وأمه النابغة بنت حرملة سبية من عنيزة!؟

وذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر فسأله:

فقال عمرو: أمى سلمى بنت حرملة، من بنى عنيزة، ثم من بنى عجلان أصابتها رماح العرب، فبيعت بسوق عكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت.

ثم التفت إلى السائل قائلاً: فإن كان قد جعل لك شيئاً فخذه؟؟.

وابنه عبد الله بن عمرو بن العاص.

«كان فاضلاً حافظاً عالماً، قرأ القرآن والكتب المتقدمة، واستأذن النبى ﷺ فى أن يكتب حديثه فأذن له قال يا رسول الله أريد أن أكتب كل ما أسمع منك فى الرضا والغضب قال: نعم فإنى لا أقول إلا حقاً»(١).

أسلم عمرو بن العاص- رضي الله عنه- وحسن إسلامه وأسلم على أرض الحبشة عند مليكها «النجاشى».

وكان عمرو أحد دهاة العرب فى أمور الدنيا المقدمين فى الرأى والمكر والدهاء. وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا استضعف رجلاً فى رأيه وعقله قال:

«أشهد أن خالقك وخالق عمرو بن العاص إله واحد» يريد خالق الأضداد.

وله دراية بأساليب الحكم وسياسة الشعوب، وفراسة واسعة بنفوس البشر.

ولاه رسول الله- ﷺ- على عمان فساس أمورها وأصلح أحوال رعيتها. وجدد طرقها. ودعاهم إلى الإسلام وبين لهم محاسنه، وأنه خاتم الأديان السماوية، فاستجابت له الرعية. وكان يرسل بعض الرعية إلى رسول الله- ﷺ ليتفقوا فى دينهم، ويعرفوا تعاليم ربهم، امتثالاً لأمر الله تعالى فى كتابه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢).

(١) التقى كعب الأحبار، وعبد الله بن عمرو فقال كعب: أتطير..؟ قال: نعم. قال: فما تقول؟ قال: أقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك عليك توكلت وإليك أنيب. فقال كعب: أنت أفقه العرب. والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

(٢) سورة التوبة آية: ١٢٢.

واستمر عمرو والياً على عمان حتى وفاة الرسول- ﷺ -.

ولما مات يزيد بن أبى سفيان، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلسطين والأردن. فعاش فيها فترة والياً وأميراً، حتى جاء عمر بن الخطاب لزيارة الشام والتعرف على أحوال المسلمين على أرضها فطلب منه عمرو بن العاص أن يأذن له فى فتح مصر، وأخذ يذكر له ما فيها من الخيرات والكنوز ويذكره بحديث الرسول- ﷺ - إذا فتح الله عليكم مصر. فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم ذمة ونسباً.

عندها أذن له عمر- رضي الله عنه فى فتح مصر- ففتحها بعد أن أمده عمر رضي الله عنه بالجنود والرجال، ولم يزل عمرو والياً على مصر - حتى وفاة عمر- رضي الله عنه .

ولما تم اختيار الخليفة عثمان بن عفان- ﷺ - أقره على ولاية مصر أربع سنوات أو نحوها، ثم عزله- وولاها: لعبد الله بن سعد بن أبى السرح العامرى، وكان ذلك بدء الشر بين عمرو وعثمان- رضي الله عنهما .

عندها اعتزل عمرو فى ناحية فسلطين، وكان يأتى المدينة أحياناً ويطعن فى خلال ذلك على عثمان- رضي الله عنه .

فلما قتل عثمان- سار عمرو إلى معاوية بن أبى سفيان الوالى على دمشق فى ذلك الوقت يحرضه على الإمام على بن أبى طالب- رضي الله عنه - ويشجعه على ألا يبايعه على الخلافة.

وشهد صفين مع معاوية، وتولى أمر التحكيم بين جيش على وجيش معاوية.

ثم كانت الفتنة التى اشتعل أوارها بين المسلمين- الفتنة التى بددت الشمل، وشتتت القوة، وأعادت سيوف المسلمين إلى داخلهم تقتل وتحصد، لا تبقى ولا تذر.

إسلام عمرو بن العاص

يقول الحافظ البيهقى بسنده عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال:

قال عمرو بن العاص- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كنت للإسلام مجانباً معانداً، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت.

ثم حضرت أحداً فنجوت.

ثم حضرت الخندق فنجوت.

قال: فقلت فى نفسى كم أوضع. والله ليظهرن محمداً على قريش، فلحقت بمالى وأقللت من لقاء الناس، فلما حضرت الحديبية، وانصرف رسول الله- ﷺ - فى الصلح، ورجعت قريش إلى مكة. جعلت أقول يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه.

إذن ما مكة ولا الطائف بمنزل، ولا شىء خير من الخروج، وأنا بعد نائى عن الإسلام، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم، فقدمت مكة، وجمعت رجالاً من قومى، وكانوا يرون رأيى ويسمعون منى، ويقدموننى فيما نابهم من الأمر. فقلت لهم: كيف أنا فيكم..؟

قالوا: ذو رأينا ومدرنا فى يمن نفس وبركة أمر.. ؟؟

قال: قلت تعلمون أنى والله لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنى قد رأيت رأياً.

قالوا: وما هو..؟

قلت: نلحق بالنجاشى فنكون معه، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشى نكون تحت يد النجاشى أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا..؟؟

قالوا: هذا الرأى.

قال: قلت فاجمعوا ما نهدى له- وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم.

فحملنا أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشى، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمرى- وكان رسول الله - ﷺ - قد بعثه بكتاب كتبه للنجاشى يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان.

فدخل عليه، ثم خرج من عنده. فقلت لأصحابى: هذا عمرو بن أمية، ولو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه. فإذا فعلت ذلك سرَّت قريش، وكنت قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد..؟؟

فدخلت على النجاشى فسجدت له كما كنت أصنع.

فقال: مرحباً بصديقى، أهديت لى من بلادك شيئاً..؟

قال: قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدماً كثيراً، ثم قدمته فأعجبه، وفرق منه شيئاً بين بطارقته، وأمر بسائره فأدخل فى موضع وأمر أن يخزن ويحتفظ به، فلما رأيت طيب نفسه. قلت أيها الملك إنى رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا، وخيارنا، فأعطنيه فأقتله.. ؟؟

فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه كسره، فابتدر منخراى، فجعلت أتلقى الدم بثيابى، فأصابنى من الذل ما لو انشقت بى الأرض دخلت فيها فرقاً منه.

ثم قلت:

أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك.

قال: فاستحيا وقال: يا عمرو تسألنى أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، والذى كان يأتى عيسى لتقتله..؟

قال عمرو: فغير الله قلبى، عما كنت عليه.

وقلت فى نفسى: عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت.

ثم قلت: أيها الملك أتشهد بهذا..؟

قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو، فأطعنى واتبعه، فوالله إنه لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قلت: أتبايعنى أيها الملك له على الإسلام..؟

قال: نعم فبسط يده فبايعنى على الإسلام، ثم دعا بطست فغسل عنى الدم. وكسانى ثياباً، وكانت ثيابى قد امتلأت بالدم فألقيتها.. ثم خرجت على أصحابى فلما رأوا كسوة النجاشى سروا بذلك.

وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت..؟

فقلت لهم: كرهت أن أكلمه فى أول مرة. وقلت أعود إليه.

فقالوا: الرأى ما رأيت.. ؟؟

قال: ففارقتهم، وكأنى أعمد إلى حاجة فعمدت إلى موضع السفن، فوجدت سفينة قد شحنت وهى تستعد للسير.

قال: فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة، وخرجت من السفينة ومعى نفقة فابتعت بعيراً، وخرجت أريد المدينة.

وفى الطريق مررت على مر الظهران ثم مضيت حتى إذ كنت بالهدة فإذا رجلان قد سبقانى بغير كثير، يريدان منزلاً، وأحدهما داخل الخيمة والآخر يمسك الراحلتين.

قال: فنظرت فإذا خالد بن الوليد. قال: قلت أين تريد..؟

قال: محمداً. دخل الناس فى الإسلام فلم يبق أحد به طعم، والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فى مغارتها.

قلت: وأنا والله قد أردت محمداً، وأردت الإسلام، فخرج عثمان بن

طلحة فرحب بى، فنزلنا جميعاً فى المنزل. ثم ارتحلنا حتى أتينا المدينة، فلم أنس قول رجل لقيناه ببئر أبى عتبة يصيح:

«يا رباح، يا رباح، يا رباح. فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين.

وظننت أنه يعنينى ويعنى خالد بن الوليد، وولى مدبراً إلى المسجد سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله- ﷺ - بقدومنا. فكان كما ظننت.

وأنخنا بالحرة، ولبسنا من صالح ثيابنا، ثم نودى لصلاة العصر فانطلقنا إلى رسول الله- ﷺ - وإن لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا.

فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه.

قال: فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولم يحضرنى ما تأخر فقال عليه السلام:

«إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها».

قال: فوالله ما عدل بى رسول الله- ﷺ - وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى أمر حزبه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة.

قال الواقدى: فقلت ليزيد بن أبى حبيب. هل وقت لك متى قدم عمرو وخالد؟

قال: لا. إلا أنه قال: قبل الفتح.

قلت: فإن أبى أخبرنى أن عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان.

غزوة عمرو بن العاص
ذات السلاسل

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة، وكان من حديثه أن رسول الله - ﷺ - بعثه يستنفر العرب إلى الشام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى، فبعثه رسول الله - ﷺ - إليهم يتألفهم لذلك، حتى إذا كانوا على ماء بأرض جذام يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل.

فلما وصل عمرو إلى هناك خاف كثرة الأعداء، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله- ﷺ - أبا عبيدة بن الجراح فى مجموعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر.

وقال الرسول- ﷺ - لأبى عبيدة حين وجهه إلى ذلك المكان: «لا تختلفا».

فحرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو:

«إنما جئت مدداً لى».

قال أبو عبيدة: لا. ولكنى على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه.

وكان أبو عبيدة: رجلاً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا.

فقال له عمرو: بل أنت مدد لى.

قال أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله - ﷺ - قال لى لا تختلفا، وإنك إن عصيتى أطعتك؟؟

قال: فإنى الأمير عليك وأنت مدد لى.

قال أبو عبيدة فدونك، فصلى عمرو بالناس.

ثم ساروا بالجيش حتى وطئ بلاد بلى ودوخها وكلما انتهى إلى موضع، بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع، فلما سمعوا به تفرقوا حتى انتهى إلى

أقصى بلاد بلى وعذرة وبلقين، ولقى فى آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة وترامـوا بالنبل ساعة، ثم حمل المسلمون عليهم فهزموا وتفرقوا؟؟

وعاد الجيش منتصراً. بعد أن بلَّغ رسالة الرسول- ﷺ - بالدعوة إلى الإسلام. وأيضاً إشعار تلك البلاد بقوة المسلمين حتى لا يعترضوا خرجتهم المقبلة إلى بلاد الشام.

عن أبى عثمان النهدى: سمعت عمرو بن العاص- رضي الله عنه - يقول: بعثنى رسول الله- ﷺ - وفى القوم أبو بكر وعمر، فحدثت نفسى، أنه لم يبعثنى على أبى بكر وعمر إلا لمنزلة لى عنده.

قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه، فقلت:

يا رسول الله من أحب الناس إليك..؟

قال: عائشة.

قلت: إنى لست أسألك عن أهلك..؟

قال: فأبوها.

قلت: ثم من..؟

قال: عمر.

قلت: ثم من..؟

حتى عدد رهطاً. قال: قلت فى نفسى لا أعود أسأل عن هذا[1] قال عمرو فى رواية أخرى: فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم.

(١) هذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء، عن أبى عثمان النهدى واسمه عبد الرحمن بن مل.

عمرو بن العاص وفتح مصر

مصر لها تاريخ طويل ممتد، موغل فى أعماق الزمن، ونقول فى أعماق الزمن لأن بعض المؤرخين يرجع تاريخها وبداية بنائها إلى مصر بن مصرايم ابن حام بن نوح عليه السلام.

ويقول أيضاً بأن مصر من قديم كان شعبها يعرف عقيدة التوحيد، وأن نبى الله إدريس عليه السلام، دعى أهلها إلى عبادة الله وحده، ونبذ كل ألوان الشرك.

وقدماء المصريين، كانوا يؤمنون بالبعث ويصدقون بما يكون بعد الموت فحرصوا على إقامة القلاع وتشييد الحصون من أهرامات وخلافه إيماناً بالخلود والبقاء.

ويحدثنا تاريخهم القديم عن ملامح تصورهم للحياة الآخرة، وما يكون فيها من حساب وعقاب وجزاء، عن طريق محكمة مكونة من أربعين قاضياً يرأسها قاضى القضاة «أوزوريس».

فالإنسان لا يفنى، والموت مرحلة انتقال إلى حياة أخرى حياة الأبدية والخلود.

والمستعرض للكتب السماوية السابقة على القرآن كالتوراة والإنجيل يلحظ أن اسم مصر يتردد كثيراً فيها.

أما فى القرآن- خاتم الكتب السماوية- فقد ذكر اسم مصر فى خمس آيات منه:

الآية الأولى: عندما تمرد بنو إسرائيل على رزق الله وبطروا، بأنعم الله، وطلبوا أن يأكلوا مما تنبت الأرض، فأجابهم الله إلى طلبهم ودعاهم إلى الذهاب إلى مصر قال الله تعالى:

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (١).

والآية الثانية: عندما أوصى الله لموسى وأخيه هارون أن يقيما لقومهما

(١) سورة البقرة آية رقم: ٦١.

بمصر بيوتاً، وكان الهدف من ذلك اعتزال البيئة الجاهلية، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتنظيمها وتدريبها حتى يأتى وعد الله لها. قال الله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾(١).

والثالثة: عندما يتحدث القرآن عن يوسف عليه السلام وإلقاء إخوته له فى الجب، والسيارة التى حملته إلى مصر، وشراء العزيز له، عزيز مصر. ووصيته لزوجه بإكرام يوسف عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (٢).

الآية الرابعة: عندما منَّ الله على يوسف بالملك، واختياره وتفضيله على كثير من خلقه بالنبوة، وطلب يوسف من ربه أن يغفر لإخوته ودعاهم مع أبويه لدخول أرض مصر. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾(٣).

وقد هاجر إلى مصر على مدار التاريخ مجموعة من الأنبياء منهم يوسف الصديق عليه السلام، والأسباط، وموسى وهارون.

وزعموا أن المسيح عليه السلام ولد «بأهناس» وبها نخلة مريم عليها السلام، ولقد كان اهتمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمصر وأهلها عظيماً، وما كادت الأمور تستقر بالمدينة، حتى أرسل عليه السلام حاطب بن أبى بلتعة برسالة إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام.

فأرسل إليه مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ومن قبل ماريه، هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

وفى الأثر: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم صهراً ونسباً»(٤).

---

(١) سورة يونس آية رقم: ٨٧. (٢) سورة يوسف آية رقم: ٢١.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ٩٩.

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة ٥٦ باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ٢٢٦ (٢٥٤٣) بسنده عن أبى ذر قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وذكره. ورواه الإمام أحمد فى المسند ٥: ١٧٤ (حلبى).

أما صفة أهلها فكما وصفهم الإمام الشافعى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بقوله:

إذا جاء باغى الخير قلن بشاشة
له بوجوه كالدنانير: مرحبا
وأهلاً ولا ممنوع خير تريده
ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا

مصر هذه: لما استكمل عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - والمسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر ومعه من الصحابة- رضوان الله عليهم بشير بن أرطاة، وخارجة بن حذافة، وعمير بن وهب الجمحى.

فاجتمعوا على باب مصر فلقيهم بعض الأساقفة، فلما تصافحا قال عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا لى:

«إن الله بعث محمداً- ﷺ - بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد- ﷺ. وأدى إلينا كل الذى أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة وكان مما أمرنا به دعوة الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فهو مثلنا، ومن لم يجب عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا إنا سنفتح بلادكم وأوصانا بكم حفاظاً لرحمنا منكم، وأن لكم أن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة، ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالأقباط خيراً، فإن رسول الله أوصانا بالأقباط خيراً لأن لهم رحماً وذمة».

فقالوا: قرابة بعيدة: لا يصل مثلها إلا الأنبياء. ثم قالوا: مرحباً بك وأهلاً وأمناً حتى نرجع إليك.

فقال عمرو: إن مثلى لا يخدع، ولكنى أؤجلكما ثلاثاً لتنظروا ولتناظروا قومكم وإلا ناجزتكم.

قال: زدنا فزادهم يوماً...؟

فقالا: زدنا فزادهم يوماً..؟

فرجعا إلى المقوقس فأبى «أرطبون» أن يجيبهما وأمر بمحاربتهم.

فقال: الملأ منهم: ما تقاتلون من قوم، قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم..؟ فألح «الأرطبون فى محاربتهم.. ففعلوا، فلم يظفروا بشىء بل قتل منهم طائفة منهم الأرطبون».

وحاصر المسلمون حصن عين شمس. «بابليون» وطال الحصار. وكان الزبير بن العوام يقترب دائماً من سور الحصن ليجد فيه ثغرة: فنصح بالابتعاد لأن به الطاعون فقال:

«إنما جئنا للطعن والطاعون».

ثم تقدم إلى عمرو بن العاص قائلاً: يا عمرو إنى أهب نفسى لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوافقه عمرو على ذلك.

فتقدم الزبير ووضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن ثم صعد، وأمر بقية الجنود إذا سمعوا تكبيرته أن يجيبوه جميعاً.

وأخذ الأعداء على غرة، وأصابهم الهول والفزع عندما شاهدوا الزبير على رأس الحصن يكبر والجنود من خلفه يتدفقون.

وانتهت بفتح الحصن المعركة الحاسمة لفتح مصر.

وطلب المقوقس الصلح، فأجابه المسلمون إلى طلبه، وكان الزبير بن العوام وابنه عبد الله شهوداً على وثيقة الصلح بين الطرفين ولقد صدق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - فى قوله:

«الزبير عمود من عمد الإسلام وركن من أركان الدين».

فتحت مصر جنة الله فى أرضه، وارتفعت فيها المآذن، مجلجلة بكلمة الله أكبر، وأصبحت كعبة لطلاب العلم والمعرفة.

ومعسكراً كبيراً لإعداد العدة والعتاد وتكوين الجيوش لنشر دين الله من خلف السدود ومن وراء البحار.

عمرو بن العاص ومعركة صفين

لما فرغ الإمام على- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من معركة الجمل ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لما أرادت الرجوع إلى مكة.

عندها سار الإمام على إلى الكوفة، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض.
فقال: لا. إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك..؟؟

ثم نزل فى الرحبة، وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين.

ثم خطب الناس: فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة فى خطبته هذه.

وأراد على- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن يبعث إلى معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يدعوه إلى بيعته.

قال جرير بن عبدالله: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فإن بينى وبينه ودا فآخذ لك منه البيعة.

فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإنى أخشى أن يكون هواه معه.

فقال على: دعه يفعل.

ثم بعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان فى وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس.

فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله- أعطاه الكتاب. فطلب معاوية عمرو ابن العاص، ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى تقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعلوا قاتلوه ولم يبايعوه.

فرجع جرير إلى على فأخبره بما قالوا.

فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين ألم أنهك أن تبعث جريراً.؟

فلو كنت بعثتنى لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته.

فقال له جرير: لو كنت ثَمَّ هناك لقتلوك بدم عثمان.

فقال الأشتر: والله لو بعثنى لم يعننى جواب معاوية، ولأعجلته عن الفكرة.

وخرج الإمام على بن أبى طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بمكان يسمى النخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر البدرى.

وبلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص- رضي الله عنه - فقال له:

اخرج أنت أيضاً بنفسك.

وقام عمرو بن العاص فى الناس خطيباً فقال:

«إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا يوم الجمل، ولم يبق مع على إلا شرذمة من الناس ممن لم يقتل.

وقد قتل الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان فالله الله فى حقكم أن تضيعوه، وفى دمكم أن تطلوه».

وحضر أجناد الشام، وعقدت الألوية والرايات للأمراء، وتهيأ أهل الشام وتأهبوا وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين- حيث يكون مقدم جيش على- رضي الله عنه - سار جيش على تجاه الشام، وقد نزل بمكان يقال له «البليخ» على جانب الفرات. فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلى:

«إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام، أعرضه عليك..؟

قال على: نعم.

فقرأ الراهب: بسم الله الرحمن الرحيم: الذى قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث على الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا

صخاب فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شىء، وفى كل صعود وهبوط تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على من ناوأه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت. ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقضى بالحق، ولا ينكس فى الحكم، الدنيا أهون عليه من شربة ماء؟؟

يخاف الله فى السر، وينصح فى العلانية..؟؟

ولا يخاف فى الله لومة لائم.

فمن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة ثم قال الراهب: فأنا صاحبك فلا أفارقك حتى يصيبنى ما أصابك فبكى الإمام على ثم قال:

«الحمد لله الذى لم يجعلنى عنه نسياً منسيّاً، والحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار».

فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع على حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم. قال الإمام على:

«اطلبوا الراهب فوجدوه قتيلاً، فأحضر إليه وصلى عليه ودفنه واستغفر له.

ثم ماذا..؟

يقول ابن سعد بسنده عن الزهرى:

«اقتتل الناس بصفين قتالاً شديداً لم يكن فى هذه الأمة مثله قط حتى كره أهل الشام وأهل العراق القتال وملوه من طول تبادلهم السيف فقال عمرو بن العاص- وهو يومئذ على القتال- لمعاوية:

هل أنت مطيعى فتأمر رجالاً بنشر المصاحف ثم يقولون: يا أهل العراق ندعوكم إلى القرآن، وإلى ما فى فاتحته إلى خاتمته.

فإنك إن تفعل ذلك يختلف أهل العراق، ولا يزيد ذلك أمر أهل الشام إلا استجماعاً.

فأطاعه معاوية، وفعل ما أشار عليه به عمرو.

ثم أمر منادياً: يا أهل العراق ندعوكم إلى القرآن. فاختلف أهل العراق: فقالت طائفة: أولسنا على كتاب الله وبيعتنا..؟

وقال آخرون: أجبنا إلى كتاب الله.

فلما رأى علي: عليه السلام وهنهم وكراهتهم للقتال وافق معاوية فيما يدعوه إليه..

ثم قال: قد قبلنا كتاب الله فمن يحكم بكتاب الله بيننا..؟

قال معاوية: نأخذ رجلاً منا نختاره، ونأخذ منكم رجلاً تختاره.

فاختار معاوية: عمرو بن العاص- رضي الله عنه.

واختار علي: أبا موسى الأشعري- رضي الله عنه.

واجتمع الحكمان: وتحاوروا فيما بينهم ثم اتفقوا على الآتي:

فأقبل أبو موسى على الناس وهم مجتمعون فقال له عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع.

فقال: أيها الناس: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح به أمر هذه الأمة.

فقال عمرو: صدق وبر، ونعم ناظر للإسلام وأهله.

ثم أتم حديثه أبو موسى قائلاً: قد اجتمعت أنا وصاحبي على أمر واحد. خلع علي ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيكون شورى بينهم يولون منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية فولوا أمركم من رأيتم. ثم تنحى.

فأقبل عمرو بن العاص- فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن هذا قد قال ما قد سمعتم، وخلع صاحبه، وإني والله أخلع صاحبه

كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية، فإنه ولى عثمان بن عفان، والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ثم تنحى(١).

ونتساءل: هل ما فعله عمرو بن العاص- يحسب على أنه فى ساحة قتال وحرب. والحرب خدعة..؟

أم أن ما حدث لم يكن فى حرب أو قتال والمسلمون جميعاً ألقوا أسلحتهم وكانوا فى حاجة إلى تصفية النفوس، وحسم الأمر فى اختيار الخليفة بطريقة لا يتدخل فيها السلاح أو خدع المقاتلين.

ولهذا نرى أن كبار الصحابة والبدريين منهم- لم يرضهم ما حدث فى ساحة الحكم.

وبالتالى لم يرض المقاتلون الذين لا يعرفون إلا النصر والشهادة ولم يرض الإمام على- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولم يوقف القتال، وأشعل نار الفتنة التى أخبر بها الرسول- ﷺ- بقوله:

«ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً يبيع دنياه بعرض من الدنيا»(٢).

وعن عمر بن وابصة الأسدى. قال: إنى بالكوفة فى دارى إذ سمعت على باب الدار السلام عليكم.

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فلما دخل إذا هو عبد الله بن مسعود- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ولما جلس قال: سمعت رسول الله- ﷺ- يقول:

«تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى خير من الراكب، والراكب خير من المجرى. قتلاهما كلها فى النار».

(١) راجع طبقات ابن سعد جـ٤ ص٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان ٥١ الحث على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل ظهور الفتن ١٨٦ (١١٨).

قال: قلت يا رسول الله: ومتى ذلك؟

قال: ذلك أيام الهرج.

قلت: ومتى أيام الهرج..؟

قال: حين لا يأمن الرجل جليسه.

قال: قلت فما تأمرنى إن أدركت ذلك..؟

قال: أكفف نفسك ويدك وادخل دارك[1].

وفاة عمرو بن العاص- رضي الله عنه

كان عمرو بن العاص فى أواخر أيامه كثير التوبة والاستغفار، كثير الندم. كثير البكاء.

يقول ابن شماسة المهرى قال:[2]

«حضرنا عمرو بن العاص، وهو فى سياقه[3] الموت، فحول وجهه إلى الحائط يبكى طويلاً وابنه يقول له:

«ما يبكيك..؟ أما بشرك رسول الله- ﷺ - بكذا..؟ أما بشرك بكذا..؟

قال: وهو فى ذلك يبكى ووجهه إلى الحائط.

قال: ثم أقبل بوجهه إلينا فقال:

«إن أفضل مما نعتمد على: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله- ﷺ. ولكنى قد كنت على أطباق[4] ثلاث قد رأيتنى ما من الناس من أحد أبغض إلىَّ من رسول الله- ﷺ. ولا أحب إلىَّ من أن أستمكن منه فأقتله، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من أهل النار..!؟

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند ١: ٤٤٩٠٤٤٨ (حلبى).

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٤: ٢٥٨.

(٣) فى طريقه إلى الموت. (٤) أطباق: أحوال.

ثم جعل الله الإسلام فى قلبى فأتيت رسول الله- ﷺ - لأبايعه فقلت: ابسط يمينك أبايعك يا رسول الله.

قال: فبسط يده، ثم إنى قبضت يدى. فقال: مالك يا عمرو..؟

قال: فقلت: أردت أن أشترط.

فقال: تشترط ماذا..؟

فقلت: أشترط أن يغفر لى.

فقال عليه السلام: إن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله(١).

قال عمرو: فقد رأيتنى ما من الناس أحد أحب إلىَّ من رسول الله- ﷺ، ولا أجل فى عينى منه.

ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأنى لم أكن أطيق أن أملأ عينى إجلالاً له.

فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة؟؟

قال عمرو: ثم ولينا أشياء بعد فلست أدرى ما أنا فيها أو ما حالى فيها. فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة، ولا نار..؟؟

فإذا دفنتمونى فشنوا علىَّ التراب شناً، فإذا فرغتم من قبرى، فامكثوا.. عند قبرى قدر ما ينحر جزور، ويقسم لحمها، فإنى أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربى.

عمرو بن العاص- رضي الله عنه - الذى جاهد فى سبيل الله، ودخل عن طريقه إلى الإسلام آلاف مؤلفة، وعاش جزءاً كبيرًا من حياته يدافع عن الإسلام يخشى عقاب الله، ويرجو ثوابه، وهو فى ذلك يضع نصب عينيه- وهو فى اللحظات الأخيرة من الحياة حديث الرسول - ﷺ- الذى يقول فيه:

«قاربوا وسددوا، فإنه ليس أحد منكم بمنجيه عمله.

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند ٤: ١٩٩، ٢٠٤.

قالوا: ولا أنت يا رسول الله..؟

قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل(١).

وعن الحسن- رضي الله عنه- أنه قال:

«بلغنى أن عمرو بن العاص لما كان عند الموت دعا حرسه فقال: أى صاحب كنت لكم..؟

قالوا: كنت لنا صاحب صدق تكرمنا وتعطينا وتفعل وتفعل.

قال: فإنى إنما كنت أفعل ذلك لتمنعونى من الموت، وإن الموت ها هو ذا قد نزل بى فأغنوه عنى...؟؟

فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا:

«والله ما كنا نحسبك تكلم العوراء يا أبا عبد الله، قد علمت أنا لا نغنى عنك من الموت شيئاً..؟؟

فقال: أما والله لقد قلتها، وإنى لأعلم أنكم لا تغنون عنى من الموت شيئاً. ولكن والله لأن أكون لم أتخذ منكم رجلاً قط يمنعنى من الموت أحب إلى من كذا وكذا.

ثم قال عمرو:

اللهم لا بريىء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإلا تدركنى برحمة أكن من الهالكين.

إن عمرو- رضي الله عنه - يتعجب من نفسه، فى سابق حياته عندما اتخذ الحرس والشرط المدججة بالسلاح لتمنع عنه الموت والآن علم علم اليقين. إن الأجل إذا جاء لا يمنعه شىء ولا يقدر على حجزه ملك مقرب ولا نبى مرسل. لأن الله تعالى قال:

(١) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ١٨، والمرض ١٩، ومسلم فى المنافقين ٧١ ٧٣، ٧٥، وابن ماجه فى الزهد ١٠، والدارمى فى الرقاق ٢٤، واحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٣٥، ٢٥٦، ٢٦٤ (حلبى).

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾(١).

ويقول أيضاً:

﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣).

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ (٤).

وعن عوانة بن الحكم قال: كان عمرو بن العاص يقول فى حياته: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف: لا يصفه..؟

فلما نزل به الموت قال له ابنه عبد الله بن عمرو:

يا أبت إنك كنت تقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصف لنا الموت وعقلك معك..؟

فقال: يا بنى الموت أجلُّ من أن يوصف؟؟ ولكنى سأصف لك منه شيئاً، أجدنى كأن على عنقى جبال رضوى، وأجدنى كأن فى جوفى شوك السلا، وأجدنى كأن نفسى يخرج من ثقب إبرة.

ثم قال:

«اللهم إنك أمرتنا فركبنا، ونهيتنا فأطعنا، فلا بريىء فأعتذر ولا عزيز فانتصر، ولكن لا إله إلا الله.

يقول ابنه عبد الله- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فما زال يكرر الشهادتين حتى فاضت روحه إلى بارئها.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

(١) سورة الجمعة آية رقم: ٨.
(٢) سورة آل عمران آية رقم: ١٦٨.
(٣) سورة النساء آية رقم: ٧٨.
(٤) سورة الأحزاب آية رقم: ١٦.



تـــذيـــيـــل

الجهاد فى سبيل الله

الجهاد فى سبيل اللّه

إن قوى البغى والعدوان منذ خلق الله البشر، وهى تعمل عملها فى دنيا الناس.

والمعركة مستمرة ودائمة بين أهل الإيمان وحزب الشيطان.

والصراع قائم بين أهل الهدى والضلال.

والحرب على أشدها بين عباد الرحمن وأبالسة الشيطان.

وعندما أخرجت قريش أتباع محمد- ﷺ - من ديارهم وصبت عليهم العذاب ألواناً- انتصر الله لعباده.

وأنزل على رسوله- ﷺ - قرآناً يتلى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (١).

عندها بدأت الفدائية المؤمنة تعمل عملها لصد عدوان المعتدين، وتخليص الفئة المؤمنة من طغيان عصابات الشرك والكفر.

وكان بداية ذلك عن طريق الفدائى المؤمن والصحابى الجليل مرثد بن أبى مرثد الغنوى والذى كلف من الرسول عليه السلام بفك أسارى المؤمنين المحتجزين بين مخالب قريش. ونقلهم إلى مدينة الرسول- ﷺ -.

فكان مرثد يقوم بعملية شاقة بعيداً عن أعين قريش- وهى التعرف على أماكن هؤلاء المستضعفين المحتجزين.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٩-٤٠.

فإذا خيم الليل بسدوله. خرج إلى أحدهم وأخبره بالاستعداد للرحيل ويحدد له يوماً لذلك.

يقول مرثد- رضي الله عنه- كنت تواعدت مع رجل من هؤلاء. فجئت في نفس الموعد حتى انتهيت إلى حائط من حيطان مكة في ليلة قمراء.

فجاءت «عناق» امرأة من قريش كان بينهما صداقة في الجاهلية- فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط.

فلما انتهت إليَّ عرفتني فقالت. مرثد.

قلت: نعم مرثد.

قالت: مرحباً وأهلاً، هلمَّ فبت عندنا الليلة...؟

قال: قلت: يا عناق إن الله حرم الزنا.

وعندما تأكدت عناق من تصميمي على الرفض، ويأست من استجابتي لها.

قالت: يا أهل مكة: هذا الرجل هو الذي يحمل أسراكم إلى يثرب.

قال: وما هي إلا لحظات حتى تبعني ثمانية رجال- فسلكت جبال مكة، حتى انتهيت إلى كهف من كهوفها فاختبأت فيه.

ولحقوا بي حتى قاموا على رأسي، ولكن الله أعماهم عني، ولما يئسوا من العثور عليَّ عادوا من حيث أتوا.

وعدت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ضخم الجثة ثقيلاً حتى انتهيت إلى خارج مكة. فجلست وفككت عنه أساره.

ثم أخذت في حمله وكلما ثقل عليَّ- جلست لأستريح ثم أعاود الحمل والسير حتى قدمت المدينة، ووضعته أمام رسول الله- ﷺ-.

ولقد كانت هذه الفدائية تتكرر كثيراً في العديد من الأيام.

وفي يوم من الأيام أردت أن يكون بيت عناق مأوى لراحتي- وقربي من

المحتجزين وأشركها معى فيما أقوم به من عمل إرضاء لله ولرسوله-، وصالح المؤمنين.

فقلت يا رسول الله: أتزوج عناقاً...؟

فأمسك رسول الله- ﷺ - فلم يرد علىَّ شيئاً.

حتى نزل قول الله تعالى:

﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(١) .

فدعانى رسول الله- ﷺ - وقال: لا تتزوجها..؟؟

ثم اتسع نطاق الفدائية المؤمنة عن طريق الصحابيين الجليلين «أبى بصير وأبى جندل، رضي الله عنهما ومعهما رفاق أشداء من حملة السلاح. والذين أجبروا قريش على التنازل عن شروطها المجحفة فى صلح الحديبية- عندما قطعوا عليها طريق القوافل.واستولوا على كل ما تحمله قوافلهم من أموال وعروض التجارة.. وذهب زعيم قريش أبو سفيان بن حرب- ذليلاً خاضعاً للرسول - ﷺ- راجياً مستعطفاً أن يضم أبا بصير وجماعته إليه..

ولقد كان للوليد بن الوليد دوره الكبير فى فك أسار المسجونين من صحابة الرسول- ﷺ - بمكة ونقلهم إلى يثرب.

من ذلك أن الوليد بن الوليد ما كاد يعلن إسلامه- حتى أغلقت أمامه المنافذ ووضع مقيداً محجوزاً هو وصاحبيه قرابة ثلاثة أعوام.

حتى أراد الله سبحانه وتعالى أن يفك قيده. خرج متستراً بظلام الليل إلى أن وصل إلى يثرب على قدميه..؟؟

وما كاد الوليد يلتقى بالرسول - ﷺ - حتى سأله:

كيف حال عياش بن أبى ربيعة، وسلمة بن هشام..؟

(١) سورة النور آية رقم ٣.

قال الوليد: تركتهما فى ضيق وشدة- وهما فى وثاق وجهد رجل أحدهما مع رجل صاحبه.

عندها قال له الرسول - ﷺ:

انطلق حتى تنزل مكة على القن الأشجعى فإنه قد أسلم، فتغيب عنده واطلب الوصول إلى عياش وسلمة..

فإذا تمكنت من ذلك فأخبرهما ذلك أن رسول الله أمرنى، وهو يأمركما أن تخرجا حتى تنطلقا إليه.

قال الوليد: ففعلت ذلك فخرجا بعد أن كسرت قيدهما- وخرجت معهما، فكنت أسرع بهما مخافة الطلب والفتنة حتى انتهينا إلى أبواب مدينة الرسول - ﷺ.

إنها الفدائية المؤمنة- التى استجابت لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (١).

وعندما جمعت قريش جموعها وبطونها وقبائلها ثم تعاقدت مع حلفائها اليهود بالمدينة على حرب محمد والقضاء على أصحابه.

وعبر القرآن الكريم عما حل بأهل يثرب من الخوف والرعب بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (٢).

عندها تقدم نعيم بن مسعود- رضي الله عنه - أحد الفرسان المغاوير والمحارب المحنك الخبير بنفوس الرجال إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إنى

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

(٢) سورة الأحزاب الآيات ٩، ١٠، ١١.

أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى. فمرنى بما شئت.

فقال رسول الله ﷺ:

«إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت.. فإن الحرب خدعة».

عندها خرج نعيم حتى أتى يهود بنى قريظة- وكان لهم نديماً فى الجاهلية- فقال:

يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم- وخاصة ما بينى وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال نعيم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، ولا تقدرون التحول إلى غيره.

وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فليسوا كأنتم.

فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل..؟ ولا طاقة لكم به إن خلا بكم..؟؟

فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه.

فقالوا: لقد أشرت بالرأى....

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبى سفيان بن حرب، ومن معه من رجال قريش:

قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً...

وإنه قد بلغنى أمراً قد رأيت علىَّ حقّاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكتموا عنى.؟؟

فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد- وقد أرسلوا إليه:

إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون على من بقى منهم حتى تستأصلهم..؟؟

فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

عندها أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبى جهل لجماعة اليهود فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الإبل والخيل فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً.

فقالوا: لسنا بالذين نقاتل محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً.

فإنا نخشى إن نالت منكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم وتتركونا مع الرجل - والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك.

وعندما عاد عكرمة بما قاله اليهود.

قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق.

فأرسلوا إلى بنى قريظة. وقالوا: والله لاندفع إليكم رجلاً واحداً عندها قالت بنو قريظة: إن الذى ذكر لكم نعيم أنه لحق.

وخذل الله بينهم. وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية باردة فملأت قلوبهم بالرعب والخوف، وفروا هاربين إلى مكة. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله قوياً عزيزاً.

أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

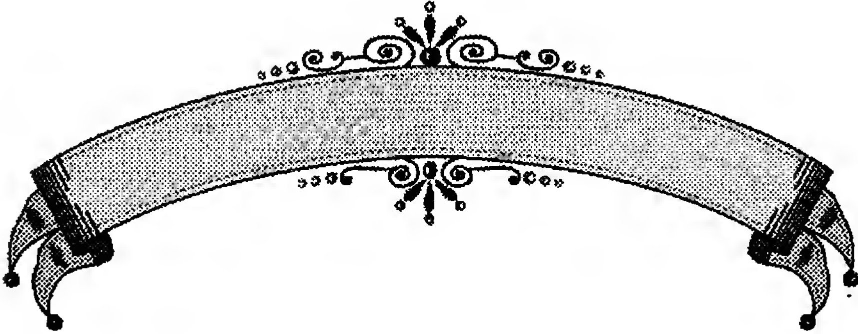
(سورة البقرة: ١٨٧)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

ذكر المفسرون أن هذه الأية نزلت فى مجموعة من الصحابة منهم عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه - وأبى هريرة - رضي الله عنه - وقيس بن صرمة- رضي الله عنه .

ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٩٧ وفى لباب النقول ص٣١ وعزاه لوكيع وعبد بن حميد والنحاس فى ناسخه وابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى سننه وأخرجه البخارى فى الصيام ٩١٥ وأبو داود فى الصيام ٣١٤، والترمذى فى التفسير ٢٩٦٨.

فمن هو أبو هريرة رضي الله عنه ..؟



يقول أبو هريرة:

قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين والمؤمنات، وإلى كل مؤمن ومؤمنة.

فقال عليه السلام:

اللهم حبب عُبَيْدَكَ هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة.

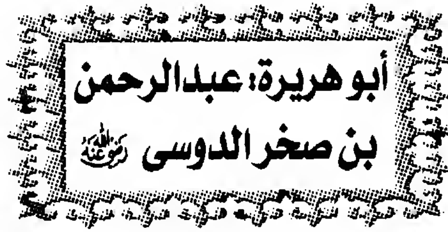
يقول أبو هريرة:

فليس يسمع بى مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبنى...؟؟

طبقات ابن سعد ٤: ٥٥

والبداية والنهاية ٨: ١٠٤


أبو هريره عبد الرحمن بن صخر
حياته ونشأته



حياته ونشأته

صاحب العين الفاحصة والأذن اللاقطة.

وصاحب السماحة الوافية، والبسمة الحانية، والخلق الجم واللفظة العذبة.

لم يعرف هجر القول ولا فحش الكلام، وكيف لا يكون كذلك، وهو صاحب رسول الله ﷺ ورفيقه فى حله وترحاله، وخريج مدرسة النبوة.

تلك المدرسة التى خرجت أكرم الرجال، وأقوى الفرسان، وعلماء الأمة العلماء الذين قال عنهم الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(١).

ويقول عنهم الرسول الكريم- صلوات الله وسلامه عليه:

«العلماء ورثة الأنبياء».

وأبو هريرة من قبل هذا ومن بعده: راوية الإسلام بلا منازع، وعن عقليته اللماحة، وذهنه المتقد: وعى وجمع سنة الرسول ﷺ حتى أبلغها إلى صحابة الرسول ﷺ وإلى التابعين من بعدهم، صافية نقية، هادية إلى الخير، داعية إلى الفضلية عاملة لتربية أمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وكيف لا تكون كذلك، والله سبحانه وتعالى يقول عن صاحبها:

---

(١) سورة فاطر آية رقم ٢٨.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١).

نشأ أبو هريرة على أرض اليمن، اليمن الخضراء كما كان يطلق عليها سابقاً والتى قال عنها رسول الله ﷺ:

«الإيمان يمان».

وعلى بساطها الأخضر، وعلى سدها المرتفع، وأمام عيونها الفوارة بالماء الفرات العذب، كانت أولى خطواته.

وعندما صار فتى يافعاً وشاباً جلداً اشتغل بحرفة قومه، من رعى الماشية، وزراعة الأرض، وقطف الثمار، وصناعة السيوف والسهام والرماح، والتى كانت تستعمل فى صيد الحيوانات البرية، وقتل الأخرى المتوحشة، وحماية الإنسان من شرورها.

واستمرت أيام أبو هريرة رتيبة متعاقبة، لا جديد يطورها، ولا تغيير يذهب برتابتها، حتى تسمعت أذنه يوماً عن النبى الجديد، والرسول المبعوث رحمة للعالمين، والذى يقطن بجوار بيت الله الذى بناه إبراهيم وكان فى عهده مأوى القانتين لربهم الركع السجود لمولاهم، كيف كان ذلك ومتى أقبل على هذا الدين الجديد...؟

(١) سورة النجم آية رقم ٣- ٤.

إسلام أبى هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان الطُّفَيْلُ بن عمرو الدوسى رجلاً شريفاً، وشاعراً محلقاً، يضارع حاتم الطائى فى كرمه وضيافته، وكانت قريش تعرف ذلك وتعلم منزلته ورآسته لقومه على أرض اليمن.

وما كادت قريش تعلم بقدوم الطفيل إلى مكة بعد نبوءة محمد ﷺ حتى انطلق رجال منها يقولون له:

«إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد عاب آلهتنا وفرق جماعتنا وشتت وحدتنا، لأن قوله كالسحر يفرق بين الرجل وزوجه، وبين الرجل وبنيه، وبين الرجل وأهله ونحن نحذرك من الاقتراب منه أو الاستماع لحديثه».

واقتنع الطفيل بما سمعه منهم ونوى ألا يستمع لرسول الله ﷺ حتى لا يؤثر فيه سحره كما قالوا عنه.

ثم ذهب الطفيل إلى الكعبة وإذا برسول الله ﷺ يصلى ويقرأ من الوحى الذى أنزله الله تعالى عليه:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١) .

وما كاد الطفيل يسمع هذه الكلمات- وهو الشاعر الخبير باللغة وأسرارها- حتى آمن بأن هذا الكلام ليس من قول البشر فتقدم إلى الرسول ﷺ وأعلن إسلامه.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٥١- ١٥٢.

ثم طلب من الرسول ﷺ أن يجعل له عوناً فى حمل الإسلام إلى قومه ودعوتهم إليه.

فقال الرسول ﷺ:

«اللهم اجعل له آية».

فوقع له نور بين عينيه فقال الطفيل: يا رسول الله أخشى أن يقول قومى هى مثلة، لأنه خالف دين آبائه، فرجع النور إلى طرف سوطه فكان يضئ فى الليل، ولهذا لقب بذى النور.

وعاد الطفيل إلى قومه فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلموا، ودعا قومه إلى الإسلام فأجابه أبو هريرة وحده، وأبطأ عليه قومه.

فعاد الطفيل إلى الرسول ﷺ وأخبره بإبطاء قومه وقال له: ادع عليهم.

فقال ﷺ: «اللهم اهد دوساً، وائت بهم».

وقال له اخرج إلى قومك فادعهم وارفق بهم.

فخرج الطفيل فلم يزل بأرض دوس يدعوهم حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة.

ثم مضت غزوة بدر، وغزوة أحد والخندق، ثم قدم على رسول ﷺ بمن أسلم من قومه ورسول الله فى ذلك الوقت يفتح حصون خيبر، ويطهر الجزيرة العربية من رجس اليهود بطردهم إلى خارجها ونزل قول الله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ ۝٢ وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾(١).

فلحق به طفيل وقومه إلى حصون خيبر، فأسهم لهم مع المسلمين.

(١) سورة الحشر آية رقم ٢- ٣.

وهكذا أسلم أبو هريرة قديماً، وهو بأرض قومه- وكان ذلك قبل الهجرة النبوية، يقول أبو هريرة رضي الله عنه :

«خرج النبى ﷺ إلى خيبر، وقدمت المدينة مهاجراً فصليت الصبح خلف سباع بن عرفطة كان الرسول عليه السلام قد استخلفه على المدينة، فقرأ فى السجدة الأولى بسورة مريم، وفى الآخرة بسورة المطففين».

فقلت لنفسى : «ويل لأبى، قلَّ رجل كان بأرض الأزد إلا وكان له مكيالان، مكيال لنفسه، وآخر يبخس به الناس».

ثم لازم أبو هريرة رسول الله ﷺ وعاش فى المدينة، يحظى بأنوار النبوة، ويستمتع بأصحاب رسول الله تلك الفتية العماليق الذين وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(١) .

وتفرغ أبو هريرة تفرغاً كاملاً للرسول ﷺ تلتقط أذنه الواعية كل ما يصدر من الرسول ﷺ من قول، وتعى عينه الفاحصة كل ما يصدر عن الرسول عليه السلام من فعل.

فأصبحت كلمات رسول الله ﷺ كل ما تلفظ به فى السلم والحرب، بالليل والنهار فى السر والعلانية، فى السفر والإقامة يعيه صدر أبى هريرة رضي الله عنه .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

إسـلام أمـه

سمع أبو هريرة رضي الله عنه من الرسول ﷺ عندما سأله أحد الصحابة: من أحق الناس بحسن صحابتى..؟

قال أمك..؟

قال: ثم من..؟

قال: أمك..؟

قال: ثم من..؟

قال: أمك..؟

قال: ثم من..؟

قال: أبوك.

لهذا كان أبو هريرة باراً بأمه عطوفاً عليها، يحقق لها ما تريد وما ترضى به، وكان يدعوها إلى الإسلام فلا تستجيب، وكان من أجل ذلك يعلوه من الهم والحزن الشىء الكثير، وخصوصاً كلما دعاها إلى الإسلام وإلى النطق بكلمة التوحيد.

وفى يوم من الأيام تلطف بها وأسمعها حديثاً شيقاً، وكلاماً هيناً ولطفاً فى القول، ودعاها إلى الإسلام وأن تؤمن بما جاء به محمد ﷺ من ربه.

عندها أسمعته فى رسول الله ﷺ ما يكره.

يقول أبو هريرة: فانطلقت إلى الرسول ﷺ والدموع تملأ عينى والحزن يقطع نياط قلبى وقلت له يا رسول الله: لقد دعوت أمى إلى الإسلام فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة إلى الدين الخالص، دين الإسلام.

ففعل الرسول ﷺ، ولما كان المساء جئت إلى البيت فإذا الباب مجاف،

وسمعت خضخضة الماء فهممت بالدخول.

فقالت: كما أنت.

ثم لبست درعها وعجلت من خمارها ثم قالت:

ادخل يا أبا هريرة، فدخلت، فقالت:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله».

فجئت أسعى إلى رسول الله أبكى من الفرح، كما بكيت من الحزن فقلت:

«أبشر يا رسول الله، لقد أجاب الله دعوتك فقد هدى الله أم أبى هريرة إلى الإسلام.

ثم قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة.

فقال: اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة»(١).

فليس يسمع بى مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبنى.

وكان أبو هريرة يحب صحابة الرسول ﷺ ويحب جماعة المسلمين، لحبهم لرسول الله، وكان يقدم نفسه فداء لرسول الله ﷺ.

يقول أبو هريرة: فى يوم من الأيام رفع رسول الله الدرة ليضربنى بها، ولكنه لم يفعل. ثم يقول: لأن يكون ضربنى بها أحب إلىّ من حمر النعم، ذلك بأنى أرجو أن أكون مؤمناً، وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته وبينما كان المسلمون يحملون اللبن لبناء المسجد النبوى فى المدينة ورسول الله معهم.

رآه أبو هريرة، وهو عارض لبنة على بطنه، فظن أنها شقت على رسول الله ﷺ فاستقبله قائلاً:

(ناولنيها يا رسول الله).

فقال ﷺ

(١) بر الوالدين بسنده عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال: وذكره.

«خذ غيرها يا أبا هريرة، فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة».

ولم يفارق أبو هريرة رسول الله ﷺ إلا حين بعثه مع العلاء الحضرمى رضي الله عنه إلى البحرين، ووصاه به فجعله العلاء مؤذناً بين يديه، وكان العلاء دائماً يكرمه ويقدمه لحب الرسول عليه السلام له.

أبو هريرة وأهل الصفة...

أهل الصفة: هم الفقراء المسلمين، الذين كانوا يعبدون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض.

أهل الصفة: هم المسلمون الذين تابعوا محمداً ﷺ عندما دعى بدعوته على جبل الصفا، وقال أيها الناس إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة.

أهل الصفة: هم الذين كانوا لا يختزنون المال، ولا يكنزون الذهب والفضة ولا تغريهم عروض التجارة، ولا زخارف الدنيا، وآمن كل منهم إيماناً كاملاً بأن الدنيا بأسرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

أهل الصفة هم الذين نزل فيهم قول الله تعالى:

﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

ويقال فى سبب نزول هذه الآية: إن الأقرع بن حابس التميمى، وعيينة ابن حصن الفزارى جاءا إلى الرسول ﷺ فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب الرومى، وبلال مؤذن الرسول، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت قاعداً ومعهم أناس آخرون من المستضعفين.

فلما رأوهم حول النبى حقروهم، فأخذوه وقالوا:

«إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود

(١) سورة الأنعام آية رقم ٥٢.

العرب تأتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هؤلاء العبيد، فإذا نحن جئناك فاصرفهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال ﷺ: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً.

قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود فى ناحية المسجد، فنزل جبريل عليه السلام: بهذه الآية.

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال:

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾(١).

ثم قال:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(٢).

قال: فدنونا حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا وأنزل الله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٣).

يقول خباب بن الأرت فكنا نقعد مع النبى ﷺ فإذا بلغنا الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم(٤).

وبقى فقراء الجيوب أغنياء القلوب فى مجلس الرسول ﷺ وبقى ضعاف الجاه، الأقوياء بالله فى مكانهم الذى يؤهلهم له إيمانهم، والذى يستحقونه بدعائهم لله ولا يبتغون إلا وجهه، واستقرت موازين الإسلام وقيمه على

(١) سورة الأنعام آية رقم ٥٣.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٥٤.
(٣) سورة الكهف آية رقم ٢٨.
(٤) رواه أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان وذكره القرطبى فى تفسيره ج٦ ص٤٣٢، ٤٣٣.

المنهج الذى قرره الله.

عندئذ نفر المستكبرون المستكفون يقولون: كيف يمكن أن يختص الله من بيننا بالخير هؤلاء الضعفاء الفقراء..؟

إنه لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقونا إليه، ولهدانا الله به قبل أن يهديهم، فليس من المعقول أن يكون هؤلاء الضعفاء الفقراء هم الذين يمن الله عليهم من بيننا ويتركنا ونحن أصحاب المقام والجاه.

ولقد كان أبو هريرة ﵁ زعيم هؤلاء الضعفاء الفقراء الذين التفوا حول الرسول ﷺ وكانوا محاربين مقاتلين وكانوا قانتين ساجدين، وكانوا فقهاء عالمين، وكانوا خير جند لله تعالى ورسوله.

أبو هريرة وحرصه على تطبيق السنة

كان ﵁ يحرص على تطبيق سنة الرسول ﷺ على نفسه وعلى المسلمين، لا يفرق فى ذلك بين كبير وصغير بين حاكم ومحكوم.

من ذلك أنه مرَّ على قوم يتوضئون: فقال لهم:

«اسبغوا الوضوء، فإنى سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «ويل للأعقاب من النار».

ودخل أبو هريرة دار مروان بن الحكم، وهى تبنى، فرأى فيها تصاوير فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يقول الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى فليخلقوا ذبابة».

وهذا يتوافق مع قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ

وَالْمَطْلُوبُ﴾[1].

وكان يقول: ثلاثة أوصانى بهن خليلى ﷺ، لا أدعهن أبداً ما حييت:

١- الوتر قبل أن أنام.

٢ - وصيام ثلاثة أيام من كل شهر.

٣- والغسل يوم الجمعة.

وكان يحب التطهر، ويخشى الوقوع فى المعصية، حتى أنه خشى على نفسه وهو شاب فى أول عهده بصحبة الرسول ﷺ أن يقع فى الزنا.

فقال: يا رسول الله إنى رجل شاب خشيت على نفسى العنت- أى الوقوع فى الفحشاء، ولا أجد طولاً أتزوج النساء أفأختصى..؟

فأعرض عنه النبى ﷺ وهو يقولها ثلاثاً.

فقال النبى ﷺ:

«يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق».

وهذه دعوة من الرسول ﷺ لأبى هريرة على الصبر وعلى حفظ نفسه.

تنفيذاً لقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقول الرسول ﷺ:

«من استطاع منكم الباء فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[3].

أى وقاية وحفظاً.

وكان أبو هريرة حريصاً على الاقتداء برسول الله ﷺ فى كل تصرفاته، من

(١) سورة الحج آية رقم ٧٣. (٢) سورة النساء آية رقم ٢٥.

(٣) الحديث رواه البخارى فى الصوم١٠ والنكاح ٢، ٣ ومسلم فى النكاح ١- ٣، وأبو داود فى النكاح ١، وابن ماجه فى النكاح ١، وأحمد بن حنبل فى المسند ١: ٣٧٨، ٤٢٤ (حلبى).

ذلك ما رواه الترمذى بسنده عن عبيدالله بن رافع مولى رسول الله ﷺ قال:

«استخلف مروان أبا هريرة على المدينة، وخرج إلى مكة، فصلى بنا أبو هريرة يوم الجمعة فقرأ في السجدة الأولى : سورة الجمعة.

وفى السجدة الثانية : «إذا جاءك المنافقون».

قال عبيد الله: فأدركت أبا هريرة فقلت له: تقرأ بسورتين كان على يقرأ بهما فى الكوفة..؟

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما.

وكان يسيئه أن يرى بعض المصلين يتأخرون يوم الجمعة فى حضورهم إلى المساجد حتى يخطب الإمام.

فيقول: لأن يصلى أحدكم بظهر الحرة، خير له من أن يقعد حتى إذا قام الإمام يخطب، جاء يتخطى الرقاب يوم الجمعة.

وفى قوله هذا دعوة للمصلين إلى الحضور فى أول وقت، عملاً بالسنة فقد روى الإمام أحمد عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قال: إذا كان يوم الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا فاستمعوا الذكر.

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ:

«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج، هى خداج غير تمام..؟؟»[1]

قال السائب: فقلت يا أبا هريرة إنى أكون أحياناً وراء الإمام..؟

(١) الحديث رواه مسلم فى الصلاة ٣٨، ٤١ وأبو داود فى الصلاة ١٣٣ والتطوع ١٢ والترمذى فى الصلاة ١٦- ١١٦ والتفسير سورة ١ والنسائى فى الافتتاح ٢٣ وابن ماجه فى الإقامة ١١- ١٧٣ وصاحب الموطأ فى النداء ٣٩.

قال أبو السائب: فغمز أبو هريرة ذراعى، وقال: يا فارس اقرأها فى نفسك إنى سمعت رسول الله يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، فنصفها لى ونصفها لعبدى، ولعبدى ما سأل.

يقول الرسول ﷺ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين.

يقول الله تعالى: حمدنى عبدى.

ويقول العبد: الرحمن الرحيم.

فيقول الله تعالى: أثنى علىَّ عبدى.

ويقول العبد: مالك يوم الدين.

فيقول الله تعالى: مجدنى عبدى، وهذه بينى وبين عبدى.

ويقول: إياك نعبد وإياك نستعين.

يقول الله تعالى: أجدها لعبدى ولعبدى ما سأل.

ويقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

يقول الله عز وجل: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل[1].

ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يحض الناس على الاقتداء بالرسول الكريم، وعلى العمل بسنته الطاهرة، وكان يطبق ذلك على نفسه وأهله فقد سمع من الرسول ﷺ يقول:

«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته».

فكان هذا دينه ومسلكه.

يصوم النهار ويقوم الليل، ثم يوقظ امرأته، فتقوم ثلثه، ثم توقظ هذه ابنته لتقوم ثلثه، هكذا كانوا يتناوبون العبادة فى الليل، وقد شهد بذلك ضيوفه وإخوانه الذين خالطوه وعرفوه، وعاشوا معه.

لقد كان يقوم ثلث الليل التزاماً بقول الله تعالى لرسوله:

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٣١ حديث ٧٨٢٣ ج١٤.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

يقول أبو هريرة: كنت فى سبعين رجلاً من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما بردة أو كساء قد ربطوها فى أعناقهم.

ويشتد بهم الألم من الجوع، فيخرج أبو هريرة فيجد هؤلاء النفر قد خرجوا من المسجد، فيقولون: يا أبا هريرة ما أخرجك هذه الساعة...؟

فيقول: ما أخرجنى إلا الجوع.

فقالوا: ونحن والله ما أخرجنا إلا الجوع.

يقول أبو هريرة: فقمنا فدخلنا على رسول الله ﷺ فقال:

ما جاء بكم هذه الساعة..؟

فقلنا يا رسول الله جاء بنا الجوع.

قال: فدعا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر، فأعطى كل رجل منا تمرتين(٢).

فقال: كلوا هاتين التمرتين، واشربوا عليهما من الماء، فإنهما ستجزيانكم يومكم هذا.

قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة فى حجرى.

فقال رسول الله ﷺ يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة..؟

فقلت: رفعتها لأمى.

(١) سورة المزمل آية رقم ٢٠.
(٢) راجع طبقات ابن سعد ٤: ٥٥.

قال: كلها فإنا سنعطيك لها تمرتين، فأكلتها فأعطانى لها تمرتين.

إنه البر الكبير الذى كان يقدمه أبو هريرة لأمه، ألم نقل إنه كان يلتزم بسنة الرسول ﷺ ويلتزم بكلمات الوحى المتتابع على رسول الله ﷺ والذى يأمر فيه سبحانه بالإحسان إلى الوالدين، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١) .

زواج أبى هريرة

قال مضارب بن حزن: بينما أنا أسير تحت الليل، إذا رجل يكبر فى سيره ويحمد الله حمداً كثيراً، فألحقته بعيرى، فقلت: من هذا..؟

قال: أبو هريرة.

قلت: ما هذا التكبير..؟

قال: شكراً وحمداً لله تعالى.

قلت: على مه..؟

قال: كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان فزوجنيها الله، فهى امرأتى..؟؟

لقد تزوج أبو هريرة، ورزقه الله من أوسع الأبواب، وتزوج ممن..؟

المرأة التى كان يقوم بخدمتها- ولا شك أن لديها- المال، والجمال والحسب والنسب.

لقول الرسول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٢).

تزوج أبو هريرة، وأصبح له بيت وسكن، وزوجة، ورزقه الله منها بابنة صالحة نقية، كانت تقوم الليل، تعبد خالقها، وتسبح لمولاها وتقرأ كتابه

(١) سورة البقرة آية رقم ٨٣.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى النكاح ١٥ ومسلم فى الرضاع ٥٣ وأبو داود فى النكاح ٢ والنسائى فى النكاح ١٣ والدارمى فى النكاح ٤ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢ : ٤٢٨ (حلبى).

وتتفقه فى دينه حتى صدق عليها قول الله تعالى:

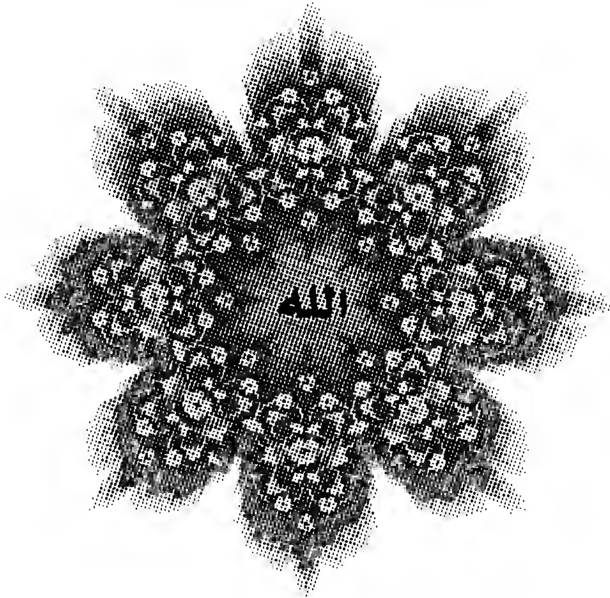
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة:١٦)

ولقد كان أبو هريرة يتصدق بكثير من ماله بعد أن أفاء الله عليه.

يقول كاتب مروان بن الحكم: بعث مروان إلى أبى هريرة بمائة دينار فلما كان من الغد بعث إليه، إنى قد أخطأت ولم أردك بهذا المال، وإنى إنما أردت غيرك.

فقال أبو هريرة: قد أخرجتها صدقة لله تعالى، فإذا خرج عطائى فخذها منه.

فعل مروان ذلك لاختباره، والتأكد من صدق بره وكرمه وإحسانه.



أبو هريرة على أرض البحرين

صدرت أوامر للصحابى الجليل الحضرمى، بالذهاب إلى البحرين ليكون والياً عليها، وأرسل الرسول ﷺ أبا هريرة على أرض البحرين وبقى فيها حتى توفى رسول الله ﷺ عندها عاد إلى المدينة، واستقر فيها حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمله على البحرين وعاد بعد فترة طويلة قضاها فى تلك البلاد.

عاد ومعه عشرة آلاف درهم.

فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه..؟

فقال أبو هريرة: والله لست بعدو الله ولا عدو كتابه، ولكنى عدو من عاداهما.

قال عمر: فمن أين لك هذه الأموال..؟

قال أبو هريرة: خيل نتجت، وغلة رقيق لى، وأعطيات تتابعت علىّ.

فنظروا: فوجدوه كما قال.

وفى رواية أخرى: أن عمر قال لأبى هريرة: كيف وجدت الإمارة..؟

قال: بعثتنى وأنا كاره، ونزعتنى وقد أحببتها.

وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين.

قال عمر: أظلمت أحداً..؟

قال: لا.

قال: فما جئت به لنفسك..؟

قال: عشرين ألفاً.

قال عمر: من أين أصبتها..؟

قال: كنت أتجر.

قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذه، واجعل الآخر فى بيت المال فقد قاسمه عمر رضي الله عنه مع جملة من العمال، وكان أبو هريرة يقول:

اللهم اغفر لأمير المؤمنين.

وتمر الأيام وتكر الليالى، وتتوالى السنون، ثم يطلبه عمر ﷺ ليوليه ولاية.

ولكن أبا هريرة يرفض الولاية بشدة.

فقال عمر: يا أبا هريرة ترفض العمل، وخدمة المسلمين، وقد طلبهما من كان خيراً منك يوسف عليه السلام حيث قال:

﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(١) .

قال أبو هريرة ذاك يوسف نبى وابن نبى، وأنا أبو هريرة، ابن أميمة، وأخشى من عملكم ثلاثاً واثنتين.

قال عمر: فهلا قلت خمساً.

قال أبو هريرة: لا: أخاف أن أقول بغير علم، وأقضى بغير حلم، وأن يضرب ظهرى، وينزع مالى، ويشتم عرضى.

هل يسمع طلاب الحكم، والراغبون فى الولاية والإمارة - ما فعله عمر بن الخطاب مع الصحابى الجليل أبى هريرة، وما فعله مع سيف الله خالد بن الوليد: عندما أعطى بعض الشعراء مبلغاً من المال - عده عمر فى حينه سرفاً وتبذيراً فعزله عن القيادة.

إن الولاية تكليف لا تشريف، وحرص كامل على أموال الرعية، والقيام بواجباتها خير قيام - وهى يوم القيامة خزى وندامة ، فمتى يتعظ هؤلاء المتسلقون إلى المناصب والقيادات.

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٥٥.

أبو هريرة مجاهداً لنشر الإسلام

عاد أبو هريرة، مع وفد قومه، وكانت جيوش المسلمين تحاصر حصون خيبر، وتزلزل الأرض من تحت أقدامهم، ومن بعدها لم يتخلف أبو هريرة عن غزوة أو سرية، من غزوات الرسول ﷺ ولم يترك أبو هريرة الجهاد فى سبيل الله بعد وفاة الرسول ﷺ وكيف يتركه..؟ وقد سمع النبى ﷺ يقول:

«والذى نفسُ محمد بيده، لوددت أن أغزوَ فى سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»(١).

وقول الرسول ﷺ: «لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم».

وكان أول موقعة يحضرها أبو هريرة بعد وفاة رسول الله هى حروب الردة.

أخرج الإمام أحمد بسنده عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبى هريرة عن النبى ﷺ

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى».

ولقد شهد أيضاً موقعة اليرموك، ولقد كان محبّاً للجهاد مقاتلاً فى سبيل الله داعياً للإسلام عاملاً على رفعته.

يقول أبو هريرة:

«وعدنا رسول الله ﷺ فى غزوة الهند، فإن استشهدت كنت من خير الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر».

المحرر الذى أُعتق من النار.

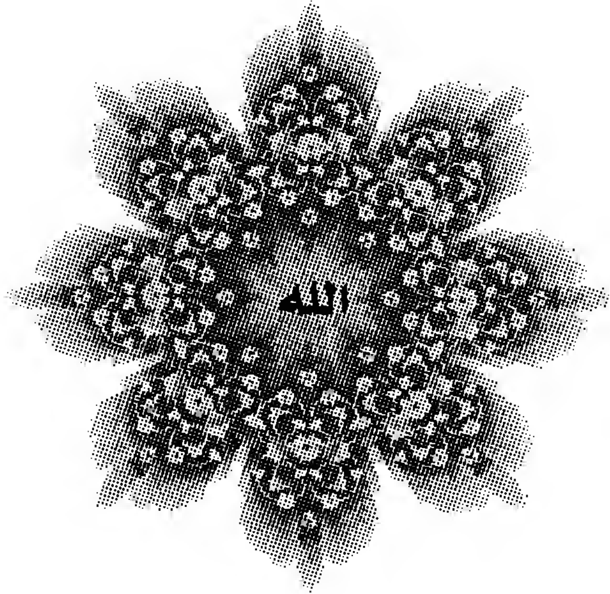
---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه أحمد بن حنبل فى المسند ٢ : ٤٩٦ بسنده عن أبى هريرة.

أسرته وأولاده

قلنا سابقاً بأن أبا هريرة تزوج من بسرة بنت غزوان، أخت الأمير عتبة ابن غزوان الصحابى المشهور، الذى كان إسلامه بعد ستة رجال فهو سابع سبعة فى إسلامه، وقد قال فى خطبته بالبصرة عندما كان والياً عليها، ولقد رأيتنى مع رسول الله سابع سبعة، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، ورزق منها بأربعة ثلاثة ذكور، هم المحرر، وعبد الرحمن، وبلال، وبنت لم يذكر لنا رواة التاريخ شيئاً عنها.

وقد توفى المحرر بالمدينة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.





تـذيــيــل

فساد الزمان وعلامته التى تحققت فى عصرنا الراهن

فساد الزمان وعلاماته التى تحققت فى عصرنا الراهن

كان أبو هريرة رضي الله عنه كثيراً ما يحذر الناس من فساد الزمان.

فيقول: إذا رأيتم ستا، فإن كانت نفس أحدكم فى يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت وأخاف أن تدركنى:

الأولى: إذا أمرت السفهاء.

الثانى: إذا بيع الحكم، إذا سقطت البيعة، والاختيار الحر..

الثالث: إذا تهون بالدين، وصار القتل للهوى والغرض..

الرابع: إذا قطعت الأرحام..

الخامس: إذا كثرت الشرط وعم التجسس، وأصبح الاستخبار حرفة.

السادس: إذا نشأ جيل يتخذون القرآن مزامير..

قال أبو هريرة ذلك: فهل تحقق ما تنبأ به...؟ أم أنه لم يتحقق بعد؟

إن وقتنا المعاصر، وكل ما فيه من وقائع تثبت أن ما قاله وتلفظ به قد تحقق بالكامل..؟

إنه يقول إذا أمرت السفهاء: كان هذا دليلاً على فساد الزمان واقترب أجل الدنيا، ونتساءل كم من حكام الدول الآن يعف عن اغتصاب الأموال والأعراض، كم منهم يعف عن الفساد والإفساد فى الأرض..؟

كم منهم يعف عن بيع بلده وشعبه بيع القطيع؟ إن ما فعله ويفعله حكام

الدول، وخصوصاً فى بعض منطقة الشرق الأوسط، يندى له جبين الرجل المؤمن ويقطع نياط القلوب ويملأها حزناً وهلعاً، والبعض من هؤلاء الحكام السفهاء يبقى متربعاً على عرشه حتى يمته الله شر موتة، أو يقتله شعبه شر قتلة.

ومع هذا لا يتعظ من يأتى بعده، وبمجرد جلوسه على كرسى الحكم يعتبر نفسه إلها يحيى ويميت، فيغتصب وينهب، ويجعل شعبه هدفاً للجوع والحرمان والضياع.

وكأنهم جميعاً- إلا من عصم ربى- يقتدون بالطاغية الذى قال لإبراهيم عليه السلام عندما حاجه: ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾(١).

ويقتدون بالجبار الأعظم الذى ادعى الألوهية- عندما قال لموسى عليه السلام: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾(٢). وجعل شعبه جميعاً سخرة بين يديه، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، لهذا قال لشعبه المطحون المغلوب على أمره ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾(٣).. ؟

إن أحد حكام الدول فى منطقة الشرق الأوسط:

قال: والحرب بيننا وبين اليهود على أشدها..

نحن واليهود أبناء عم خلَّص، ولن نرضى بقذفهم فى البحر كما يقول البعض..؟

ثم يستدرك ويقول: إننا واليهود ننتمى إلى سام وتجمعنا السامية، وتجمعنا القرابة والوطن الواحد.. فبلادنا منبع اليهود الأول الذى منه انتشر اليهود إلى جميع أصقاع العالم..

يقول الحاكم هذا الكلام ويعلنه على الملأ ويتجاهل قول الله تعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨.

(٢) سورة القصص آية رقم ٣٨.

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٥١.

(٤) سورة المائدة آية رقم: ٧٨.

لا شك أنه يوجد فى حكام الأمة الإسلامية، من يخاف ربه، ويعمل على مرضاته ويبذل قصارى جهده فى أن يجعل شعبه يحيا حياة سليمة ويعيش عيشة كريمة مصداقاً لقول الرسول ﷺ :

«الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة»..

ولهذا نقول متى تتخلص الأمة الإسلامية من الحكام الجائرين الذين يستنون فى شعوبهم سنة النيروز بن كوش، وطريقة فرعون مصر الذى قتل أكثر من سبعين ألف طفل من أبناء المصريين خلاف من قتلهم وأذلهم من الكبار، وجعلهم طعمة للذئاب الجائعة، والنسور القانصة.

الثانية : إذا بيع الحكم. إن الحكم فى بعض البلاد لمن يدفع أكثر، ويكون حوله مجموعة من الأبالسة أحفاد الشياطين، يبطشون بالأبرياء، ويزورون الانتخابات ويحيون الأموات للتصويت ويميتون الأحياء فلا يكون لهم صوت، وما يحدث فى بلد ما يحدث فى بعض البلاد إما أن يشترى الحكم أو قطعة منه بالمال أو بالوعود البراقة، والكلمات المعسولة، التى تحول سياسة البلاد لهؤلاء أصحاب المصلحة فى أن يتربع هذا على كرسى الحكم، ما قامت دولة إسرائيل وشرد أهلها العرب، إلا عن طريق هذا الباب، الذى بذلته ولازالت تبذله الصهيونية العالمية فى بيع ما لا يملكون، وفى تولية ما لا يصلحون، حتى تحول الكثير من الدول إلى غابات يمرح فيها الطغاة، ومصاصو الدماء وشلل المنتفعين، وعصابات القتل والنهب والإرهاب، أليس هذا دليلا على فساد الزمان كما أخبر بذلك الصحابى الجليل- أبو هريرة- رضوان الله عليه- وعلى الرسول ﷺ.

الثالثة : إذا تهون بالدم.

إن الإنسان الذى خلقه الله تعالى بيديه ونفخ فيه من روحه، وأكرمه على جميع مخلوقاته حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(١).

(١) الإسراء آية ٧٠.

هذا الإنسان أصبح أهون عند بعض الحكام من القطط والكلاب ومن الحيوانات المستأنسة كالخيل والحمير والبغال.

فتقام المظاهرات فى بعض الدول التى **تدعى** التمدن لأن قطيعاً من الخيول نقل من ولاية إلى ولاية أخرى فى عربات غير مكيفة، وهذه عندهم تعد قسوة بالغة على هذا الحيوان.

والعجيب فى الأمر أن تصدر هذه الدولة التى تحدث فيها المظاهرات المتلاحقة أوامرها للصواريخ النووية، والقنابل الهيدروجينية، وأسلحة الدمار الشامل أن تصب صبّاً على الأطفال والشيوخ والنساء فى دول العالم الثالث دون أن تطرف لهم عين، أو يتحرك لهم قلب.

ولكن عندما تقوم الطائرات الفتاكة وتحمل القنابل الذرية التى تصفى دماء البشر وتشوى أجسامهم وتنقلهم من الحياة إلى الموت فى لحظات وتلقى بهذا الهول كله على بعض مدن اليابان- ويقتل حرقاً وخنقاً مئات الآلاف فهذا شىء هين، قصد به تأديب اليابانيين- حتى **لا يدخلوا** فى منافسة جادة ضد التكنولوجيا الأمريكية.

وعندما يغضب أحد حكام العرب، ويسوق الآلاف من شعبه إلى المذابح ويتساقط القتلى وتهون الدماء- يخرج بقية شعبه للهتاف للملك العادل، والحاكم الحازم سليل الشرف والرفعة.

يا زمان أحد الحكام: كم تراق الدماء وتهون، وتلعقها الذئاب- أو تسقط فى مجارى القاذورات.

الرابع: إذا قطعت الأرحام.

الأرحام التى يقول عنها رب العزة: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته (١).

كما تطالعنا الصحف فى هذه الأيام بمأس يشيب لها الولدان.. ابن

(١) الحديث رواه الترمذى وأبو داود.

شقى يقتل أباه، وفتاة تقتل أمها.

يقتل الأبناء الأمهات والآباء بلا ذنب جنوه أو جريمة ارتكبوها إلا تربيتهم والإحسان إليهم.

قتل الآباء والأمهات جريمة لا تغتفر، وقطيعة الأرحام هى قطيعة لله تعالى الذى قال «الرحم منى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» كيف يقتل الأبناء آباءهم وأمهاتهم، الذين قال الله فيهم يوصيهم بهم:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(١) .

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد، وإلى التضحية بكل شىء حتى بالذات، وكما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء فى الحبة فإذا هى فتات، ويمتص الفرخ كل غذاء فى البيضة فإذا هى القشر، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق، وكل عافية، وكل جهد، وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية- إن أمهلهما الأجل- وهما مع ذلك سعيدان.

فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية- وهكذا تندفع الحياة.

وهنا يجيىء الأمر بالإحسان إلى الوالدين فى صورة قضاء من الله يحمل معه الأمر المؤكد بعد الأمر المؤكد من الله لعباده.

قال الحافظ أبو بكر البزار- بإسناده عن أبيه: إن رجلاً كان فى الطواف حاملاً أمه يطوف بها.

فالتقى بالرسول ﷺ فسأله يا رسول الله هل أديت حقها على بعملى هذا..؟

قال ﷺ: ولا بزفرة واحدة.

(١) سورة الإسراء آية ٢٣- ٢٤.

ويقول الإمام القرطبى- وقد روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبى أخذ مالى.

فقال النبى ﷺ فأتنى بأبيك..؟؟

فنزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسأله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه.

فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله..؟

فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى.

فقال له رسول الله ﷺ

«ايه دعنا من هذا أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك..؟».

فقال الشيخ:

والله يا رسول الله، مازال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً ولقد قلت فى نفسى شيئاً ما سمعته أذناى.

قال ﷺ قل اسمع.

قال: فقال الرجل:

غذوتك مولوداً وصنتك يافعا
تعل بما أجنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى
طرقت به دونى فعينى تهمل

تخاف الردى نفسى عليك لأنها

لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التى

إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائى غلظة وفظاظة

كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتى

فعلت كما الجار المصاقب يفعل

ولم تكن على بمال دون مالك تبخل

قال: فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه وقال:

«أنت ومالك لأبيك».

الخامس: كثرة الجلاوزة.

هى كثرة الشرط.. الشرط الذين هم غلاظ الأكباد ممن يجيدون فن القهر والجلد، ويأتمرون بأمر حاكمهم، ويعدون على الناس أنفاسهم وتحركاتهم، ويأخذونهم بالشبهة والظن، ويقذفون بهم فى أقبية السجون بلا ذنب أو جريرة، ودون محاكمة أو مساءلة.

هل حدث هذا وهل تحقق ما حدث به أبو هريرة، مما قاله الرسول ﷺ وحذر الأمة الإسلامية منه.

لا شك أن ذلك حادث وواقع، وصوره الدامية المرسومة على أجساد المظلومين، والمقهورين، دليل واضح على صدق ما حدث به هذا الصحابى الجليل رضوان الله عليه.

السادس: النشأ الذى يتغنى بالقرآن الكريم.

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى قرآنه على خاتم رسله وأنبيائه، ليكون هذا الكتاب دستوراً لهم فى الصغير وفى الكبير، ومنهجاً يسيرون عليه، **ويلتزمون** بأوامره فى كل حياتهم، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولكن واقع المسلمين فى عالمنا المعاصر- يقول غير ذلك، ولقد **جعلوا** كتاب ربهم وراءهم ظهريّاً، **واتجهوا** إلى تعليمات الغرب وأساليب الشرق، التى لا تعرف وحياً ولا تهتدى بشرع، ولا تأمر باتباع دين.

وكان من **نتيجة ذلك** أن عشنا فى ظلام شامل- لفَّ حياتنا، ونغص معيشتنا وشتت وحدتنا. تنتقص أرضنا **فلا يحمى** لنا أنف، وتغير علينا الأعداء فلا يندى لنا جبين، ونذهب إلى هيئة الأمم المتحدة فيخذلنا العدو والصديق.

فمتى يا رب نخرج من هذا التيه؟

لقد قلت وقولك الحق: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١).

فهل نحن جادون فى نصرة الله- وذلك عن طريق تطبيق شرعه..؟

نرجو من الله ذلك، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

---

(١) سورة محمد آية رقم: ٧.

عبد الله بن عباس

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

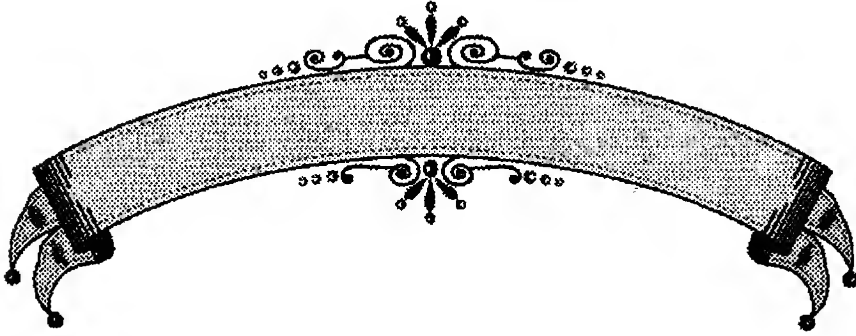
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(السجدة: ١٦- ١٧)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال كثير من رجالات التفسير والحديث نزلت فى المتهجدين بالليل ومنهم عبد الله بن عباس وأنس بن مالك قال ذلك صاحب أسباب نزول القرآن ص ٣٦١ وذكره السيوطى فى الدر ٥: ١٧٥ وعزاه لعبد الله بن أحمد ابن حنبل فى زوائد الزهد وابن مردويه.

فمن هو عبد الله بن عباس.. ؟



قال الرسول ﷺ:

«اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»

رواه الإمام البخارى

وأحمد بن حنبل

إن يأخذ الله من عينى نورهما
ففى لسانى وسمعى منهما نور
قلبى زكى وعقلى غير ذى دخل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور

ابن عباس



حياته ونشأته

عالم: تخرج فى مدرسة النبوة.

وفقيه فى دينه: يعرف عنه كل ما أنزله الله تعالى على رسوله.

وحكيم: يعرف علل الأشياء ومسبباتها.

وناسك فى محراب ربه، من الذين وصفهم الله تعالى بقوله:
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(١).

والده: العباس بن عبد المطب، عم الرسول- ﷺ - ومن أقرب الناس إلى قلبه، وأحبهم إلى نفسه، يقول عنه الرسول - ﷺ: «العباس منى وأنا منه».

ومع ذلك يتقدم العباس إلى ابن أخيه قائلاً: يا رسول الله: ألا تؤمّرنى على إمارة..؟

إنه صاحب رأى وحنكة، وله خبرة ودراية بالنفوس البشرية..؟؟

ولكن الرسول- ﷺ - يرفض أن يقلده ولاية، ويقول له فى رفق: يا عباس يا عم النبى، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها»(٢).

ويقنع العباس ويرضى بما رآه له الرسول- ﷺ-.

وأم عبد الله: امرأة حكيمة عاقلة، تناولها الشعر العربى بالثناء والتكريم يقول عنها الشاعر عبد الله بن يزيد:

---

(١) سورة السجدة الآية رقم: ١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٤: ٢٧.

مـــا ولدت نجـيـيـبـة من فـحل

بجـــبل نعلمـــــه أو ســــهل

كـســتــة من بطن أم الفــضل

أكـــرم بهـــا من كـــهلةٍ وكـــهل

ومن إخوة عبد الله:

الفضل: وكان أكبر البنين، أردفه الرسول- ﷺ - فى حجته. ثم مات الفضل بالشام فى طاعون عمواس.

قثم: وكان يشبه النبى - ﷺ - خَلقاً وخُلقاً، وخرج الى خراسان مجاهداً مع جيش المسلمين واستشهد بسمرقند.

معبد: وقتل على مشارف أفريقيا شهيداً.

عبيد الله: وكان جواداً سخيّاً ذا مال كثير، ومات بالمدينة.

أم حبيبة: ويصمت التاريخ عنها لا يذكرها من قريب أو بعيد.

نشأ عبد الله- رضي الله عنه- فى أحد البيوتات التى كانت تحيط بالكعبة إحاطة السوار بالمعصم، وقضى فيه طفولته، وعلى ربا مكة وسهولها الممتدة عبر الأفق فتح عينيه، وعرف بعض دنياه.

وبين لداته وأترابه من أطفال قريش وشبابها تعودالحركة والوثب وأتقن إرسال الرمح وإصابة الهدف.

عبد الله بن عباس فى مدرسة القرآن

ثم اتجه إلى مدرسة القرآن الكريم تلك المدرسة التى كان من بين أهدافها تربية جيل من الناس، تربية أمة من الأمم، لتحمل هذا الدين إلى البشرية كلها، تربية توافق الفطرة البشرية وتتواءم مع النفس الإنسانية ولا تحيد قيد أنملة عن الجبلة التى فطر الله الناس عليها.

لقد نزل القرآن الكريم منجَّماً.

نزل منجماً ليُتدبر فى عمق، وتنفذ تعاليمه بعد إقناع، ويكون للبشرية كلها منهجاً ودستوراً، وقائداً ودليلاً.

قائداً يوجهها إذا بعدت، ودليلاً يبصِّرها إذا أخطأت، ويأخذ بيدها بعيداً عن وعورة الطريق، ومزالق الحياة.

وكان كل مسلم من جيل القرآن الأول جيل الصحابة- رضوان الله عليهم يشعر أن عين الله عليه، وأن سمع الله إليه.

وأن كل كلمة منه، وكل حركة من حركاته، وكل خاطر من خواطره، وكل نية ينويها من داخله. قد تصبح مكشوفة للناس يتنزل فى شأنها قرآن على رسوله- ﷺ .

وكان كل مسلم ومسلمة من الجيل الأول إذا حزبه أمر، أو واجهته معضلة انتظر أن تفتح أبواب السماء غداً أو بعد غدٍ ليتنزل منها حل لمعضلته وفتوى فى أمره، وقضاء فى شأنه.

إن هذه المدرسة قد قضى فيها عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما - عمره كله يقول عن نفسه:

«كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله- ﷺ- من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازى رسول الله - ﷺ - وما نزل من القرآن فى ذلك، وكنت لا آتى أحداً منهم إلا سرَّ بمجئى لقربى من رسول الله - ﷺ -

فجعلت أسأل أبيَّ بن كعب يوماً- وكان من الراسخين فى العلم- عما نزل من القرآن بالمدينة.

فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة».

إن ابن عباس- ﷺ- لا يكتفى بما يحدث فى مجلس الرسول- ﷺ - ولكنه يتابع هؤلاء الرجال الأفذاذ، الذين تربوا فى مدرسة الرسول - ﷺ - وسبقوه إلى التلقى، وهذه وسيلة من وسائل العلم يحرص عليها طلابها.

وطلاب العلم دائماً ينالون المشقة والجهد الكثير. ولكن كل ذلك يهون فى سبيل ما يحصلون عليه من معارف وعلوم.

ويقول ابن عباس- ﷺ - إنه كان يبلغنى الحديث عن الرجل فآتى إليه، وهو قائل- وهو وقت الظهيرة- فأتوسد ردائى على بابه، تسفى الريح علىَّ التراب، فيخرج فيرانى. فيقول:

«يابن عم رسول الله- ﷺ - ما جاء بك..؟ ألا أرسلت إلىَّ فآتيك..؟؟

فأقول: لا. أنا أحق أن آتيك. فأسأله عن الحديث.

إن العلم يُسعى إليه، ولا يَسعى العلم إلى طلابه، وابن عباس الذى تربى فى مدرسة الإسلام، لا شك فى أنه وعى قصة موسى والخضر عليهما السلام لقد أراد نبى الله موسى أن يتعلم فسعى إلى المعلم فى مكانه، حتى التقى به، وأخبره برغبته فى تلقى العلم على يديه.

ولكن المعلم وضع أمام طالب العلم ظروف التعلم، وأنها شاقة، ومرهقة ولا يصبر عليها إلا أصحاب الهمم العالية، والنفوس الكبيرة.

ثم اشترط عليه شرطاً آخر إن رغب فى التعلم ألا يسأل أستاذه عن شىء حتى يحدث له من أمره ذكراً. قال تعالى على لسان الأستاذ:

﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾(١) .

---

(١) سورة الكهف الآيتان: ٦٧ ـ ٦٨.

وقال التلميذ:

﴿ستَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾ (١).

عندها قال الأستاذ:

﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾(٢).

نقول: وعت أذن ابن عباس- رضي الله عنهما-، ووعى قلبه هذه القصة التى رواها القرآن الكريم، فكان نعم طالب العلم فى عصره، وكان دائماً يقترب من مجلس الرسول- صلى الله عليه وسلم - ويتابعه فى بيوت أزواجه، ويأتى له بوَضوئه وحاجته.

روى ابن سعد بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - كان فى بيت ميمونة، فوضعت له وَضوءاً من الليل.

فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس.

فقال عليه السلام: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل».

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس قال: أتيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم - من آخر الليل فصليت خلفه، فأخذ بيدى فجرنى حتى جعلنى حذاءه، فلما أقبل رسول الله على صلاته خنست فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما انصرف عن صلاته قال:

«ما شأنى أجعلك فى حذائى فتخنس...»؟

فقلت: يا رسول الله أو ينبغى لأحد أن يصلى فى حذائك وأنت رسول الله الذى أعطاك الله عز وجل؟

قال: فأعجبته فدعا الله لى أن يزيدنى علماً وفهماً.

وعن موسى بن ميسرة أن العباس عم الرسول بعث ابنه عبد الله فى حاجة إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم - فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل.

(١) سورة الكهف آية رقم: ٦٩.
(٢) سورة الكهف آية رقم: ٧٠.

فلقى العباس بعد ذلك رسول الله - ﷺ - فقال العباس: يا رسول الله أرسلت إليك ابنى فوجد عندك رجلاً فلا يستطع أن يكلمك فرجع وراءه.

فقال رسول الله - ﷺ - يا عم تدرى من ذاك الرجل..؟

قال: لا.

قال: ذاك جبريل. ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً وحكمة.

عبد الله بن عباس أوتى علماً وحكمة

ولقد استجاب الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وأوتى علماً وحكمة. من ذلك أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله. عن أحب الكلام إلى الله عز وجل.

وعن أكرم العباد على الله عز وجل.

وعن أكرم الإماء على الله عز وجل.

وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا فى رحم.

وعن قبر سار بصاحبه.

وعن مكان فى الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة.

وعن قوس قزح ما هو..؟

وعن المجرة ما هى..؟

فبعث معاوية إلى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما - يسأله عن هذه الأشياء.

فكتب ابن عباس إليه قائلاً:

أما أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى: فسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأكرم العباد على الله آدم عليه السلام. خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد

له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء.

وأكرم الإماء على الله مريم ابنة عمران. حيث قال لها:

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(١).

وأما الأربعة الذين لم يركضوا فى رحم. فآدم وحواء، وعصى موسى وكبش إبراهيم الذى فدى به إسماعيل عليهم السلام.

وأما القبر الذى سار بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام.

وأما المكان الذى لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، فهو البحر لما انفلق لموسى عليه السلام حتى جاوز بنو إسرائيل فيه.

وأما قوس قزح: فأمان لأهل الأرض من الغرق.

والمجرة: فهى باب من السماء.

فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه. وقال: والله ما هى من عند معاوية ولا من قوله: وإنما هى من عند أهل النبى - صلى الله عليه وسلم -(٢).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) راجع البداية والنهاية ٨: ٣٠٤.

ابن عباس وموقعة الجمل

ولى ابن عباس- رضي الله عنهما- إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر من الخليفة عثمان- رضي الله عنه - وهو محصور، وفى غيبته هذه قتل عثمان- رضي الله عنه - قتل عثمان الذى قال عنه الرسول - ﷺ - إن الملائكة تستحى منه».

قتل الرجل الذى جهز جيش العسرة، واشترى بئر حاء من خالص ماله لصالح المسلمين.

ومن هذا التاريخ دخل المسلمون فى فتنة عمياء فرقت وحدتهم وشتتت جمعهم، وجعلت بأسهم بينهم شديداً.

عندها طلبت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- من جماعة المسلمين المطالبة بدم عثمان- رضي الله عنه -. وذكرت ما افتات به أولئك من قتله فى بلد حرام وشهر حرام، ولم يراقبوا جوار رسول الله- ﷺ - وقد سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال.

واستجاب الناس لها وطاوعوها على ما تراه، فخرجوا فى ثلاثة آلاف وأم المؤمنين عائشة تحمل فى هودج. وسار الناس قاصدين البصرة وقد مروا فى سيرهم ليلاً بماء يقال له الحوأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة- رضي الله عنها- قالت:

ما اسم هذا المكان..؟

قالوا: الحوأب.

فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظننى إلا راجعة.

قالوا: ولم.

قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لنسائه: ليت شعرى أيتكن التى تنبحها كلاب الحوأب..؟؟

ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردونى، أنا والله صاحبة ماء الحوأب.

فأناخ الناس حولها يوماً وليلة.

ثم قال لها عبد الله بن الزبير: إن الذى أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب. ثم قال الناس: النجا النجا، هذا جيش على بن أبى طالب - رضي الله عنه -. فارتحلوا نحو البصرة.

ثم تقابل الجيشان، وكان لابد مما ليس منه بد؟؟ تقابل الجيشان وعملت السيوف عملها. وتساقط القتلى من صحابة رسول الله ﷺ، ومنهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله وغيرهم ودخل على المسلمين ليل داج. طال ظلامه فلم يظهر فجره.

ثم كانت معركة صفين بين جيش على. وجيش معاوية، وما حدث فى التحكيم من غلو وجور وخرجت خارجة سُمُوا الخوارج لخروجهم على أمير المؤمنين على رضي الله عنه.

عندها طلب على من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن يذهب إلى هؤلاء الخارجين، حتى يناقشهم فيما أغضبهم وجعلهم يخرجون على الإمام والخليفة، ويفرقون وحدة المسلمين فأجابه إلى ما طلبه..

ابن عباس والخوارج

قال ابن عبد البر: فدخل عليهم وهم قائلون مستريحون وقت الظهيرة فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر، وقد أثر السجود فى جباههم، كأن أيديهم ركب الإبل، عليهم قمص مغسولة.

فقالوا ما جاء بك يا ابن عباس..؟ وما هذه الحلة التى عليك..؟ قال ابن عباس: قلت ما تعيبون منى..؟ فلقد رأيت رسول الله- ﷺ - أحسن ما يكون من ثياب اليمنية..

قال ثم قرأت هذه الآية:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(١) .

فقالوا: ما جاء بك..؟

فقال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله- ﷺ - وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم الرسول - ﷺ - وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله(٢)، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم قال بعضهم لاتخاصموه ولا تجادلوه فإن الله تعالى يقول:

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٣) .

فقال بعضهم: بلى، فلنكلمنه.

قال: فكلمنى منهم رجلان أو ثلاثة.

قال: قلت: ماذا نقمتم عليه..؟

قالوا: ثلاثاً.

---

(١) سورة الزخرف آية: ٣٢.

(٢) قال أبو عبيدة وطائفة معه: التفسير والتأويل بمعنى واحد، فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير وقال الراغب الأصفهانى: التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ والتأويل فى المعانى.

(٣) سورة الزخرف آية: ٥٨.

قلت: ما هى..؟

قالوا: حكَّم الرجال فى أمر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾(١).

قال: قلت هذه واحدة، وماذا أيضاً..؟

قالوا: فإنه قاتل، ولم يسب ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم..؟؟

قال: قلت: وماذا أيضاً..؟

قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أريتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون..؟

قالوا: ما لنا لا نرجع؟

قال: قلت أما حكم الرجال فى أمر الله، فإن الله تعالى قال فى كتابه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (٢).

وقال فى المرأة وزوجها:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (٣).

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال. فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال فى دماء المسلمين، وإصلاح ذات بينهم أفضل، أو فى حكم أرنب ثمنه ربع درهم، وفى بضع امرأة؟.

قالوا: بلى، هذا أفضل.

(١) سورة الأنعام آية: ٥٧. (٢) سورة المائدة آية: ٩٥.

(٣) سورة النساء آية: ٣٥.

قال: أخرجت من هذا..؟

قالوا: نعم.

قال: فأما قولكم: قاتل فلم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة..؟

فإن قلتم: نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها، فقد كفرتم. وإن قلتم ليست بأمنا، فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين.

أخرجت من هذه..؟

قالوا: بلى.

قال: وأما قولكم: محا نفسه عن إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون إن نبى الله- ﷺ - يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان، وسهيل بن عمرو.

قال رسول الله ﷺ: اكتب يا على: هذا ما صالح عليه رسول الله- ﷺ .

فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

قال رسول الله- ﷺ -: اللهم إنك تعلم أنى رسولك، امح يا على واكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، وأبو سفيان وسهيل بن عمرو»[1].

قال: فرجع منهم ألفان، وبقى بقيتهم فخرجوا فقُتلوا أجمعين.

إن ابن عباس عالم بسنة نبيه، وفقيه بكتاب ربه، ومتأدب بالأدب الذى يأمر به الله أن يكون الجدال والإقناع بالحسنى قال تعالى:

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

ولقد أثرت الكلمة الطيبة، والإقناع بالحجة مع هؤلاء الرجال، الذين عادوا مرة أخرى إلى رحاب الجماعة، فلا نفرة ولا اختلاف، ولا خروج ولا تفرق، بل وحدة وتماسك تحت راية القرآن، ومظلة الإيمان وهؤلاء الخارجون

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤٠.   (٢) سورة النحل آية: ١٢٥.

كانوا فى حاجة إلى من يرشدهم، ومن يوضح لهم معالم الطريق. ولم يكن غير ابن عباس لهذه القضية الشائكة.

ولهذا عندما سئل الإمام على- رضي الله عنه - عن هؤلاء الخوارج أكفارٌ هُمْ..؟

قال الإمام على: بل من الكفر فروا..؟

عندها قال السائل: فمن هم إذن يا أمير المؤمنين..؟

قال أمير المؤمنين: هم إخواننا بغوا علينا..

عبد الله بن عباس والياً على البصرة

شهد ابن عباس - رضي الله عنه - واقعة الجمل مع على، وكان على جند الميسرة يوم صفين، وشهد قتال الخوارج.

ثم دخل مع الإمام على- رضي الله عنه - إلى أرض البصرة. وشاهد الإمام على يخطب فى أهلها قائلا:

بعد حمد الله والثناء عليه: يا أهل البصرة[1] يا أهل المؤتفكة: سمعت

(١) وفد خالد بن صفوان على عبد الملك بن مروان فوافق عنده وفود جميع الأمصار وقد اتخذ مسلمة مصانع له. فسأل عبد الملك أن يأذن للوفود فى الخروج معه إلى تلك المصانع، فأذن لهم فلما نظر إليها مسلمة أعجب بها فأقبل على وفد أهل مكة فقال يا أهل مكة هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فقالوا: لا إلا أن فينا بيت الله المحرم. ثم أقبل على وفد أهل المدينة فقال: يا أهل المدينة هل فيكم مثل هذه..؟ فقالوا: لا. إلا أن فينا قبر نبى الله المرسل، ثم أقبل على وفد أهل الكوفة فقال: يا أهل الكوفة هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فقالوا: لا. إلا أن فينا تلاوة كتاب الله المرسل، ثم أقبل على وفد أهل البصرة فقال: يا أهل البصرة هل فيكم مثل هذه المصانع..؟ فتكلم خالد بن صفوان قال: أصلح الله الأمير أصف لك بلادنا..؟ فقال: هات: قال يغدو قانصنا فيجى هذا بالشبوط والشيم، ويجىء هذا بالظبى الظليم، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً وخزاً وديباجاً، بيوتنا الذهب ونهرنا العجب، وأوله الرطب، وأوسطه العنب، وآخره القصب الخ فقال له مسلمة: أنى لكم هذه يا ابن صفوان ولم تغلبوا عليها، ولم تسبقوا إليها. فقال: ورثناها عن الآباء، ونعمرها للأبناء، ويدفع لنا عنها رب السماء ومثلنا فيها كما قال معن بن أوس:

ورثناها أوائل أوّلينا ... ورثناها أوائل أوّلينا
عن الآباء إن متنا بنينا ... عن الآباء إن متنا بنينا

راجع معجم البلدان مادة بصرة ص ٤٣٧- ٤٣٩ بتصرف.

رسول الله- ﷺ - يقول: تفتح أرض يقال لها البصرة، أقوم أرض الله تكون قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس ومتصدقها أعظم الناس.

ثم قال: انصرفوا إلى منازلكم وأطيعوا الله وسلطانكم. ثم نزل.

ثم أصدر أمره إلى ابن عباس والياً على البصرة- وعاد إلى المدينة، ولقد سار ابن عباس فى أهل البصرة سيرة حسنة، وكان كثير السخاء لمحتاجهم عطوفاً على صغيرهم وكبيرهم.

وكان أهل البصرة مغبوطين به، لأنه كان يفقههم ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطى فقيرهم. وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاة حتى يعود.

واستمر ابن عباس- رضي الله عنه- والياً عليها حتى قتل الإمام على- كرم الله وجهه- فتركها واستقر فى الشام فترة ووفد على معاوية فكرمه وقربه واحترمه وعظمه.

وكان معاوية يستعين به فى حل المعضلات، فيجيب عنها سريعاً فكان معاوية يقول: ما رأيت أحداً أحضر جواباً منه.

عبد الله بن عباس ابن الورع والزهد

كان عبد الله بن عباس، قارئاً لكتاب ربه، مستوعباً لشرائع دينه، يفسر سورة البقرة وهو على المنبر، ويقوم الليل فلا يكل ولا يمل، وجعل من بيته ومسجده داراً للفقه، ومجلساً للتدريس ومنتدى لاستقبال الراغبين فى فهم دينهم، الطالبين للفتوى، الباحثين عن النجاة من عذاب الله، الركع السجود، فى محراب رب الأرباب. وكان لا يفوته فرض ولا نفل. لا يؤخر وقتاً عن زمنه، ولا تشغله الدنيا عن فرائض ربه، عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وقع فى عينيه الماء. الماء الذى يضر بالعين، ويحجب الرؤية.

فقال له الطبيب: ننزع من عينيك الماء على ألا تصلى سبعة أيام فقال: لا، إنه من ترك الصلاة- وهو يقدر عليها، لقى الله وهو عليه غضبان.

وفى رواية أنه قيل له: نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام لا تصلى إلا على عود. وفى رواية إلا مستلقياً.

فقال: لا والله ولا ركعة واحدة.

إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله وهو عليه غضبان- واستمر ابن عباس على ذلك حتى فقد بصره. ثم قال:

إن يأخذ الله من عينى نورهما

ففى لسانى وسمعى منهما نور

قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل

وفى فمى صارم كالسيف مأثور

إن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بالتداوى، وأمرهم بالحفاظ على هذا الجسد حتى يوسد فى قبره: وأرى أن ابن عباس- رضي الله عنهما - اجتهد فجانبه الصواب. وله العذر فى ذلك. وهو يعلم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١)

(١) سورة النساء آية رقم: ١٠٣.

وعلم أيضاً قول الله تعالى: وهو يطالب جماعة المسلمين بالصلاة والحرب قائمة والسيوف مشرعة، قال تعالى لرسوله:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(١).

من هذا المنطلق رفض ابن عباس- رضي الله عنهما- أن يبقى خمسة أيام أو أكثر بغير صلاة، كيف يفعل ذلك، وكيف لا يلتقى بربه طوال هذه الأيام الخمس. والصلاة صلة بين العبد وربه، وهل فى مقدوره أن يقطع هذه الصلاة، ولو لأيام معدودة، أو يبتعد عن محراب ربه والقرب منه والله تعالى يقول: ﴿فاسجد واقترب﴾.

وصايا عبد الله بن عباس

روى الدارقطنى بسنده عن ابن عباس قال: رأيت جبريل مرتين، ودعا إلي رسول الله- ﷺ - بالحكمة مرتين.

وروى الإمام أحمد بسنده أيضاً عن ابن عباس قال: إن رسول الله- ﷺ - قال: اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل.

وقال الله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٢).

(١) سورة النساء الآيات من ١٠١ ـ ١٠٣. (٢) سورة البقرة آية: ٢٦٩.

والحكمة : هى الفقه فى القرآن، ومن أُعطى الحكمة والقرآن فقد أعطى أفضل ما أعطى الأولون لأن الله تعالى قال عنهم:

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾.

وقال بعض الحكماء، من أعطى العلم والقرآن ينبغى أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا من أجل دنياهم، لأنه أعطى أفضل مما أعطى أصحاب الدنيا.

لهذا عندما جاء لابن عباس- رضي الله عنه- رجل يقال له جندب وقال له أوصنى؟؟

فقال: أوصيك بتوحيد الله والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة فإن كل خير آتيه أنت بعد ذلك منك مقبول، وإلى الله مرفوع. يا جندب إنك لن تزدد من موتك إلا قرباً، فصل صلاة مودع، وأصبح فى الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك، فكأن قد فارقتها، وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

وقال بعضهم أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم. قال: لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعاً.

ولا تمار سفيهاً ولا حليماً فإن الحليم يغلبك والسفيه يزدريك.

ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل ما تحب أن يتكلم فيك.

واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. وقال: رضي الله عنه «تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره».

يعنى أن تعجل العطية للمعطى، وأن تصغرها فى عين المعطى، وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها، فإن فى إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى واستحياؤه من الناس.

والمأثور عنه من هذه المكارم كثير جداً لا يحصى ولا يعد.

وفاة ابن عباس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-

توفى- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطائف- وصلى عليه محمد ابن الحنفية، فلما وضعوه ليدخلوه فى قبره جاء طائر أبيض لم ير مثله، فدخل فى أكفانه والتف بها حتى دفن معه..؟؟

وكانوا يرون أن ذلك علمه وعمله. ثم تلى قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (١).

آراء الصحابة والتابعين فى ابن عباس

وَرَدَ صعصعةُ بن صوحان على على بن أبى طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس، وكان على قد ولاه على البصرة. فقال:

«يا أمير المؤمنين، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث:

آخذ بقلوب الرجال إذا حدث.

ويحسن الاستماع إذا حُدث.

وبأيسر الأمرين إذا خولف.

وترك المراء، ومقارنة اللئيم، وما يُعتذر منه.

ويقول عنه سعد بن أبى وقاص- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: ما رأيت أحداً أحضر منه ولا إلب لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك. قد جاءتك معضلة، ويقول مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلم الناس.

(١) سورة الفجر الآيات من ٢٧ ـ ٣٠.



تذييل

رسالة المسجد
فى عالمنا المعاصر

دروس وعبر
رسالة المسجد فى عالمنا المعاصر

لقد كان عبد الله بن عباس- رضي الله عنه - رجل المساجد بلا منازع وعملاق الدعوة بلا مجادل. واستطاع هو وصحابة رسول الله- ﷺ - عن طريق الدعوة لدين الله تعالى أن ينشروا مبادئ الدين الحنيف فى كل البقاع وفى كل أرض يوجد فيها خلق لله تعالى حتى قال أحد الدعاة القادة وهو واقف على شاطئ البحر المحيط. والله لو أعلم أن خلف هذا البحر قوماً لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بمحمد- ﷺ - لخضت لهم بهذا الفرس.

وإذا كان الأمر كذلك: كيف نعيد مبادئ الإسلام إلى دنيا الناس..؟

كيف نجعل الإسلام دستوراً للحياة وقانوناً للحكم..؟

الطريق إلى ذلك أن نوجد للإسلام رجالاً.. رجالاً فى ميدان الحياة، ورجالاً فى حقول الإنتاج، ورجالاً فى ساحات الحرب.

لو وجد هؤلاء الرجال ما ابتعد الإسلام عن توجيه الحياة والأحياء، لو وجد للإسلام رجال لم نجد من يقف فى طريقه، ويحكم عليه بوقف التنفيذ.

لو وجد للإسلام رجال ما ابتعد عن موقف الصدارة، لأنه فى غيبة هؤلاء الرجال طرد المسلمون من ديارهم.

وعندما افتقدت الساحة هؤلاء الأبطال انكمشت رقعة بلاد المسلمين ولكن كيف نوجد هؤلاء الرجال، وما الوسيلة لصنع هؤلاء الأبطال..؟ كيف نجد رجالاً أمثال ابن تيمية الذى أدخل إلى ساحة الإسلام أمة المغول والتتار

وقربهم إلى رحاب الإسلام؟

وأمثال ابن حنبل القاهر بلسانه حجج الكفر والزندقة.

وأمثال أبى حنيفة صاحب مدرسة الرأى والتجديد فى الإسلام.

وأمثال الشافعى عملاق الإسلام وموجه الملوك.

أرىأن السبيل إلى ذلك الاهتمام بالمساجد، السبيل إلى ذلك أن نعيد رسالة المسجد الأولى، ورسالة المسجد فى صدر الإسلام كانت هى:

خلق المسلم الملتزم، وإعداد الجندى المجاهد، وصنع القائد الذى لا يُهزم ودراسة مشاكل المسلمين ووضع الحلول لها، وكل عمالقة الإسلام تخرجوا من المساجد. فى المسجد تخرّج حكام المسلمين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز. وفى المسجد تخرّج قواد المسلمين خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد، وفى المسجد تخرج علماء المسلمين، أبو حنيفة، ومالك، والشافعى وأحمد بن حنبل. وفى المسجد تخرّج أيضاً هؤلاء القادة ركن الدين الظاهر بيبرس وصلاح الدين الأيوبى وسيف الدين قطز. وفى المسجد تخرج محمد عبده، وجمال الدين الأفغانى، وعبد الرحمن الكواكبى ثم لما تعطلت المساجد وأهملت رسالتها أيمكن أن نوجد أمثال هؤلاء الرجال؟ وإذا كان ذلك فى الإمكان فما الوسيلة إلى ذلك؟

الوسيلة إلى ذلك إعادة رسالة المسجد، والوسيلة إلى ذلك الاهتمام بتخريج إمام المسجد، يجب أن يكون إمام المسجد على مستوى الفهم العميق للإسلام. لابد أن يكون حافظاً لكتاب ربه واعياً لمعانيه متصلاً بحديث نبيه ومن قبل ذلك ومن بعده يجب أن يكون فقيهاً فى دينه، بصيراً بشئون حياته لا تغيب عن فكره أحداث عصره، ومتطلبات زمانه، مما تتمشى مع دينه وتخدم إسلامه.

كيف نوجد الإمام الألمعى؟

كيف نوجد الإمام الطليعة؟

كيف نصنع هذا الإمام النافذ البصيرة؟

كيف ؟

وجامعة الأزهر تأخذ الناجحين الأوائل لكلية الطب والهندسة والزراعة وترمى بالمتأخرين إلى الشريعة والدعوة والأصول. بل إن جامعة الأزهر كلها لا يتوجه إليها إلا من يئس من الالتحاق بإحدى الجامعات الأخرى. وسياسة الدولة تخص التعليم المدنى بالكفايات وترمى التعليم الدينى بالنفايات.

إن تعليم الدين يحتاج إلى عقل فيلسوف، وعاطفة أديب، ودقة مشرع وشجاعة فارس، ولباقة شاعر. من الذى يصلح للتبليغ عن المرسلين وتوضيح طرقهم. إن لم تكن النخبة الممتازة والخلاصات الممتازة ونحن نعلم أنه ليس كل إنسان بخلقه وسمته يصلح للسفارة عن الآخرين ولا لاستلانة المعاندين. لابد إذن من استعداد شخصى يجعل صاحبه شجاعاً فى مواطن الجراءة رقيقاً فى مواط التلطف. لكى نجد هذا الإمام ينبغى أن نختار له كفايات فارعة تصلح لإبلاغ رسالته وخدمة عقيدته وشريعته. أما أن تكون الدعوة إلى الإسلام حرفة يأنف الوزراء والكبراء وأصحاب الصدارة فى المجتمع من إلحاق أولادهم فيها فتلك حالة خلقها الاستعمار الصليبى فى بلاد الشرق الإسلامى.

لقد كان تعلم الإسلام والبروز فيه شرفاً للخاصة ولأبناء الملوك فكيف يتحول العلم الدينى إلى حرفة فقراء[1].

لقد كان إبراهيم بن أدهم من أبناء الملوك، وكان الإمام ابن حزم الأندلسى من أولاد الوزراء، وكان الإمام الشعرانى من أحفاد ملوك بنى تلمسان، وغيرهم الكثير. فكيف تحوّل الدين إلى حرفة، وكيف أصبح تعلّمه قاصراً على أولاد الطبقة الفقيرة، وإذا كان ذلك كذلك. فكيف ينزل حكام

(١) معركة المصحف للأستاذ محمد الغزالى.

الدول على رأى هؤلاء؟ كيف ينزل الحكام على حكمهم وهم معزولون عن ركب الحياة؟

إن إنزال الكبار والصغار على أحكام الدين وإلزامهم حدوده لا يتم إلا إذا كانت لعلماء الدين ورجال الدعوة مكانة اجتماعية موطدة. يجب أن تكون لهم مكانة الصدارة فى الصفوف الأولى، لا الصفوف الأولى فى مواكب الجنائز، ولكن مكانة الصفوف الأولى فى إنشاء الحياة وتوجيه الأحياء لن نجد هذا الإمام إلا إذا اهتمت الدولة اهتماماً كاملاً بصنع رجل الدين، وذلك بوضع الامتيازات الكاملة والحوافز القوية لطلاب الدعوة والأصول يجب ألا يقبل فى هذه «الشُّعَب» إلا النوابغ أصحاب العقل الذكى والفهم الشامل. إذا فعلت الدولة ذلك، وقامت جامعة الأزهر بواجبها كاملاً فى تأدية رسالتها، عندها يوجد هؤلاء الرجال رجال يوجهون الدولة فتسمع لهم، ويأمرون الحاكم فيطيع أوامرهم. يطلب حاكم المسلمين هارون الرشيد من عالم الزمان فى وقته أبى حنيفة النعمان أن يتولى القضاء فى مملكته فيرفض ذلك يرفض الوظيفة والجاه لأن فى توليته ذلك حبساً له، وتقييداً له بأسر الوظيفة وهو يريد أن يشرف على أمور الرعية ويهتم بها، ويراقب الانحراف فى شكل الحكم فيدل عليه.

ومن قبل هارون الرشيد، يريد المهدى حاكم الدولة العباسية أن يزور مالكاً إمام الحرمين فيوقفه أمام الباب ساعة ثم يأذن له فى الدخول وعندها يدخل الحاكم.

يقول له مالك: يا أمير المؤمنين إن العيال سمعوا بمجيئك فأحبوا أن يصلحوا منزلهم- أى يهيئوه- لاستقبال الضيف(١).

إن الحاكم هو رجل الدنيا، ومالك رجل الآخرة، وليست الآخرة فى حاجة إلى الدنيا، فلينصرف إن أراد وليبقى إن أحب حتى يهيئ له المنزل.

لقد أقام مالك الإسلام فى داخله فأقيم فى دنيا الناس، وسير الملوك

(١) معركة المصحف للأستاذ محمد الغزالى.

أولادهم ليسمعوا منه وينتفعوا بعلمه.

وروى أن المهدى بعث إليه بولديه موسى وهارون، ليأخذوا عنه العلم، وبعث الرشيد بولديه إليه، فدقا الباب فلم يفتح لهما فجلسا- والريح تضرب وجوههما بتراب العقيق، فى الوادى القريب من البيت- فلما يئسا انصرفا.

يقول هارون الرشيد لمالك: تواضعنا لعلمك فانتفعنا بك، وتواضع لنا سفيان بن عيينة فلم ننتفع به، وكان سفيان يأتى قصور الخلفاء ويعرض عليهم الحديث، وفى الزمن القريب يتقدم رجل من أئمة المساجد هو العارف بالله شمس الدين الديروطى، يتقدم إلى حاكم مصر فى ذلك الحين السلطان الغورى ويدخل عليه مجلسه ويقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلم يرد السلطان عليه السلام.

فقال الشيخ: إن لم ترد السلام فسقت وعزلت.

فقال السلطان: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم قال السلطان: لماذا تهاجمنا على ترك الجهاد ومقابلة الأعداء وليس لنا مراكب نجاهد فيها؟

فقال الشيخ: بل عندك المال الذى تجهزها به.

فطال بينهما الكلام.

فقال الشيخ: قد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان، أما تذكر حين كنت نصرانيّاً ثم أسروك وباعوك من يد إلى يد، ثم منَّ الله عليك بالحرية والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطاناً على الخلق؟ وعن قريب يأتيك المرض الذى لا ينجح فيه طب ثم تموت وتكفن ويحفرون لك قبراً مظلماً، ثم يدسون أنفك هذا فى التراب ثم تبعث عريان عطشان جوعان، ثم توقف بين يدى العدل الذى لا يظلم مثقال ذرة ثم ينادى المنادى: من كان له حق على الغورى فليحضر.. فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله، فتغير وجه السلطان من كلامه، وأوشك أن يختل عقله، وهنا يعرض على الشيخ عشرة

آلاف دينار، ولكن الرجل الذى يجابه السلطان بكلمة حق، محال أن تخدعه عروض الدنيا، أو يغريه بريق الذهب فردها عليه.

وقال: أنا رجل ذو مال، ولا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنت محتاجاً لأجل الجهاد، لأجل تجهيز الجيش، من أجل الدفاع عن الإسلام أقرضتك وصبرت عليك.

يقول راوى الحديث: «فما رُؤى أعز من الشيخ ولا أذل من السلطان فى ذلك المجلس»(١).

ويتكاسل الغورى عن الجهاد، ويتباطأ فى إعداد العدة ويهمل قول ربه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٢).

ويأتى الجيش العثمانى بعدته وعدده ويستولى على مصر ويطلب القائد المنتصر من أعيان الأمة وعلمائها يطلب من رجالها وقوادها أن يأتوا إليه فى القلعة مركز الحكم لتقديم فروض الولاء والطاعة وهُرع الجميع إليه.

ولكن رجلاً ممن تربوا فى المساجد، وتشربوا روح الإسلام ونهلوا من ينابيع الإيمان، يرفض هذا الطلب، ويمتنع عن الذهاب إلى القائد المنتصر.

ويطلبه القائد ويلح فى الطلب ولكن الرجل الإلهى يرفض ويصر على الرفض. ولم يجد القائد المنتصر من وسيلة إلا النزول إليه. نزل الحاكم وحاشيته نزل القائد المنتصر وجنوده، ونزل الجميع على رأى هذا الرجل.

ويقول له القائد: لم لم تأت إلينا؟

ويرد الرجل المؤمن: لم نتعود الخروج إلى أحد، ويطول الصمت بين الرجلين، ويحس القائد المنتصر بضآلته أمام هذا الرجل، ويحس بأن نصره وصولجانه وجنوده لا تساوى شيئاً أمام كلمة، رضا يسمعها من هذا الرجل.

ويقول له: يا سيدى ألك حاجة نقضيها لك قبل أن نذهب إلى تركيا.

---

(١) الإمام الشعرانى حياته وتصوفه. د. عبد الرحمن عميره.

(٢) سورة الأنفال آية رقم: ٦٠.

ويرد عليه الرجل المؤمن:لسنا في حاجة إلا إلى الله سبحانه وتعالى.

ويعود القائد من حيث أتى، ويترك مصر ويعود إلى بلده، ولكن خمرة النصر لم تنسه هذا النموذج من الرجال، ويكلف واليه في مصر أن يذهب إلى العالم الجليل. يذهب اليه ليتفقد شئونه ويحقق له مطالبه.

ولكن متى كان لأولياء الله مطالب.؟

متى كان لهؤلاء الجال حاجة إلى غير الله.؟

ويذهب الوالي الجديد إلى منزل الشعراني، ويقول له: اننا أزمعنا الرحيل الى تركيا ونحن مقربون الى السلطان فهل من حاجة نقضيها لك من سلطان البلاد.

ويرد الشعراني: إننا مقربون الى الله أكثر فهل لك أنت حاجة.

هؤلاء هم رجال الإسلام، وأبناء الايمان، وممن خرجتهم المساجد.

كانت لهم الصدارة في مواكب الحياة، وكانت لهم الصدارة في توجيه الحكام والرعية.

انهم حماة الدين وجند الله.

وكان الحكام يطلبون رضاهم وينزلون على حكمهم، ويذهبون إلى زيارتهم ويملؤهم الخوف والهلع إن ردوا لهم طلباً أو رفضوا لهم هدية.

عبد الرحمن بن عوف

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(البقرة: ٢٦٢)

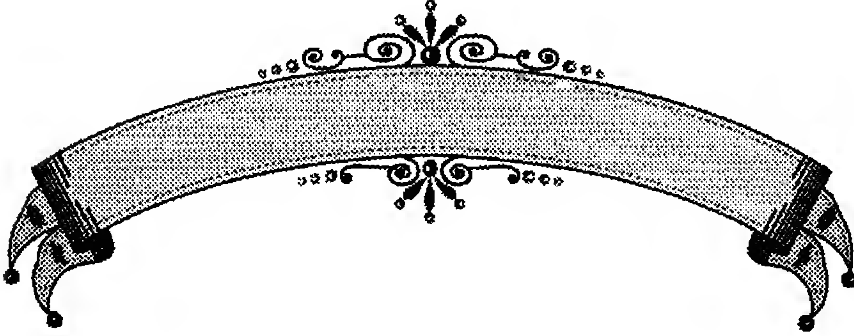
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال العلماء والمفسرون نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنهما.

قال ذلك القرطبى فى التفسير ٢: ٣٠٥.

وقاله صاحب أسباب نزول القرآن ص ٨٩.

فمن هو عبد الرحمن بن عوف..؟



قال الرسول عليه السلام:

«يا ابن عوف.. إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً فاقرض الله يطلق لك قدميك».

قال ابن عوف: «وما الذى أقرض يا رسول الله..؟

قال: «تبدأ بما أمسيت فيه».

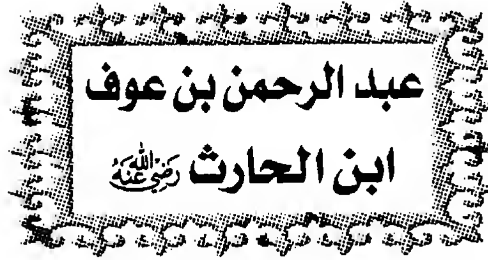
قال: أمن كله أجمع يا رسول الله..؟ قال: نعم.

قال: فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأرسل إليه رسول الله- ﷺ - فقال: إن جبريل قال: مُرّ ابن عوف فليضف الضيف، وليطعم المسكين، وليعط السائل ويبدأ بمن يعول، فإنه إن فعل ذلك كن تزكية ما هو فيه.

طبقات ابن سعد ٣: ١٣٢



حياته ونشأته



حياته ونشأته

من السابقين الأولين إلى الإسلام.

ومن الفارين بدينهم الى أرض الحبشة مرة وإلى يثرب أخرى.

ومن الأمناء الأوفياء الذين ائتمنهم الرسول ﷺ على أهل بيته وذويه.

ومن العشرة المبشرين بالجنة.

ومن الستة الذين كون منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجلس الشورى.

ومن الأسخياء الكرماء الذين بذلوا أموالهم فى سبيل الله.

نشأ فى دروب مكة وشعابها. وعاش كما عاش أهلها ـ يستقبلون الحجيج إلى بيته، ويتابعون رحله الشتاء والصيف.

وكان كريماً مفضالاً. عاقلاً ألمعياً سمع بدعوة الإسلام فبادر بالدخول فيه. ووقع عليه ماوقع على كل المؤمنين ـ فهاجر إلى أرض الحبشة، وحظى بالتكريم والحفاوة من مليكها.

ثم عاد الى مكة ـ وهاجر مرة أخرى الى يثرب. وفى المدينة ـ عاش عبدالرحمن بن عوف حياته الجديدة. وما كادت أقدامه تطأ أرض يثرب. حتى آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع. أحد النقباء فى بيعة العقبة. والرجل الذى صدق ماعاهد الله عليه والشهيد فى غزوة أحد.

عن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده. قال: قال رسول الله ﷺ. يوم أحد: من يأتينى بخبر سعد بن الربيع..؟ فإنى رأيت الأسنة قد أشرعت إليه.

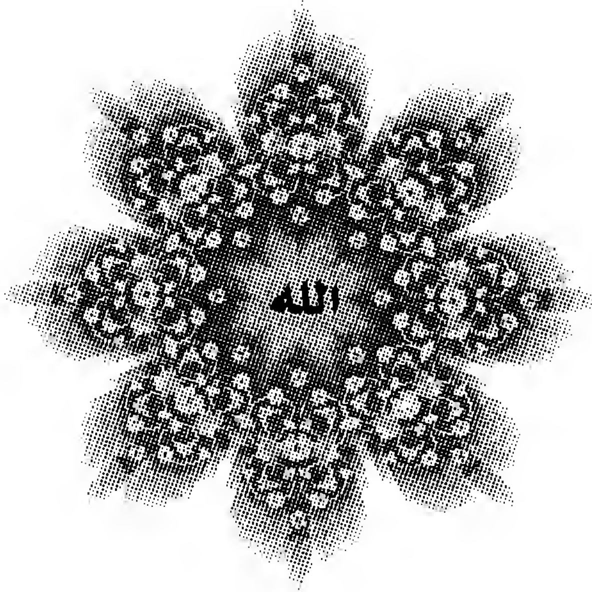
قال أبى بن كعب أنا يارسول الله ـ وذكر الخبر ـ وفيه أن سعد قال لأبى اقرأ على قومى السلام. وقل لهم: يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وماعاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.

قال أبى: فلم أبرح حتى مات فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قاله سعد.

فقال عليه السلام: رحمه الله، لقد نصح لله ولرسوله حياً وميتاً.

ونزل فى ابنته قول الله تعالى:

﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ (١).



(١) سورة النساء الآية رقم: ١١

المؤاخاه بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى فقال له سعد:

«أخى أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالى فخذه، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها لك.

فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله فى أهلك ومالك. دلونى على السوق.

إن سعد بن الربيع يقدم ماله وأهله لأخيه فى الإسلام، طيبة نفسه بذلك راضية مطمئنة. لهذا مدحهما الله تعالى بقوله:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة: أن رجلاً بات عنده ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته: نومى الصبية واطفئي السراج وقربى للضيف ما عندك. فنزلت هذه الآية.

وخرج عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله- ﷺ - فقال: إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء. ثم أرسل إلى الأخرى: فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء.

فقال ﷺ: من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله..؟

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى منزله.

فقال لامرأته: هل عندك شيء..؟

---

(١) سورة الحشر الآية رقم: ٩

قالت: لا . إلا قوت صبياني.

قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه.

قال: فقعدوا وأكل الضيف. فلما أصبح غدا على النبي - ﷺ - فقال عليه السلام: قد عجب الله عز وجل من صنيعكما بضيفكما الليلة.

ونزل قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١).

عبد الرحمن بن عوف في سوق المدينة

لقد قال عبد الرحمن بن عوف لأخيه سعد بن الربيع. يا أخي بارك الله لك في أهلك ومالك. وإذا أصبحت دلوني على السوق.

وفي السوق: اشترى عبد الرحمن بن عوف وباع فربح مالاً كثيراً، وفتح الله له أبواب الرزق. ورزقه الله من حيث لا يحتسب وصدق فيه قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(٢).

ولبث عبد الرحمن بعيداً عن مجلس الرسول فترة قصيرة من عمر الزمن، ثم عاد إلى رسوله، وآثار النعمة بادية عليه- وهو يلبس أحسن الثياب ويظهر في أجمل الهيئات.

فقال له الرسول- ﷺ - ما هذا..؟

قال عبد الرحمن: يا رسول الله تزوجت امرأة..؟

قال ﷺ: فما أصدقتها..؟

قال: وزن نواه من ذهب.

قال ﷺ: يا عبد الرحمن أولم ولو بشاة.

(١) سورة الحشر الآية رقم: ٩. (٢) سورة الطلاق آية: ٢ ـ ٣.

قال عبد الرحمن: فلقد رأيتنى، ولو رفعت حجراً من الأحجار، رجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة.

عبد الرحمن بن عوف فى غزوة بدر.

التقى الجيشان فى غزوة بدر عندها وقف الرسول - ﷺ - على ربوة عالية وأخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ثم قال:

«شاهت الوجوه» ثم نفحهم بها. وأمر أصحابه فقال: شدوا الهزيمة فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم، فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ويقتلون. قال النبى - ﷺ - لأصحابه يومئذ:

إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هشام قد أُخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله، ومن لقى أبا البخترى فلا يقتله، ومن لقى العباس بن عبد المطلب- عم رسول الله- ﷺ - فلا يقتله، فإنما أخرج مستكرهاً.

قال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس؟

والله لئن لقيته لألحمنه السيف.

قال: فبلغت رسول الله- ﷺ - فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف..؟

فقال عمر: يا رسول الله: دعنى فلأضرب عنقه بالسيف لقد نافق..؟؟

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفرها عنى الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيداً.

وإنما نهى الرسول - ﷺ - عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول الله - ﷺ - وهو بمكة وكان لا يؤذيه، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب.

فلقيه المجذر بن زياد.

فقال له: إن رسول الله - ﷺ - قد نهانا عن قتلك.

قال أبو البخترى: ومعى زميلى جنادة بن مليحة- أيلزمه العفو..؟

قال المجذر: لا والله، ما نحن بتاركى زميلك، ما أمرنا رسول الله- ﷺ - إلا بك وحدك.

فقال أبو البخترى: لا والله، إذن لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة. وقاتل حتى قتل.

ويقول عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه - كان أمية بن خلف صديقاً لى بمكة وكان اسمى عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن. فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو: أرغبت عن اسم سماكه أبواك..؟

فأقول: نعم.

فيقول: فإنى لا أعرف الرحمن، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به. أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف.

قال: فكان إذا دعانى: يا عبد عمرو.. لم أجبه.

قال: فقلت له: يا أبا على، اجعل ما شئت.

قال: فأنت عبد الإله.

قال: فقلت نعم.

قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه، فاتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه على- وهو آخذ بيده، ومعى أدراع، قد استلبتها فأنا أحملها. فلما رآنى قال لى: يا عبد عمرو فلم أجبه فقال يا عبد الإله..؟

فقلت: نعم.

قال: هل لك فىّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك..؟

قال: قلت نعم. هذا قسمى.

قال: فطرحت الأدراع من يدى، وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، قال: ثم خرجت أمشى بهما.

فقال لى أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره..؟

قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب.

قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الرحمن: فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى- وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام- فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول:

«لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد.

فيقول بلال: أَحد أحد.

قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا؟؟

قال عبد الرحمن: قلت: أى بلال إنه أسيرى.

قال: لا نجوت إن نجا.

قال: قلت: أتسمع يا بن السوداء.

قال: لا نجوت إن نجا.

قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا.

قال عبد الرحمن: فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل الحلقة وأحاطوا بنا، وأنا أدافع عنه.

قال: فسل رجل السيف وضرب ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط قال: فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئاً قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما.

قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً: ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى. لقد انتقم بلال من رأس الكفر كما كان يسميه. انتقم من الرجل الذى طمس الله على قلبه، وجعل على بصره غشاوة، فأصبح من جنود إبليس يجندل أتباع الإسلام، ويصب عليهم العذاب صبّاً، ويلقى بهم فى رمضاء الصحراء المشتعلة تشوى جلودهم وتُكْلِمُ قلوبهم.

حتى أراد الله سبحانه وتعالى لتلك الفئة المؤمنة أن يجدوا مخرجاً ويفروا إلى الله بدينهم إلى يثرب. فلم يهدأ للفئة الباغية بال، ولم يقر لها قرار حتى جيشت جيشاً قطعت به الفيافى والقفار لتنتقم من الفئة المؤمنة. ولكن الله سبحانه ناصر عباده المؤمنين، وأنزل جنوده لسحق هؤلاء الجاحدين، الذين كفروا بدينه، وحاربوا رسوله.

يقول الله تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١)

يقول عبد الرحمن بن عوف - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لقد كان رجال بدر جنود الله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. ولقد سمعت وعمى عمرو بن الجموح- القوم يقولون أبا جهل فى مثل الحرجة لا يصل إليه- أى الشجر الكثير الملتف- وما

(١) سورة الأنفال الآيات من ١٢ ـ ١٦.

كادت هذه الكلمة تصل إلى مسامع عمرو، حتى جعله هدفه، وانخرط إليه بسيفه، ثم ضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه.

يقول: عمرو وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى، فطرح يدى، فتعلقت بجلده من جنبى، وإنى لأسحبها خلفى، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. وآويت إلى شجرة حتى يجف نزفى.

وفى هذه الأثناء مر بأبى جهل معوذ بن عفراء- رضي الله عنه - فضربه حتى أثبته. فتركه وبه رمق.

عندها فر جنود الشيطان- الشيطان الذى زين لهم أعمالهم وقال: بأنى جار لكم فلما نزل جند الله ورآهم رأى العين: نكص على عقبيه- وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون.

عندها أمر الرسول- صلى الله عليه وسلم - البحث عن القتلى- والتعرف على هويتهم. يقول عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه.

«وجدت أبا جهل بآخر رمق فعرفته، ووضعت رجلى على عنقه. ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله..؟

قال: وبماذا أخزانى من رجل قتلوه، أخبرنى لمن الدائرة اليوم..؟

قال: قلت: لله ولرسوله.

عندها قال: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعى الغنم.

قال ابن مسعود: ثم احتززت رأسه وجئت بها رسول الله- صلى الله عليه وسلم - فحمد الله تعالى.

وشاء الله تعالى لدينه أن ينتصر ولحزبه أن تكون لهم الغلبة فى الأرض حتى يملؤوا الأرض بالركوع والسجود، بالابتهالات والقنوت، ويزيلوا من على وجه الأرض الأوثان والأصنام، وكل ما يُعبد من دون الله. ودوى فى الكون كله صوت البشير النذير يردد قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

وعادت الفئة المؤمنة إلى المدينة، وعاد عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه - وهو مثخن بالجراح، ولم يمض على ذلك إلا شهور قليلة حتى عافاه الله وبرئت كل جراحاته- وعاد صحيحاً معافى يزاول تجارته- وينتظر أمر قائده. فى كل ما يأمر به من شئون السلم والحرب.

عبد الرحمن بن عوف فى غزوة أحد..

هُزم المسلمون فى غزوة أحد.. وأشاع المرجفون بأن رسول الله - ﷺ قد قتل ورأى أنس بن النضر- عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم.

فقال أنس: ويحكم ما يجلسكم..؟

قالوا: قتل رسول الله- ﷺ.

قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده..؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله - ﷺ- ثم استقبل أنس القوم فقاتل حتى قتل وفيه نزل قول الله تعالى:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

وما كان الرسول- ﷺ - يقتل أو يموت قبل أن يتمم الرسالة ويؤدى الأمانة. وقبل أن ينزل قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (٢).

(١) سورة الأنبياء الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٨. (٢) سورة المائدة آية: ٣.

لقد كان الرسول- ﷺ - فى حصن حصين، وفى ركن أمين تحت رعاية الله وعنايته.

ولقد علم المشركون أن الفرية التى أطلقوها بموته كاذبة. ولقد قام عبد الرحمن بن عوف بإعلان حياة الرسول- ﷺ- وأنه سليم معافى لم يصب بأى سوء. وأراد عبد الرحمن بذلك أن يشد من أزر المسلمين حتى لا يصيبهم الهوان والضعف بموت رسولهم.

وما كاد أبى بن خلف يسمع ذلك حتى تقدم نحوه وهو يقول أين محمد، لا نجوتُ إن نجا.

فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا..؟

فقال عليه السلام: دعوه. فلما دنا: تناول رسول الله- ﷺ - الحربة من الحارث ابن الصمة- ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً.

يقول عبد الرحمن بن عوف: وكان أبى بن خلف عندما يلقى رسول الله- ﷺ - بمكة يقول:

«يا محمد إن عندى العوذ: فرسا أعلفها كل يوم مكيالاً من ذرة أقتلك عليها.

فيقول الرسول- ﷺ - بل أنا أقتلك إن شاء الله.

فلما رجع إلى قريش، وقد خدشته الحربة فى عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم قال: قتلنى والله محمد.

قالوا له: ذهب والله فؤادك أى والله ما بك من يأس.

قال: إنه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك. فوالله لو بصق علىّ لقتلنى ثم إن عدو الله مات بسرف- موضع على بعد ستة أميال من مكة- وهم قافلون به إليها..

وأصيب عبد الرحمن بن عوف فى هذه الغزوة بجراحات كثيرة، ولكن الله تعالى، شفاه منه ورزقه الصحة والعافية. وأنزل تعالى على نبيه:

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(١)

عبد الرحمن بن عوف وغزوة بن المصطلق

حضر عبد الرحمن بن عوف مع رسول الله- ﷺ - غزوة بنى المصطلق واقتتل فيها المسلمون وبنو خزاعة على ماء يقال له المريسيع، وهزمهم الله هزيمة منكرة وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً منهم يسمى أحيمر. وغنموا أموالهم ونساءهم وكان من الأسرى جُويرية بنت الحارث.

فلما انتهى القتال جاء أبوها الحارث بن أبى ضراء بفداء ابنته. فلما كان بمكان يسمى العقيق قريب من مسرح المعركة. نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء، فرغب فى بعيرين منها، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبى - ﷺ - وقال: يا محمد: أصبتم ابنتى، وهذا فداؤها..؟

فقال رسول الله- ﷺ - فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا.

فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله. فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله.

وحسن إسلام الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما. ودفع الإبل إلى النبى - ﷺ - ودفعت إليه ابنته حويرية فأسلمت وحسن إسلامها فخطبها رسول الله- ﷺ - إلى أبيها فزوجها إياه

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٣٩ ـ ١٤٣.

وأصدقها أربعمائة درهم.

وفى هذه الغزوة نزلت سورة المنافقين تكشف خباياهم وتدل عليهم وسط الصف الإسلامى، وتذكر الكثير من صفاتهم، وتعرى إهاب زعيمهم عبد الله ابن أبى سلول: الذى قال عن المهاجرين: لقد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول:

«سمن كلبك يأكلك».

أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه قال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم».

فنزل قول الله تعالى يكشف هؤلاء المنافقين ويعريهم من إهابهم جملة قال الله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾.

إلى قوله تعالى:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ⑦ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

---

(١) سورة المنافقون الآيات من: ١ ـ ٨.

عبد الرحمن بن عوف غازياً إلى دومة الجندل

عن عطاء بن أبى رباح - ﷺ - قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب- ﷺ - عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم.

قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله- ﷺ - فى مسجده، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدرى وأنا ومعنا رسول الله - ﷺ - نعد العدة لتجهيز غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل.

إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلم على رسول الله- ﷺ - ثم جلس فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أى المؤمنين أفضل..؟

فقال: أحسنهم خلقاً.

قال: فأى المؤمنين أكيس..؟

قال: أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس.

قال: ثم سكت الفتى.

وأقبل علينا رسول الله- ﷺ - فقال: خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن:

«إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون، والأوجاع، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان.

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء. فلولا البهائم ما مطروا.

وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم.

وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

ثم نظر رسول الله- ﷺ- منه ثم نقض عمامته، وعممه بها مرة أخرى، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك. ثم قال عليه السلام هكذا يا بن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه.

وصية الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف

قال ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه. لعبد الرحمن وكتيبته: اغزوا جميعاً فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم.

ثم قال لعبد الرحمن بن عوف إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، ثم أخذ عبد الرحمن اللواء وسار على بركة الله إلى دومة الجندل. حتى قدمها فأرسل إلى أهلها يدعوهم إلى الإسلام ويحثهم عليه- فأسلم الأصبع بن عمرو الكلبى، وكان نصرانيّاً- وهو رأسهم فأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على دفع الجزية. وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبع- ثم قدم المدينة- بعد أن أدى مهمته- وهدى الله به خلقاً كثيراً دخلوا إلى ساحة الإسلام.

وولدت تماضر لعبد الرحمن ابنته سلمة- رحمهم الله وأسكنهم فردوس جناته.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن ١١ باب العقوبات ٤٠١٩ بسنده عن عطاء بن رباح عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- قال: أقبل علينا رسول الله- ﷺ - فقال: وذكره ، وفى الزوائد هذا الحديث صالح.

عبد الرحمن بن عوف شاهداً على صلح الحديبية

فى أواخر سنة ست خرج رسول الله- ﷺ- فى ذى القعدة مع أصحابه متجهين إلى مكة لأداء العمرة فى بيت الله الحرام لا يريدون حرباً ولا قتالاً. ولكن قريشاً ما كادت تعلم بذلك حتى أعدت العدة وجهزت السلاح والرجال لحرب الرسول- ﷺ- وعندما علم بذلك قال:

«يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة.

ثم قال: فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ثم إن قريش ركبت رأسها ومنعت الرسول ﷺ من دخول الكعبة مع أصحابه وتوالت بينهم الرسل- وتوصلوا أخيراً إلى الصلح ووضع الحرب بينهم عشر سنين وكتبوا بينهم وثيقة بذلك(١).

نص الوثيقة:

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أرد أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه».

وأنك يا محمد ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل- خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب.

(١) راجع سيرة ابن هشام ٤: ٣١٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٦٤.

أمر أبى جندل رضي الله عنه

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

فبينا رسول الله- ﷺ - يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد. قد انفلت إلى رسول الله ﷺ من سجنه.

فلما رأى سهيل ابنه قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيبه. ثم قال: يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا.

قال ﷺ : صدقت.

ثم عاد سهيل إلى ابنه يأخذ بتلابيبه ويرده إلى قريش وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى..؟

فقال رسول الله- ﷺ - يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم.

يقول عبد الرحمن بن عوف:

«فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب.

قال عبد الرحمن: ويدنى عمر بن الخطاب قائم السيف من أبى جندل يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه.

قال: فضن الرجل بأبيه. ونفذت القضية.

فلما فرغ رسول الله- ﷺ - أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ومن المشركين. سهيل بن عمرو، ومكرز بن حفص وغيرهم. وكتبه: على بن أبى طالب- رضي الله عنهم أجمعين.

الرسول ﷺ يصلى خلف عبد الرحمن بن عوف

عن عمرو بن وهب- رضي الله عنه - قال: كنا عند المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- فسئل: هل أَمَّ النبى - ﷺ - أحد من هذه الأمة غير أبى بكر..؟

قال: نعم.

قالوا: من وكيف..؟

قال المغيرة: كنا مع رسول الله- ﷺ - فى سفر، فلما كان من السحر ضرب عنق راحلتى فظننت أن له حاجة، فعدلت معه فانطلقنا حتى تبرزنا عن الناس فنزل عن راحلته ثم انطلق فتغيب عنى حتى ما آراه فمكث طويلاً، ثم جاء فقال: حاجتك يا مغيرة؟

قلت: مالى حاجة.

قال: فهل معك ماء..؟

قلت نعم. يا رسول الله فقمت إلى قربة أو قال سطيحة معلقة فى آخر الرحل فأتيته بها فصببت عليه فغسل يديه فأحسن غسلهما، قال: - وأشك دلكهما بتراب أم لا . ثم غسل وجهه ثم ذهب يحسر على يديه وعليه جبة شامية ضيقة الكم فضاقت فأخرج يديه من تحتها إخراجا فغسل وجهه ويديه، قال: ثم مسح بناصيته ومسح على العمامة ومسح على الخفين.

ثم ركبنا فأدركنا الناس وقد أقيمت الصلاة، فتقدمهم عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة وهم فى الثانية، فذهبت أوذنه فنهانى فصلينا الركعة التى أدركنا وقضينا التى سبقتنا .

قال ابن سعد- فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر. قال: كان هذا فى غزوة تبوك وكان المغيرة يحمل وضوء الرسول ﷺ.

وقال النبى ﷺ حين صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، ما قبض نبى قط حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته.

لقد وصف رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف بأنه رجل صالح.

والصالحون لهم جزاء مضاعف عند ربهم قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾(١).

والصالحون هم الذين يرثون الأرض قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(٢).

والصالحون لهم جنات الفردوس قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (٣).

فهنيئاً لعبد الرحمن بن عوف الجزاء المضاعف من ربه.

وهنيئاً له وراثة الأرض وما فيها من عمل صالح والقيام بدور الخلافة فيها وهنيئاً لعبد الرحمن بن عوف: الفردوس الأعلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

عبد الرحمن بن عوف المنفق المتصدق..

عن حبيب بن أبى مرزوق- رضي الله عنه- قال: قدمت عير لعبد الرحمن بن عوف. قال فكان لأهل المدينة يومئذ رجة.

فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما هذا..؟

قيل لها: هذه عير عبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام.

قالت عائشة: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: كأنى بعبد الرحمن ابن عوف على الصراط يميل به مرة، ويستقيم أخرى حتى يفلت ولم يكد..؟؟

قال: فبلغ عبد الرحمن بن عوف فقال:

«هى وما عليها صدقة، قال: وما كان عليها أفضل منها. قال: وهى

(١) سورة سبأ آية: ٣٧. (٢) سورة الأنبياء آية: ١٠٥.

(٣) سورة الكهف آية: ١٠٧.

يومئذ خمسمائة راحلة.

رضى الله عنك يا عبد الرحمن- إنك لو قدمت ما عليها لكان خيراً ولو قدمت نصفه لكان خيراً ولو قدمت ثلثه لكان خيراً. ولكنك وكأنى وأنت تقدم على ما أقدمت عليه تذكرت قول الله تعالى:

﴿مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (١).

لقد ضاعف الله لك أجرك، ووضع عنك وزرك، وأسكنك فسيح جناته ولقد حدث بعض أهل عبد الرحمن بن عوف أنه باع أمواله من «كيدمه» وهو سهمه من بنى النضير، بأربعين ألفاً من الدنانير فقسمها بين أزواج النبى ﷺ.

تقول أم سلمة - زوج النبى- ﷺ:

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه، إن الذى يحافظ عليكن بعدى لهو الصادق البار. اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة.

ويقول المسور- رضي الله عنه - أتيت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها بنصيبها من مال عبد الرحمن بن عوف.

فقالت: من أرسل بهذا..؟

قلت: عبد الرحمن بن عوف.

فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: لا يحنو عليكن بعدى إلا الصابرون: سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

عبد الرحمن بن عوف أمين فى أهل السماء وأمين أهل الأرض.

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - أن عبد الله بن عوف قال لأصحاب الشورى هل لكم إلى أن أختار لكم وأنحى نفسى من الخلافة..؟

فقال على- رضي الله عنه: نعم أنا أول من رضى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك: أنت أمين فى أهل الأرض وأمين فى أهل السماء.

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٥.

عبد الرحمن بن عوف فى رحمة الله

عن الزهرى عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: أغمى على عبد الرحمن بن عوف ثم أفاق فقال: أغشى علىّ..؟

قالوا: نعم.

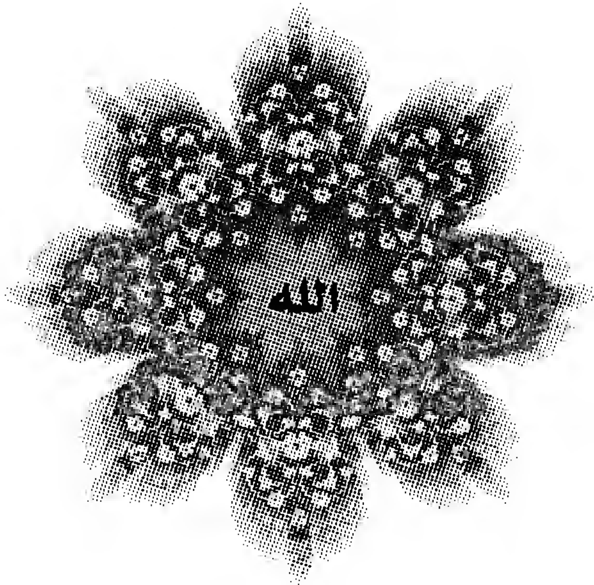
قال: فإنه أتانى ملكان أو رجلان فيهما فظاظة وغلظة فانطلقا بى، ثم أتانى رجلان أو ملكان هما أرق منهما وأرحم فقالا:

أين تريدان الذهاب به..؟

قالا: نريد به العزيز الأمين.

قالا: خليا عنه، فإنه ممن كتبت له السعادة، وهو فى بطن أمه.

مات عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه - سنة اثنتين وثلاثين، وهو يومئذ ابن خمس وسبعين سنة. رحمه الله رحمة واسعة.





تذييل

التقوى في منهج القرآن الكريم

التقوى فى منهج القرآن الكريم..

هاجر عبد الرحمن بن عوف وترك كل ما يملك فى مكة- وكانت التقوى ديدنه فى مجالسه الخاصة والعامة. فما حقيقة التقوى فى منهج القرآن الكريم، وفى شرع الله تعالى؟

إن التقوى مشتقة من الوقاية، وهى حفظ الشىء مما يؤذيه ويضره، يقال وقاه أى صانه، وحفظه.

والمتقى: الذى يتقى بصالح عمله وخالص دعائه عقاب الله تعالى مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزاً بينك وبينه.

والتقوى والتقى واحد:

قال الله تعالى:

﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[1].

والتقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين، وهو المعصية والفضول.

وقد ورد لفظ التقوى فى القرآن بخمسة معان:

الأول: بمعنى الخوف والخشية من الله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران رقم ٢٨، وروى الضحاك أن هذه الآية نزلت فى عبادة بن الصامت- وكان بدرياً تقياً، وكان له حلف من اليهود، فلما خرج النبى -ﷺ- يوم الأحزاب قال عبادة: يا نبى الله إن معى خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معى فاستظهر بهم على العدو. فأنزل الله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(١).

فالتقوى حساسية فى الضمير وشفافية فى الشعور وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لأشواك الطريق. طريق الحياة الذى تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضرّاً.

قال الإمام القرطبى: سأل عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أبىَّ بن كعب عن التقوى ما هى..؟ فقال أبى:

« هل سلكت طريقاً ذا أشواك..؟

قال: نعم.

قال: فما عملت فيه..؟

قال: تشمرت وحذرت.

قال: فذاك التقوى(٢).

وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه شعراً فقال:

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أر
ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة
إن الجبال من الحصى

فالتقوى جماع الخير كله، وهى وصية الله تعالى فى الأولين والآخرين وهى خير ما يستفيده الإنسان كما قيل لأبى الدرداء: إن أصحابك يقولون

(١) سورة النساء آية رقم: ١. (١) راجع تفسير القرطبى ج١.

الشعر، وأنت ما حفظ عنك شيء فقال: وأنا قد قلت شعراً أيضاً وأنشد:

يريد المرء أن يؤتى مناه

ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى

وتقوى الله أفضل ما استفادا

وروى ابن ماجة فى سننه عن أبى أمامة عن الرسول- ﷺ - أنه كان يقول:

«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله»(١).

الثانى: بمعنى الطاعة والعبادة: قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

واصب: أى دائم ومعنى واصباً: أى أن طاعة الله واجبة أبداً قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ (٣).

أى دائم. وقال أبو الأسود الدؤلى:

لا أبتغى الحمد أجمع واصبا

بذم يكون الدهر أجمع واصبا

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو إله واحد، ومالك واحد، وله ما فى السموات والأرض، ودائن واحد، وله الدين واصباً منذ ما وجد الدين، فلا دين إلا

(١) الحديث عن ابن ماجه فى كتاب النكاح باب أفضل النساء ١٨٥٧ بسنده عن أبى إمامة عن النبى ﷺ.

(٢) سورة النحل آية: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) سورة الصافات آية: ٩.

دينه، ولا شرع إلا شرعه، ولا نعمة إلا من عنده.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(١).

الثالث: معناه ترك المعصية والزنا. قال الله تعالى:

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢).

فالبر: هو تقوى الله تعالى: بالتخلى عن المعاصى والرذائل، وعمل الخير بالتحلى بالفضائل، واتباع الحق، واجتناب الباطل.

وإتيان البيوت من أبوابها: طلب الأمور كلها من مواضعها، طلب الأمور من الله سبحانه وتعالى الذى يمتلك المنع والعطاء، والضر والنفع، والحياة والموت.

وليس من البر ولا من التقوى، أن تطلبوا الأمور من غير أبوابها فهؤلاء الذين تلجأون إليهم لا يملكون نفعاً ولا ضرّاً، ولا حياة ولا موتاً، ولا خلقاً ولا عدماً. قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣).

والتقوى: تنجى أصحابها من العذاب والعقوبة فى الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٤).

فالذين اتقوا بمنجاة من عذاب النار، وبمنجاة من لهيب جهنم، وبمنجاة من كل ما يؤلم أو يحزن.

والتقوى: ينال صاحبها الفوز فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى:
﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة النحل آية رقم: ٥٣. (٢) سورة البقرة آية: ١٨٩.
(٣) سورة الطلاق الآيات: ٢ ـ ٣. (٤) سورة مريم آية قم: ٧٢.
(٥) سورة الزم آية رقم: ٦١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾(١).

إن هذا الحشد الهائل من نعم الله تعالى أعدها الله للمتقين، فهم لهم الفوز، ولهم النجاة، ولهم الخلاص، ولهم الحدائق المليئة بالثمر، والفواحة بالعطر، الطيبة الفاكهة، ولهم الكواكب الحسان، والكاعب: الناهد- وقال الضحاك: الكواعب: العذارى».

قال قيس بن عاصم:

وكم من حَصان قد حوينا كريمة

ومن كاعب لم تدر ما البؤس مُقّصر

ولهم الكأس المليئة باللبن الذى لم يتغير طعمه، والكأس المليئة بالعسل المصفى والكأس المليئة بالخمر لذة للشاربين.

ومع كل هذا فهم فى نعيم، وفى سعادة لا يعكر صفوهم باطل القول، ولا لغو الحديث، ولا يكذب بعضهم بعضاً قال الله تعالى:
﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا﴾(٢).

والتقوى: توجه صاحبها إلى الخير، والتوفيق والعصمة فى حياته كلها قال الله تعالى:

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٣).

ونحن ننظر من خلال هذه الآية إلى تلك الآفاق العالية، التى يريد الله أن يرفع الناس إليها بمنهجه الرفيع القويم.

(١) سورة النبأ آية: ٣١ ـ ٣٦. (٢) سورة النبأ آية رقم: ٣٥.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ١٧٧.

ثم ننظر إلى الناس وهم يفرون من هذا المنهج ويتجنبونه، ويرصدون له العداوة ولكل من يدعوهم إليه، ونقلب أيدينا فى أسف، ونقول ما قاله الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ (١).

وأصحاب التقوى: هم أحباب الله قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

وأصحاب التقوى ينالون الوصال والقربة قال الله تعالى:

﴿ وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(٣).

وأصحاب التقوى يتقبل الله منهم أعمالهم قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٤).

يتقبل منهم الأعمال.

يتقبل منهم العمل الطيب.

يتقبل منهم الخير لأنفسهم ولمجتمعهم، وللناس أجمعين.

ومن صفات المتقين: الإيمان بالغيب. قال الله تعالى:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٥)

والإيمان بالغيب هو العتبة التى يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان الذى لا يدرك إلا ما تدركه الحواس، أو الأجهزة التى هى امتداد للحواس وهى نقلة بعيدة الأثر فى تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتى، ولحقيقة القوى المنطلقة فى كيان هذا الوجود، وفى إحساسه بالكون، وما وراء الكون من قدرة وتدبير.

---

(١) سورة يس آية رقم: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران آية: ٧٦.

(٣) سورة الحج آية رقم: ٣٧.

(٤) سورة المائدة آية: ٢٧.

(٥) سورة البقرة الآيات: ٢ ـ ٣.

كما أنها بعيدة الأثر فى حياته على الأرض، فليس من يعيش فى الحيز الصغير الذى تدركه حواسه، كمن يعيش فى الكون الكبير الذى تدركه بديهته وبصيرته، ويشعر أن مداه أوسع فى الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه فى عمره القصير المحدود. وأن وراء الكون ظاهره وخفيه حقيقة أكبر من الكون، هى التى تصدر عنها واستمد من وجودها وجوده.

والغيب فى النهاية: هو هجرة الإنسان من ظلام البصر إلى نور البصيرة لأن البصر لا يرى إلا المحسوسات.

والبصيرة ترى المعنويات.

البصر لا يرى إلا الكثيف.

والبصيرة ترى آثار اللطيف.

وتجعله يهاجر من الكون إلى خالق الكون.

وتنقله من الآثار إلى موجد الآثار.

وترفعه من ترابية الأرض إلى شفافية السماء.

وتخرجه من ضيق الدنيا إلى سعتها.

وتحيله من قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان[1].

هذا وبالله التوفيق

---

(١) راجع مع الإلحاد وجهاً لوجه للمؤلف.

قيس بن سعد بن عبادة

رضى الله عنهما



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(الحشر: ٩)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

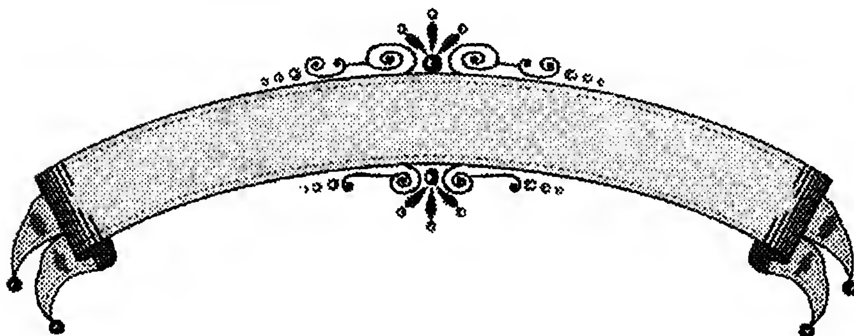
قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآية فى الأنصار الذين آووا ونصروا وضحوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ومنهم قيس بن سعد بن عبادة ﷺ.

رواه صاحب أسباب نزول القرآن ص ٤٣٩

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦ : ١٩٥ لعبد بن حميد وابن المنذر

وأخرجه البخارى فى المناقب ٣٧٩٨ وفى التفسير ٤٨٨٩

فمن هو قيس بن سعد بن عبادة..؟



عن جابر بن عبد الله قال:

خـرجنا فـى بعث كـان عليـهم قـيس بن سـعـد بن عـبـادة فنحـر لهـم تسع ركائب. فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكرو له ذلك من فعل قيس.

فقال رسـول الله ﷺ: «**إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت**».

عندها قـال قـيس: اللهم ارزقنى حمداً ومـجـداً، فإنه لا حـمـد إلا بفـعـال، ولا مجد إلا بمال»


قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما
حياته ونشأته



حياته ونشأته

صحابى كريم من السابقين الذين لبوا دعوة الإسلام مبكرين ومن الأنصار الذين نزل فيهم قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وكان كريماً وفياً صاحب همة ونجدة.

يصفه معاصروه بأنه أحد دهاة العرب وأهل الرأى والمكيدة فى الحروب.

والده: سعد بن عبادة كان نقيباً شهد بيعة العقبة وغزوة بدر فى أرجح الأقوال.

وفى غزوة الخندق أرسل إليه الرسول ﷺ يستشيره فيما أراد أن يعطيه يومئذ عيينة بن حصن (٢) من تمر المدينة، وذلك أنه أراد أن يعطيه يومئذ ثلث أثمار المدينة لينصرف بمن معه من غطفان ويخذل الأحزاب، فأبى عيينة إلا أن يأخذ نصف التمر.

فأرسل رسول الله ﷺ إليه لأنه سيد الخزرج كما أرسل لسعد بن معاذ لأنه سيد الأوس.

فقالا: يا رسول الله: إن كنت أُمرت بشىء من الله فافعله وامض له، وإن

(١) سورة الحشر آية: ٩.

(٢) يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح، وهو من المؤلفة فأغلظ على عثمان فقال له عثمان: لو كان عمر ما أقدمت عليه بهذا فقال: إن عمر أعطانا.

كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف.

فقال رسول الله ﷺ: لم أومر بشيء، ولو أمرت بشيء ما شاورتكما: وإنما هو رأى أعرضه عليكما.

فقالا: والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط فى الجاهلية.. فكيف اليوم؟

وقد هدانا الله وأكرمنا وأعزنا، والله لا نعطيهم إلا السيف، فسر رسول الله ﷺ بذلك ودعا لهما.

ثم أرسل إلى عيينة بن حصن ومن معه وقال لهم: ارجعوا فليس بيننا وبينكم إلا السيف- يرفع بها صوته.

وفى فتح مكة- كانت راية رسول الله ﷺ فى يد سعد بن عبادة، فلما مرَّ بها على أبى سفيان- وكان قد أسلم- قال سعد: إذ نظر إليه اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً.

ثم أقبل رسول الله ﷺ فى كتيبة الأنصار- حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه:

يا رسول الله: أمرت بقتل قومك؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مرَّ بنا أنه قاتلنا. وقال:

«اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً».

وإنى أنشدك الله فى قومك، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم. فقال الرسول ﷺ:

«لا يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشاً».

ثم أرسل الرسول ﷺ فنزع اللواء من سعد بن عبادة، وسلمه إلى ابنه قيس بن عبادة.

فى هذا البيت الذى يرأسه سعد بن عبادة- عاش قيس فى بيت الكرم والجود، والشجاعة والنجدة، وكانت القلوب المؤمنة من أبيه وأمه وإخوته تحوطه بكل الرعاية والعناية والتكريم.

أسلم مبكراً عندما أسلم أبوه، وكان فى استقبال رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى يثرب. وردد مع أهلها نشيد الفرحة والاستقبال الحافل، الذى استقبل به على أرض يثرب.

طلع البـدر علينا من ثنيـات الوداع

وجب الشكر علينا مـا دعـا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحبـاً يا خير داع

ومن هذا التاريخ تحول قيس إلى جندى من جنود الإسلام، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

«كان قيس بن سعد بن عبادة من النبى ﷺ مكان صاحب الشرطة مع الأمير.

واستمر مع الرسول ﷺ حتى جاء يوم بهرج ومرج داخل المدينة والناس تهرول إلى مسجد الرسول ﷺ فانطلق إلى هناك فوجد الجمع الحاشد من جماعة المسلمين- وأبو بكر على المنبر وهو ينعى لهم رسول الله ﷺ ويتلو بين يديهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١).

وعاش المسلمون فى ذهول مما يسمعون، وكأنهم ما كانوا يتصورون وفاة الرسول ﷺ وكيف لا يكون ذلك، وكل حى إلى ممات وكل صباح إلى ليل، ولكل بداية نهاية. ما عدا مالك الملك الحى القيوم الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فهو الحى الباقى قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران آية رقم: ١٤٤.

(٢) سورة الرحمن الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.

أما الرسول ﷺ فهو بشر من البشر: يمرض ويصح، ويفرح ويحزن ويحيا ويموت وصدق ربى فى قوله على لسان رسوله:

﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾(١)

هكذا كان يخاطب قيس نفسه وهو جالس أمام مسجد الرسول ـ ينتظر خروج جسده الكريم ليسجى فى مثواه الأخير.

وارتد جزء كبير من الجزيرة العربية وامتنعوا عن دفع الزكاة ـ فكان قيس جنديًا من جنود الله الذين قذف بهم الخليفة أبو بكر ـ إلى جماعة الشيطان حتى عادوا إلى رشدهم، ونارت قلوبهم فعادوا إلى سماحة الإسلام ثم يصمت التاريخ صمتاً مريباً عن قيس بن سعد بعد حروب الردة. وما تلاها من معارك حتى كانت الفتنة التى فرقت جماعة المسلمين ـ فنراه على ميسرة جيش الإمام على ـ رضي الله عنه ـ فى معركة الجمل.

قيس بن سعد فى معركة الجمل

خرجت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومعها طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وبعض الصحابة– رضوان الله عليهم أجمعين مطالبين بدم عثمان ابن عفان– رضي الله عنه– وانضم إليهم عدد كبير من المسلمين– حتى انتهوا إلى البصرة ليتزودوا منها بالعتاد والسلاح والرجال. وما كاد الإمام على يعلم بذلك حتى خرج فى أثرهم، ولما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبى رفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين أى شىء تريد؟ وأين تذهب بنا؟

فقال: ما الذى نريد وننوى فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه.

قال: فإن لم يجيبوا إليه؟

قال: نرضى بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر؟

قال: فإن لم يرضوا؟

(١) سورة الإسراء آية رقم: ٩٣.

قال: نصبر ما تركونا.

قال: فإن لم يتركونا؟

قال: امتنعنا منهم.

قال: فنعم إذاً.

ثم إن الإمام على- رضي الله عنه- بعث القعقاع رسولاً إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة وبدأ بأم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فقال:

«أى أماه ما أقدمك هذا البلد..؟

فقالت: أى بنى الإصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها فحضرا فقال القعقاع:

«إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس؟

فقالا: ونحن كذلك.

قال: فأخبرانى ما وجه هذا الإصلاح..؟ وعلى أى شىء يكون..؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن.

قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن.

فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير معه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقلتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذى حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفون وتجمعون منه.

يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هى أربى منها، وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص ابن زهير لقيام ستة آلاف فى منعه ممن يريد قتله.

فعلى أعذر فى تركه- الآن- قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فإن الكلمة فى جميع الأمصار مختلفة، ثم أعلمهم أن خلقاً من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذى وقع.

فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت..؟

قال: أقول إن هذا الأمر الذى وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير، وتباشير رحمة، وإدراك الثأر.

وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر، كانت علامة شر، وذهاب هذا الملك فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً.

فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم علىٌّ وهو على مثل رأيك صلح الأمر.

قال: فرجع إلى على فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه.

وأرسلت عائشة أم المؤمنين إلى على تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء.

مؤامرة الخوارج

علم الأشتر النخعى، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ اليهودى المعروف بابن السوداء بما توصل إليه الفريقان من الصلح.

فقال الأشتر: إنما اصطلحوا على دمائنا فإن كان الأمر كذلك ألحقنا علياً بعثمان فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت، لو قتلناه قتلنا فإنا يا معشر قتلة عثمان فى ألفين وخمسمائة، وطلحة والزبير فى خمسة آلاف ولا طاقة لكم بهم.

فقال غلاب بن الهيثم: الرأى أن نسافر إلى بعض البلاد فنمتنع بها.

فقال ابن السوداء: إذاً والله كان يتخطفكم الناس، ثم قال: يا قوم إن عيركم فى خلطة بين الجيشين فإذا التقى جيش على وجيش أم المؤمنين فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون.

وما كاد الفريقان يلتقيان حتى أشعلوا الحرب واختلطت السيوف وأرسلت سهام، وصوبت الرماح فى الأجساد وتساقط القتلى. عندها خرج الإمام على واخترق الصفوف ونادى ادعوا لى الزبير بن العوام، فإنى علىٌّ فجاء الزبير وأقبل على علىٍّ حتى اختلفت أعناق دوابهما. فقال علىٌّ: يا زبير نشدتك الله، أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ ونحن فى مكان كذا وكذا فقال:

«يا زبير ألا تحب عليا..؟

فقلت: ألا أحب ابن خالى وابن عمنى وعلى دينى..؟

فقال يا زبير: إنك ستقاتله وأنت ظالم له..؟

فقال الزبير: بلى، والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله- ﷺ - ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك؟

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال: مالك..؟

فقال: ذكَّرنى علىٌّ حديثاً سمعته من رسول الله - ﷺ - يقول: «لتقاتلنه وأنت ظالم له».

فقال: أو للقتال جئت..؟ إنما جئت لتصلح بين الناس، ويصلح الله بك هذا الأمر.

وطال بينهما الكلام. ثم انصرف الزبير بعيداً عن أرض المعركة فتربص به عمرو بن جرموز وقتله غيلة وهو نائم.

وقتل طلحة فى المعركة. وتساقط القتلى بالألوف، وأوشكت أن تصاب أم المؤمنين فلحق بها أخوها محمد بن أبى بكر وذهب بها إلى البصرة. ثم أمر

علىٌّ - رضي الله عنه- أن يعد لها موكب- وتسير معها مجموعة من النساء وكوكبة من الفرسان- حتى تصل إلى مأمنها فى مدينة الرسول- ﷺ-.

وأسدل الستار على فتنة كقطع الليل المظلم فرقت بين المسلمين، وقتل بعضهم بعضاً وسالت الدماء. الطاهرة النقية بسبب دسيسة الفاسق ابن السوداء عندها أخذ المسلمون يعضون أنامل الندم كيف لم يتنبهوا لذلك. والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١).

قيس بن سعد بن عبادة والياً على مصر

أبلى قيس- رضي الله عنه - بلاءً حسناً فى معركة الجمل، وحرص كل الحرص على ألا يقتل مسلماً، وكان جلَّ جهده. تحاجز الفريقين، حتى لا يزيد عدد القتلى، وخرج ولله الحمد والمنة سليماً معافى من تلك المعركة عندها ولاه الإمام علىٌّ- رضي الله عنه - إمارة مصر.

مصر التى قال عنها رسول الله- ﷺ - إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا منها جنداً فإنهم خير جنود الأرض.

مصر التى شاهدت أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام- وهو يدعو إلى دين الله وترك عبادة الأوثان.

وشاهدت يوسف عليه السلام ملكاً متوجاً، ونبيّاً مرسلاً وحفظت ذاكرتها: تضرع يوسف إلى ربه قائلاً:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾(٢).

وكانت مصر فى فترة ولاية قيس بن سعد: مطمع الطامعين وأمنية

(١) سورة الحجرات آية: ٦.
(٢) سورة يوسف آية رقم: ١٠١.

الراغبين فى ولايتها.

فكان قيس يقاوم بدهائه وخديعته سياسة معاوية، وعمرو بن العاص رضي الله عنه- واللذين كانا يرغبان فيها. ولكنه صمد لهما، حتى صدر قرار أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعزله عنها وتولية محمد بن أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

فاستخفه معاوية حتى أخذها منه، وقيل: إن عمرو بن العاص سير له جيشاً فانهزمْ محمد بن أبى بكر، فدخل فى حفرة فيها حمار ميت فدخل فى جوفه فأحرق فى جوف الحمار.

وكان أمير المؤمنين على يفضله، لأنه كانت له عبادة واجتهاد.

وعاد قيس بعد عزله إلى المدينة، وشهد معركة صفين، والنهروان ولزم الإمام علياً حتى قتل. عندها عاد إلى المدينة مرة أخرى.

قيس بن سعد ومبايعته معاوية رضي الله عنه

اجتمعت الكلمة لمعاوية بعد أن تنازل الحسن- رضي الله عنه - له. وحقن دماء المسلمين- وسمى هذا العام بعام الجماعة.

قال ابن عيينة: قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية: وأنت يا قيس **تلجم** علياً مع من ألجم..؟ أما والله لقد كنت أحب أن **لا** تأتينى هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظفارى موجع..؟؟

فقال قيس: وأنا والله قد كنت **كارهاً** أن أقوم فى هذا المقام فأحييك بهذه التحية؟؟؟

فقال معاوية: ولم..؟ وهل أنت **إلا حبر** من أحبار اليهود..؟

فقال قيس: وأنت يا معاوية كنت **صنماً** من أصنام الجاهلية، دخلت فى الإسلام كارهاً، وخرجت منه طائعاً.

فقال معاوية: اللهم غفرانك مد يدك.

فقال له: قيس: إن شئت زدتَّ وزدتٌّ.

وتمت البيعة، واجتمعت كلمة المسلمين.

ثم إن معاوية أكرم قيساً وقدمه، وحظى عنده، فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه أن أبعث إلىَّ بسراويل أطول رجل فى العرب.

فقال معاوية: ما أرانا إلا قد احتجنا إلى سراويلك..؟

وكان قيس مديد القامة جداً لا يصل أطول الرجال إلى صدره.

فما كان من قيس إلا وقد تنحى ثم خلع سراويله. ثم ألقاها إلى معاوية فقال له معاوية: لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا؟

فأنشأ قيس يقول عند ذلك:

أردت بها كى يعلم الناس أنها
سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه
سراويل عاد سمدٌ وثمود
وإنى من الحى اليمانى لسيدٌ
وما الناس إلا سيدٌ ومسود
فكدهم بمثلى إن مثلى عليهم
شديد وخلقى فى الرجال مديد
وفضلى فى الناس أصل ووالدٌ
وباع به أعلو الرجال مديدٌ

وقيل: إن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن

أحدهما أقوى الروم، والآخر أطول الروم فانظر هل فى قومك من يفوقهما فى قوة هذا وطول هذا..؟

فإن كان فى قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا..؟؟ ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن فى جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادنى ثلاث سنين..

فلما حضر عند معاوية قال: من لهذا القوى..؟

فقالوا: ما له إلا أحد رجلين، إما محمد ابن الحنفية، أو عبد الله بن الزبير.

فجئ بمحمد بن الحنفية، فلما اجتمع الناس عند معاوية.

قال معاوية: أتعلم فيما أرسلت إليك..؟

قال: لا. فذكر له أمر الرومى وشدة بأسه.

فقال محمد ابن الحنفية للرومى: إما أن تجلس لى أو أجلس إليك وتناولنى يدك، أو أناولك يدى، فأينا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه وإلا فقد غُلِبَ.

فقال له: ماذا تريد..؟ تجلس أو أجلس؟

فقال له الرومى: بل اجلس أنت.

فجلس محمد ابن الحنفية، واعطى الرومى يده فاجتهد الرومى بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك، ولا وجد إليه سبيلاً. فَغُلِبَ الرومى. وظهر ذلك لمن معه من الوفود من بلاد الروم..؟؟

ثم قام محمد ابن الحنفية وقال للرومى اجلس لى فجلس وأعطى محمداً يده، فما أمهله أن أقامه سريعاً، ورفعه فى الهواء، ثم ألقاه إلى الأرض.

فسر بذلك معاوية سروراً عظيماً.

ثم نهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله بحضرة الناس فكانت السراويل أطول من أى رجل من الرجال الذين كانوا فى وفد الروم.

كرم وإنفاق قيس بن سعد رضي الله عنهما

كان قيس رحمه الله كريماً منفقاً لماله فى سبيل الخير ومساعدة المحتاجين وكان يقدم الطعام والكساء، ويقال: إنه كانت له جفنة يدار بها حيث دار، وكان ينادى مناديه: هلموا إلى اللحم والثريد. وهو يقتدى فى ذلك بما كان يفعله أبوه وجده.

يقول عروة بن الزبير: باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً وما كان قيس يقبض النقود وقدم المدينة. فأمر مناديه: من أراد القرض فليأت، فأقرض منها خمسين ألفاً فى ليلة واحدة.

ثم أمر بتوزيع الباقى نفقة لذوى الحاجات.

وبعد ذلك بفترة وجيزة أصابته وعكة ألزمته الفراش، وعندها قل عواده وزائروه. فقال لزوجته قريبة بنت أبى عتيق أخت الصحابى الجليل أبى بكر الصديق:

«إنى أرى يا قريبة قلة عوادى، وندرة من زارنى فى مرضى هذا، وإنى لأرى ذلك من أجل ما لى على الناس من القرض، فبعث إلى كل رجل من كان عليه دين بصكه المكتوب عليه، فهو له ووهبهم ماله؟؟

وقيل إنه أمر مناديه فنادى: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه فى حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد.

وكان يقول: اللهم ارزقنى مالاً وفعالاً فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

وقال سفيان الثورى: اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً، فلما جاء ليوفيه إياها. قال له قيس:

«إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئاً فنرجع فيه.

وقال الهيثم بن عدى: اختلف ثلاثة عند الكعبة فى أكرم أهل زمانهم.

فقال **أحدهم**: هو عبد الله بن جعفر[1].

وقال **الثانى**: هو قيس بن سعد.

وقال **الثالث**: هو عرابة الأوسى[2].

فتماروا فى ذلك حتى ارتفع ضجيجهم وجدالهم عند الكعبة. فقال لهم رجل فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذى يزعم أنه أكرم من غيره.

فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان. فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله فى الغرز ليذهب إلى ضيعة له.

فقال له: يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به.

قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو عليها فهى لك بما عليها، وخذ ما فى الحقيبة ما عدا السيف فإنه من سيوف على- رضي الله عنه -.

فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة، وإذا فى الحقيبة أربعة آلاف دينار، ومطارف من خز وغير ذلك.

ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً. فقالت له الجارية ما حاجتك إليه؟

قال: ابن سبيل ومنقطع به.

قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار، ما فى دار قيس مال غيره اليوم، واذهب إلى مولانا فى معاطن الإبل فخذ لك ناقة وعبداً واذهب راشداً.

(١) هو عبد الله بن جعفر بن ابى طالب ولدته امه أسماء بنت عميس بأرض الحبشة وهو أول من أعطى مالاً إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى.

(٢) عرابة سيد من سادات قومه كريم ذكر المبرد أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقيه عرابة بن أوس، فسأله عما اقدمه فقال: أردت أن أمتار لأهلى وكان معه بعيران فأوقرهما عرابة تمراً وبُرّاً وكَساه وأكرمه فخرج من المدينة وهو يقول رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات فتقطع القرن.

فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك. وقال: هلا أيقظتينى حتى أعطيه ما يكفيه أبداً فلعل الذى أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته؟

وذهب صاحب عرابة الأوسى إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبدين له- وكان قد كف بصره.

فقال له: يا عرابة.

فقال: قل.

قال: ابن سبيل منقطع به.

قال: فخلى له عن العبدين ثم صفق بيديه باليمنى على اليسرى، ثم قال: أوّه أوّه والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً. واتخذ هذين العبدين؟؟

قال: ما كنت لأفعل؟؟

فقال: إن لم تأخذهما فهما حران، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ..؟؟

وأقبل عرابة يلتمس الحائط بيده.

قال: فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه.

قال: فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاء بمال عظيم، وأن ذلك ليس بمستنكر له، إلا أن قيساً أحد الأجواد حكم مملوكته فى ماله بغير علمه، واستحسن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت.

وأجمعوا: على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى، لأنه جاد بجميع ما يملكه وذلك جهد من مقل.

وفاة قيس بن سعد رضي الله عنه

عاد قيس إلى المدينة بعد أن بايع معاوية..؟

وهل أسند له معاوية ولاية من الولايات..؟

وإذا كان فما هى ومتى كانت؟

إن الوثائق التى بين أيدينا تصمت عن ذلك صمتاً مريباً، ولا تذكر شيئاً عن قيس بعد مبايعته معاوية، ولعله عاد إلى المدينة واستقر بها، ليشرف على مزارعه وحدائقه، ويقدم ماله لأصحاب الحاجات والغرماء والمنقطعين عن ديارهم وذويهم.

واستمر على ذلك حتى وافاه أجله بالمدينة فى أواخر خلافة معاوية- رضي الله عنهم أجمعين وأسكنهم فسيح جناته.



تـــذيــــل

الإنفاق وأثره الكبير في ترابط المجتمع

دروس وعبر
الإنفاق وأثره الكبير فى ترابط المجتمع

قيس بن سعد بن عبادة- ﷺ - اشتهر فى الجزيرة العربية بالكرم وبذل الأموال فى وجوه الخير، وجعل منهجه فى الحياة قول الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (١) .

إن هؤلاء المنفقين لا ينفقون من عند أنفسهم، إنما ينفقون مما استخلفهم الله فيه من ملكه، وهو الله الذى «له ملك السموات والأرض» وهو الذى استخلف بنى آدم فى شىء من ملكه. وهو الله الذى يحيى ويميت. وعن طريق دورة الحياة، ودورة الممات يستخلف جيلاً منهم بعد جيل.

ويقول الله أيضاً: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢) .

فالمال الذى فى أيدى الناس جميعاً هو من رزق الله لهم- فإذا أنفق هذا المال فى وجوه الخير، ضاعفه الله تعالى لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾(٣) وإذا كان الموت والحياة بيد الله. والحياة لا تذهب بالقتال: ﴿لكل أجل كتاب﴾ وقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(٤) .

فكذلك المال لا يذهب بالإنفاق. لأن الإنفاق قرض حسن لله مضمون الأداء، ويضاعفه أضعافاً كثيرة، يضاعفه فى الدنيا مالاً وبركة، وسعادة وراحة، ويضاعفه فى الآخرة نعيماً ورضا، وجنة وقربى من الله تعالى.

(١) سورة الحديد آية رقم: ٧.
(٢) سورة البقرة آية رقم: ٣.
(٣) سورة البقرة آية: ٢٤٥.
(٤) سورة آل عمران آية: ١٤٥.

وإذا كان مرد الحياة والموت لله تعالى، فأيضاً مرد الغنى والفقر إلى الله لا إلى حرص وبخل، ولا إلى بذل وإنفاق.

وقد ورد الإنفاق فى القرآن الكريم على وجوه

الأول: نفقة الرجل على أهله، قال تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(١) روى الإمام مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله- ﷺ -: «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك. وقيل الإيمان بالغيب حظ القلب.

وإقام الصلاة حق البدن.

«ومما رزقناهم ينفقون»: حظ المال.

الثانى بمعنى التطوع بالصدقات: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

إنهم ينفقون المال فى كل الحالات حالات السراء وحالات الضراء فكثرة المال لا تبطرهم ولا تشغلهم عن الإنفاق، والضراء التى تحل بهم لا تنسيهم الفقير، والمحتاج والمنقطع عن أهله وذويه. فهم دائماً يشعرون بالواجب الذى يمليه عليهم إيمانهم وتقواهم. وأيضاً قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾(٤).

الثالث: الإنفاق فى الجهاد: قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) سورة البقرة آية رقم: ٣.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٣٤.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٧٤.

(٤) سورة الرعد آية: ٢٢.

الْمُحْسِنِينَ﴾(١) .

الجهاد يحتاج للرجال، ويحتاج للعتاد والأسلحة، ويحتاج للمال، ولقد كان الجهاد فى صدر الإسلام يقوم به الرجال المؤمنون، وكان الرجل منهم يتطوع بنفسه، ويجهز أدوات القتال، والخيل التى يركبها، والمال الذى يحتاج إليه فى هذه المعركة التى قد تطول وقد تقصر.

وكان فقراء المسلمين الراغبون فى الجهاد لا يجدون ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب القتال، وكانوا يتسابقون إلى النبى - ﷺ - ليجهزهم للقتال. فإن كان هناك تبرع وإنفاق حملهم إلى ميدان المعركة وإذا كان شح وإقلال اعتذر لهم كما حدث فى بعض الغزوات ونزول قول الله تعالى: مسجلاً هذه الواقعة بقوله:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾(٢) .

من أجل ذلك كثرت التوجيهات إلى الإنفاق فى سبيل الله، الإنفاق لتجهيز الغزاة.

والإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله تهلكة للنفس بالشح، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف ثم يرتقى بهم من مرتبة الجهاد والإنفاق إلى مرتبة الإحسان.

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣) .

والإحسان فى منهج الإسلام: أعلى الدرجات، وأعظم الهمم، لقول الرسول - ﷺ :

(١) سورة البقرة آية: ١٩٥.
(٢) سورة التوبة الآيتان: ٩١ ـ ٩٢.
(٣) سورة البقرة آية رقم: ١٩٥.

«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل أوامر الإسلام كلها وتنتهى عن المعاصى كلها. ويصبح الإنسان ربانيّاً يقول للشىء كن فيكون.

روى الترمذى عن يزيد بن أبى حبيب فقال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفّاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا:

«سبحان الله!! يلقى بيديه إلى التهلكة».

فقام أبو أيوب الأنصارى فقال:

«يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله- ﷺ:

«إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه - ﷺ - يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٢). فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فمازال أبو أيوب شاخصاً فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

الرابع: الإنفاق على الأهل والذرية قال الله تعالى:

﴿وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ (٣) وقوله أيضاً:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(٤).

---

(١) البخارى فى كتاب الإيمان ٣٧، وتفسير سورة ٣١، ورواه مسلم.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٥.

(٣) سورة الطلاق آية: ٦. (٤) سورة الطلاق آية: ٧.

اختلف العلماء فى المطلقة ثلاثاً على ثلاثة أقوال:

مذهب مالك والشافعى: أن لها السكنى، ولا نفقة لها.

ومذهب أبى حنيفة وأصحابه: أن لها السكنى والنفقة.

ومذهب أحمد وأصحابه وأبى ثور: أن لا نفقة لها ولا سكنى، ولذلك على حديث فاطمة بنت قيس قالت:

دخلت على رسول الله- ﷺ - ومعى أخو زوجى فقلت: إن زوجى طلقنى، وإن هذا يزعم أن ليس لى سكنى ولا نفقة.؟

قال: بل لك السكنى ولك النفقة.

قال: إن زوجها طلقها ثلاثاً..؟

فقال رسول الله- ﷺ - إنما السكنى والنفقة على من له عليها الرجعة.

قالت: فلما قدمت الكوفة طلبنى الأسود بن يزيد ليسألنى عن ذلك.

فقلت: قال لى رسول الله- ﷺ -: «لا نفقة لك ولا سكنى».

وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - لما بلغه قول فاطمة بنت قيس:

«لا نجيز فى المسلمين قول امرأة» وكان يجعل للمطلقة ثلاثاً السكنى والنفقة».

ثم فصل الله تعالى فى قدر النفقة فهو اليسر والتعاون والعدل، لا يجور هو، ولا تتعنت هى فمن وسع الله عليه رزقه فلينفق من سعة، سواء فى السكن أو فى نفقة المعيشة أو أجر الرضاعة، ومن ضيق عليه فى الرزق فليس عليه من حرج. فالله سبحانه وتعالى لا يطالب أحداً أن ينفق إلا فى حدود ما آتاه، فهو المعطى، ولا يملك أحد أن يحصل على غير ما أعطاه الله، فليس هناك مصدر آخر للعطاء غير هذا المصدر.

وليس هناك خزانة غير هذه الخزانة: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ (١).

الخامس: بمعنى إنفاق المؤمنين أموالهم انتظاراً للثواب.

(١) سورة الطلاق آية: ٧.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾(١).

وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾(٢).

وبعد فإن الإسلام لا يقيم حياة أهله على العطاء، فإن نظامه كله يقوم أولاً على تيسير العمل والرزق لكل قادر، وعلى حسن توزيع الثروة بين أهله بإقامة هذا التوزيع على الحق والعدل بين الجهد والجزاء، ولكن هنالك حالات تتخلف لأسباب استثنائية وهذه هى التى يعالجها بالصدقة مع مراعاة الآداب وبضمانة تعفف الآخذين- هذا التعفف الذى رباه الإسلام فى نفوس أهله فإذا أحدهم يتحرج أن يسأل وهو لا يجد قوت يومه.

روى البخارى بإسناده عن عطاء بن يسار يقول: قال رسول الله- ﷺ - : «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف. اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى:

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (٣).

وروى الإمام أحمد بسنده عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه ألا تنطلق فتسأل رسول الله - ﷺ - كما يسأله الناس..؟

فانطلقت أسأله فوجته قائماً يخطب وهو يقول:

«ومن استعف أعفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواقٍ فقد سأل الناس إلحافاً».

فقلت بينى وبين نفسى لناقة لى لهى خير من خمس أواق، ولغلامى ناقة أخرى فهى خير من خمس أواق، فرجعت ولم أسأله.

إن هذا النظام الذى جاء به الإسلام من عند رب العالمين لهو النظام الذى يتوافق مع الفطرة. التى فطر الله الناس عليها، وهو نظام فريد لم تعرف البشرية فى تاريخها الطويل نظاماً مثله لصالح البشرية وصدق ربى فى قوله:

(١) سورة البقرة آية: ٢٦٧.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٧٠.
(٣) سورة البقرة آية: ٢٧٣.

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١).

ولقد قال الشاعر:

أنفق من الصبر الجميل فإنه
لم يخش فقراً منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ فى أرضه
كالصقر ليس بصائد فى وكره

وقال الآخر:

زمان كل حب فيه حبٌّ
وطعم الخل خَلٌّ لو يذاق
لهم سوق بضاعتها نِفاق
فنافق فالنفاق لها نفاق

هذا وبالله التوفيق والسداد.

(١) سورة الملك آية رقم: ١٤.

عباد بن بشر بن وقش

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٢- ١٧٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

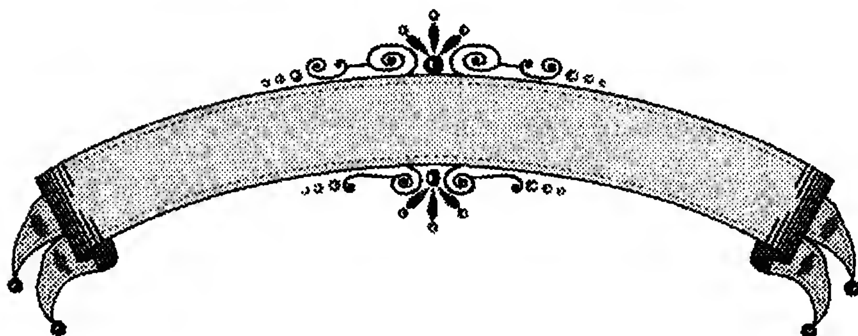
قال العلماء والمفسرون نزلت هذه الآية فى الذين استجابوا لأمر رسول الله وعددهم سبعون رجلاً منهم الزبير بن العوام. وأبو بكر الصديق ﵄ وعباد بن بشر وأخوه وغير ذلك.

قال ذلك صاحب أسباب نزول القرآن ص ١٣٤، ١٣٥

وقاله صاحب سيرة ابن هشام: ٣: ١٠١

وقاله القرطبى فى تفسيره ج٢ ص٢٧٧

فمن هو عباد بن بشر..؟



يقول عباد بن بشر رضي الله عنه

شهدنا أحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخى.

فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى أو قال لى: أتفوتنا غزوة مع رسول الله، والله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه فكان إذا تعب حملته حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون..»

سيرة ابن هشام ٣: ١٠١


عباد بن بشر رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

عملاق من عمالقة مدرسة النبوة

وفارس قدم كل مرتخص وغال فى سبيل نصرة الإسلام

ورجل من أفذاذ الرجال.

ومن السابقين إلى الإسلام، الذين لبوا داعى الله.

عندما دعاهم إلى التوحيد الخالص.

وعبادة الواحد الأحد.

وأحد أفراد الكتيبة التى قتلت رأس الكفر كعب بن الأشرف.

ومن الأنصار الذين قال رسول الله ﷺ فيهم:

«لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت وادى الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار.. ».

وقال أيضاً:

«الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

عباد بن بشر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

نشأته وحياته..

على بطحاء يثرب الخضراء شبت طفولته.

وفوق ثراها الحبيب تفجرت فتوته، ونما عوده.

وعلى صهوات الخيل عرف عباد بن بشر كيف يدير المعارك.

فيقهر الأبطال، ويجندل الفرسان.

ويحقق النصر والفوز الكبير.

ولكن من قبل هذا ومن بعده، كانت حياته كحياة أمثاله فى مجتمع الجاهلية.

بلا هدف ولا غاية.

حياة تسير رتيبة، لا يغير مجراها تعاقب الليل أو مرور النهار.

إلا الغارة على قبيلة آمنة- أو الوقوف فى وجه غارة.

حياة هادئة ساكنة، كصفحة النهر المنساب إلى غايته.

لا يحرك موجه أو ماءه إلا العواصف المزمجرة، أو تلقى فيها بحجر..؟؟

وكذلك كان عباد لا يتحرك من مجلس القبيلة.

إلا لنجدة الجيران عندما يحل بهم مكروه.

أو الخروج إلى الصحارى الممتدة المترامية إلى غير نهاية.

لصيد الغزلان القافذة.

أو قتل الوحوش الضارية.

وإن كان بين الحين والحين يثور داخليّاً، ويقف مشدوهاً حائراً عندما تطرق سمعه الأقوال يطلقها يهود يثرب. بأن نبيّاً يبعثه الله تعالى.

وقد اقترب زمانه.

وأن السماء تفتح أبوابها كل حين من الدهر.

لينزل وحى الله على رسله وأنبيائه.

لهداية البشر إلى الدين الحق.

وهدم الطغيان والبهتان.

وتكسير الأصنام حتى تعود البشرية كلها.

إلى عبادة خالق الأرض والسماء.

وإن كانت هذه الأقوال لا تكاد تعلق فى ذاكرته طويلاً بعدما يسأل نفسه أسئلة كثيرة... لا يجد لها جواباً.

وكانت أسئلته تبدأ دائماً من أين..؟ وإلى أين..؟

من أين جاءت السماوات المرفوعة..؟

وإلى أين تعود..؟

وهذه الأرض المبسوطة متى تعود إلى الفناء..؟

وعندما يصل إلى هذا الحد من الحيرة والتساؤل.

يضيق صدره، ويعقد لسانه.

ولا يخرجه من ذلك إلا أن يمتطى صهوة جواده ويطلق له العنان..

حتى يتوغل خارج العمران بضعة أميال فيشاهد الجبال العالية.

وقممها المرتفعة.

ويتأمل فى الانهائى الذى لا يصل إليه طرفه..؟؟

ولا يستطيع بأى حال من الأحوال أن يدرك مداه.

وكانت هذه الأشياء كثيراً ما تؤرقه، وتقض مضجعه، وتملأه بالحيرة والأسى.

عباد بن بشر في طريقه إلى الإسلام

فى يوم من الأيام شعر بالنسمات العليلة تملأ الأفق.

وشاهد من شرفة داره الزهور اليانعة، والورود المتفتحة تغطى كل الأغصان، وتتمايل مع فروع الأشجار.

عندها أراد أن يتجول فى طرقات المدينة.

حتى يلتقى بأترابه من شباب يثرب.

وما كاد يخطو بضع خطوات فى اتجاه ساحة الخيول حيث يتدرب فيها الشباب على الكر والفر، والانقضاض على العدو.

حتى طرق سمعه صوت ملائكى لم يسمع من قبل.

وحديث أثلج صدره لم تألفه أذناه.

لقد حمل له الأثير هذه الكلمات:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١).

فتسمرت أقدامه فى الأرض.

وغاب عن الوجود لحظات لم تطل.

حيث أيقظه منها يد تربت على كتفه. فالتفت خلفه فوجد أسعد بن زرارة زميل الطفولة ورفيق الشباب.

يدعوه إلى الدخول فى المكان الذى انبعث منه هذا الصوت الملائكى...

---

(١) سورة الحديد الآيات من ٣- ٦.

وما كاد يدلف إلى داخل الدار..

حتى وجد شيخاً تعلوه المهابة والوقار ويجلس أمامه: إنه أُسيّد بن حُضَيْر، وسعد بن عبادة.

وهما يستمعان إلى هذا الشيخ فى صمت شامل وإعجاب كبير.

ولم يكن هذا الشيخ إلا مصْعَب بن عُمَيْر القرشى- رسول النبى الجديد، الذى ظهر بمكة، ويوحى إليه من ربه:

وما كاد مصعب ينتهى من قراءته حتى قال أسيد بن حضير:

ما أحسن هذا الكلام وأجمله..؟؟

كيف نصنع إذا أردنا أن ندخل فى هذا الدين الحق..؟

قال مصعب: تغتسل، فتطهر، وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق:

وهى: «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

ثم تصلى فتركع وتسجد.

وأخذ هذا المشهد بكل مسامع عباد بن بشر.

وأحس أن نوراً يملأ كل جوانب قلبه.

وضياء يغمره ويضيء له فكره وعقله.

ويدا خفيه حانية تدفعه إلى الإسلام دفعاً.

وأمام مصعب سفير الرسول إلى يثرب.

أعلن عباد بن بشر دخوله إلى الإسلام.

ونطق بالشهادتين، وآمن بالخالق المبدع، الواحد الأحد.

خالق الأرض والسماء، وموجد الحياة والموت.. وهو اللطيف الخبير.

عباد بن بشر فى استقبال الرسول فى يثرب

واستمر عباد فى التفقه فى دينه.

ومعرفة الكثير من تعاليم ربه.

حتى وصل إلى علمه أن الرسول ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى يثرب.

فكان يخرج كل صباح يجلس على مشارف المدينة يترقب وصول الرسول ﷺ.

وفى يوم مشهود ليس كمثله يوم.

جاء البشير بوصول الرسول ﷺ إلى مشارف المدينة وجلس عباد يستمع إلى أطفال المدينة وشبابها وهم يرددون أحلى نشيد عرفته البشرية فى تاريخها الطويل:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحباً يا خير داع

لقد أحس عباد عندما نطق بالشهادة شهادة التوحيد.

أنه صار خلقاً جديداً.

وأنه تخلص من أيامه ولياليه السابقة إلى غير رجعة.

وأن عليه واجباً جديداً إزاء الدين الجديد.

وعليه أن يعمل جاهداً على إذاعته ونشره.

أما الآن، وبعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة.

فقد أحس عباد أنه يجب أن يعد نفسه إعداداً حربيّاً.

ليكون الفارس المدافع.

والجندى المرابط.

الذى يترقب أوامر الرسول ﷺ.

أوامر القائد الأعلى للفئة المؤمنة- فيقوم على تنفيذها.

بلا تكاسل أو توان.

عباد بن بشر فى المعارك الأولى للفئة الباغية

لقد ظهرت بطولة عباد، فى المعارك الأولى التى خاضها المسلمون ضد الفئة الباغية بجندلة أبطالهم، ومصاولة فرسانهم.

وحدث ذلك وبرزت عبقريته القتالية فى غزوة بدر الكبرى.

تلك الغزوة التى استطاع المسلمون فيها أن يلقنوا عصابات الكفر.

دروساً فى فن الحروب وإدارة المعارك.

وتساقطت جثثهم وتطايرت رقابهم.

وفر أحياؤهم فرور الأرانب عندما رأت الأسود.

اليهود والفتنة..

ولكن انتصار المسلمين.. أرهب وأغضب اليهود فى يثرب...

اليهود الذين وصفهم القرآن بأنهم إخوان القردة والخنازير، ووصفهم المسيح عليه السلام: بأنهم أحفاد إبليس اللعين.

نقول هذا النصر الكبير الذى وهبه الله تعالى للمسلمين.

أغضب هؤلاء اليهود.

فأخذوا فى إثارة الشائعات، ومحاولة الكيد لجماعة المسلمين.

وقال رأس الكفر: كعب بن الأشرف.

«والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

فلما تيقن عدو الله من ذلك خرج إلى مكة.

وأخذ يحرض على قتال رسول الله..

وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر.

فقال أبو سفيان بن حرب لكعب بن الأشرف:

أناشدك أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه..؟

ثم تابع أبو سفيان حديثه:

«وأينا أهدى فى رأيك وأقرب إلى الحق..؟

فقال له كعب بن الأشرف:

«أنتم أهدى منه سبيلا».

فأنزل الله على رسوله ﷺ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ

لَهُ نَصِيراً﴾(١).

ثم ماذا..؟ عاد كعب بن الأشرف إلى المدينة.

عاد ليعلن العداوة ويحرض الناس على الحرب، ويقول: إنه لم يخرج من مكة.

حتى جمع حلفاء قريش على حرب محمد وأصحابه.

وأخذ يشبب بأم الفضل بن الحارث ويتغزل فى نساء المسلمين.

فقال رسول الله ﷺ:

من لابن الأشرف..؟

فقال محمد بن مسلمة: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله.

واجتمعت الكتيبة المسلمة المكونة:

من محمد بن مسلمة.

وعباد بن بشر بن وقش الأنصارى.

وسلكان بن سلامة- وكان أخاً لكعب من الرضاعة.

وتم قتل عدو الله.

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥١، ٥٢.

عباد بن بشر فى غزوة أحد

وجاءت غزوة أحد، تلك الغزوة التى أكره رسول الله ﷺ على الخروج لقتال المشركين.

حيث قال رجال قولاً صدقوا به ومضوا عليه منهم:

١- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

والذى قال: والذى أنزل عليك الكتاب لنجالدنهم..؟؟

٢- نعيم بن مالك رضي الله عنه.

والذى قال: يا نبى الله لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لأدخلنها.

٣- أنس بن النضر رضي الله عنه.

والذى قال: والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة من قِبَلِ أحد.

عندها خرج الرسول ﷺ

وخرج معه عباد بن بشر وأخوه..

وقاتلوا قتالاً شديدا.

وتكسرت فى أيديهم السيوف.

ثم عادوا إلى المدينة وكلهم كلوم وجراح..

خروج عباد وأخيه خلف أبى سفيان لأمر الرسول ﷺ

يقول عباد سمعت أنا وأخى النداء بتجمع المسلمين وخروجهم مع الرسول ﷺ خلف أبى سفيان.

الذى توعد باستئصال شأفة المسلمين..؟؟

قلت لأخى: أو قال لى:

أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ.

والله ما لنا من دابة نركبها..؟؟

وما منا إلا جريح ثقيل..؟؟

فخرجنا مع رسول الله ﷺ.

وكنت أيسر جراحاً من أخى.

فكان إذا غُلب حملته.

حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

فنزل قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(١) .

واستمر عباد بن بشر فارس رسول الله ﷺ.

وبطلاً من أبطاله.

يمتثل أوامره.

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٧٢ ـ ١٧٤.

ويلبى ما يطلبه منه.

ثم توالى كر الليالى والأيام وعباد بن بشر قريب من رسول الله ﷺ.

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:

تهجد رسول الله فى بيتى فسمع صوت عباد بن بشر.

فقال: يا عائشة صوت عباد بن بشر هذا..؟

فقلت: نعم.

قال: اللهم اغفر له.

وعن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت:

ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً.

كلهم من بنى عبد الأشهل.

سعد بن معاذ.

وأسيد بن حضير.

وعباد بن بشر.

رضى الله عنهم وأسكنهم فسيح جناته.

عباد بن بشر فى حروب الردة

جاء أجل رسول الله ﷺ فارتدت الجزيرة العربية إلا من عصم ربى، وادعى مسيلمة الكذاب النبوة..

فانبرى الخليفة أبو بكر لقتال المرتدين وجيَّش الجيوش لذلك.

وقال كلمته المشهورة:

«والله لو منعونى عقالاً كانوا يعطونها لرسول الله لقاتلتهم عليه».

وانخرط عباد بن بشر فى الجيش الذاهب لقتال مسيلمة بقيادة خالد ابن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وفى الطريق إلى اليمامة اقترب من عباد أبو سعيد الخدرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

فقال له عباد:

يا أبا سعيد:

قلت: نعم يا عباد ماذا تريد..؟

قال: لقد رأيت الليلة كأن السماء قد فرجت لى.

ثم أطبقت على، فهى إن شاء الله الشهادة.

قلت: خيراً والله رأيت.

ثم أسرعت بنا الخيل عندما اقتربنا من منازل بنى حنيفة..؟

وما كدنا نبدأ القتال، ويلتحم الجيش.

حتى رأيت عباداً يقف على ربوة عالية، ويصيح بالأنصار.

«حطموا جفون السيوف.

وتميزوا عن الناس.

وجعل يقول: أخلصونا أخلصونا .

فأخلصوا أربعمائة رجل من الأنصار.

ما يخالطهم أحد يتقدمهم عباد بن بشر، وأبو دجانة، والبراء بن مالك.

وتقدموا حتى انتهوا إلى باب الحديقة.

فقاتلوا أشد القتال: ثم أحكموا الحصار على مسيلمة الكذاب.

وشد عليه وحشى بن حرب بحربته فسقط مضرجاً فى دمائه..؟؟

وفاة عباد فى موقعة اليمامة

فتقدم إليه عباد ليجهز عليه، فرموه بالسهام... ؟؟

فسقط شهيداً.

سقط الفارس المغوار.

سقط مجندل الكفر وأهله.

سقط قاتل رأس الكفر كعب بن الأشرف.

يقول صاحبه أبو سعيد الخدرى:

رأيت بوجهه إصابات كثيرة أوجدتها السهام المتلاحقة، والرماح التى لم تخطأ وجهه وقلبه.

وهكذا يكون الأبطال جند الله.

يقاتلون فى سبيل الله حتى ينالوا الشهادة.

هكذا يكون الفرسان الذين يدافعون عن كلمة الله لترتفع عالية خفاقة.

وهكذا يموت جند الله وهم واقفون.

يموتون وهم يتلقون سهام الأعداء وهم مقدمون غير مدبرين.

ومن هذا النمط الفريد. كان عباد بن بشر.

ثم ماذا ..؟ سقط فارس من فرسان مدرسة النبوة.

سقط فارس ولا يزال مكانه شاغراً فى مقدمة الجيش.

فمن من أبناء المسلمين يملأ هذا الفراغ فى ساحة القتال.

ومن من أبناء المسلمين يكون عباد بن بشر الجديد...؟

من يا أتباع محمد ﷺ.

إنا لمنتظرون...



تذييل

تاريخ اليهود قديماً وحديثاً

تاريخ اليهود قديماً وحديثاً

اليهود من قديم لهم تاريخ أسود كالح يتمثل فى تكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء.

والمستعرض لتاريخهم يرى عجباً.

فعندما أرادوا أن يخرجوا من مصر ارتكبوا أكبر جريمة سرقة واحتيال فى تاريخ البشرية.

حيث أوهمت كل امرأة يهودية جارتها المصرية.

أنها دعيت إلى عرس كبير وطلبت منها أن تعيرها حليها ومجوهراتها حتى تتزين بها.

فإذا انتهى العرس ردت إليها ما أخذته منها..

واستجابت النسوة المصريات لطلب اليهوديات وقدمن كل ما طلب منهن عن طيب خاطر..؟؟

ولكن اليهوديات خرجن بليل إلى أرض التيه.

وهناك وسط الصحراء الممتدة- صنعوا من هذا الذهب عجلاً جسداً له خوار كما عبر القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾(١).

صنعوا إلههم من ذهب مسروق...

---

(١) سورة طه الآيتان رقم ٨٧- ٨٨.

وعبدوا هذا الإله وقدموا له القرابين.

وطافوا حوله يرتلون الأغانى وينشدون الأناشيد.

وجاء موسى عليه السلام فأُخذ من هول المفاجأة.

أتُعبد الأصنام ويترك الواحد الأحد، الفرد الصمد..؟

ونزل باللائمة على أخيه هارون عليه السلام.

ولكن هارون عليه السلام وضح لأخيه ما فعله القوم، وما قاله لهم.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾(١).

وطلب منهم موسى عليه السلام الذهاب إلى فلسطين.

حتى يبعدهم عن فرعون وناره، وما فعله بهم من قتل أبنائهم واستحياء نسائهم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾(٢).

وعندما طلب موسى منهم ذلك مرة أخرى قالوا:

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(٣).

وعندما جاء المسيح عليه السلام رموه وأمه بأقبح التهم..؟؟

وتقولوا عليه أقوالاً كثيرة.

وطاردوه فى كل مكان.

وأرادوا فى النهاية قتله.

---

(١) سورة طه الآيتان: ٩٠- ٩١.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٢٢.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

ولكن الله نجاه منهم، قال تعالى:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾(١).

ثم جاء خاتم النبيين محمد ﷺ.

ووقف اليهود له بالمرصاد، وحاربوه بكل سلاح الكيد والمؤامرة.

وألبوا عليه الأحزاب.

ولكن رجال مدرسة النبوة استطاعوا أن يلقنوا هؤلاء الأعداء درساً قاسياً..

وقتلوا زعماءهم.

وأخرجهم عليه السلام من الجزيرة العربية كلها.

خرجوا مقهورين مهزومين قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾(٢).

رحم الله عباد بن بشر لقد كان فارساً من فرسان مدرسة النبوة..

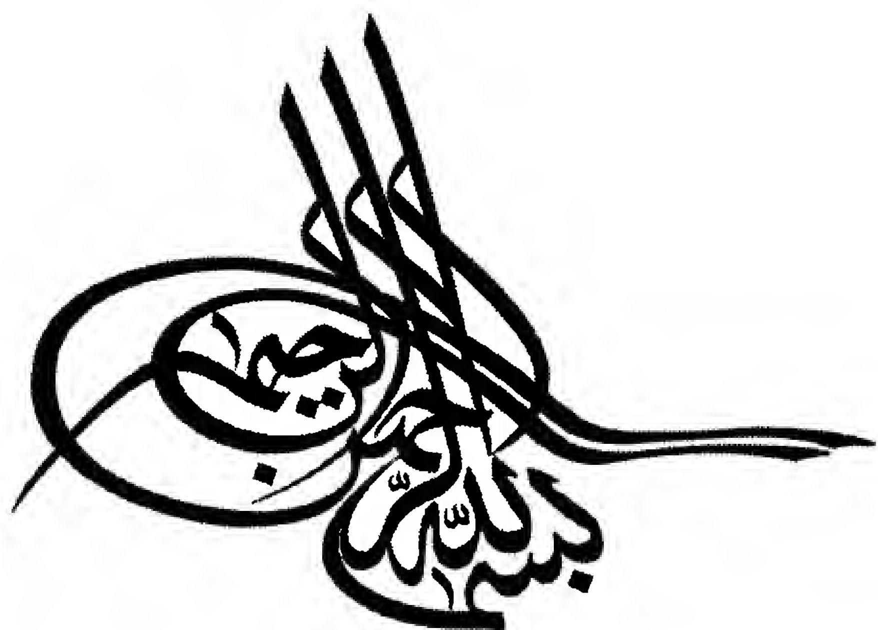
---

(١) سورة النساء آية رقم ١٥٧.

(٢) سورة الحشر آية رقم ٢.

سارية بن زنيم بن عمرو

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

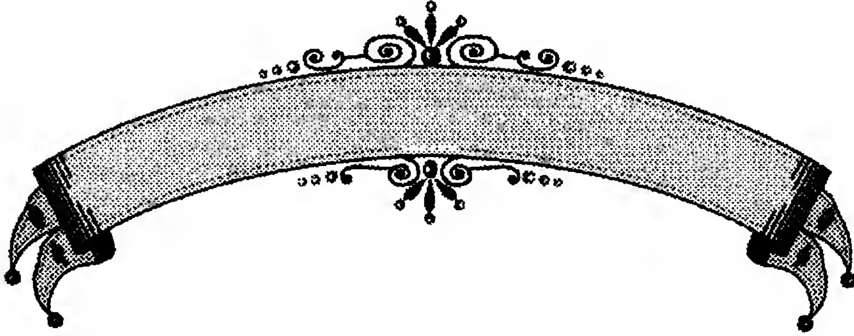
(الأنبياء: ١٠٥)

أقوال العلماء والمفسرين
في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت فى كل من اشتهر من الصحابة بالصلاح والتقوى سواء فى الجهاد أو أداء الفرائض ومنهم سارية بن زنيم ابن عمرو- رضي الله عنه.

راجع تفسير الإمام القرطبى ٦: ٣٤٩

فمن هو سارية بن زنيم..؟



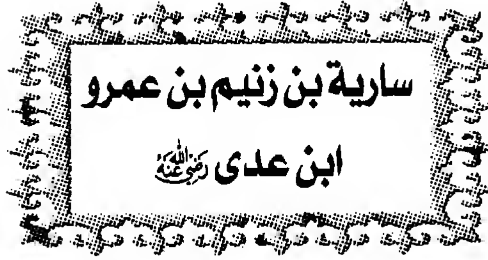
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«يا سارية بن زنيم الجبلَ، ومن استرعى الذئب ظُلم».

يقول: سارية فسمعت صوت عمر فعلوت بأصحابى الجبل، ونحن قبل ذلك فى بطن واد، ففتح علينا، وهزمنا العدو هزيمة منكرة.

البداية والنهاية ٧: ١٣١- ١٣٢


سارية بن زنيم رضي الله عنه
حياته ونشأته



سارية بن زنيم بن عمرو ابن عدى رضي الله عنه

حياته ونشأته

عملاق من عمالقة الحروب الضارية.

وفارس من فرسان مدرسة النبوة.

وصحابى استمع إلى آيات الوحى المتتابع، فأضاء الإيمان قلبه.

وتشربت روحه بتعاليم الإسلام.

فاستمعت الدنيا لصليل سيفه، وهو يحصد رؤوس الكفر.

ويجندل طواغيت الشرك.

ويعلن فوق أرض فارس كلمة: الله أكبر.

نشأ على بطاح مكة.

فعرف مسالكها ودروبها.

وتوغل فى صحاريها وجبالها.

واقتنص غزلانها، وطارد ذئابها، واقتحم الجحور على ثعالبها.

عرف الرسول ﷺ عندما جاء من رحلته البعيدة إلى أرض الشام حيث كانت له تجارة رائجة، ومال كثير.

فدعا قومه إلى الإسلام.

ورغبهم فى عبادة الواحد الأحد.

فأبوا أن يستجيبوا له حتى يجلسوا مع صاحبه محمد.

ويستمعوا منه فإن راقهم حديثه.

واستقر كلامه فى قلوبهم.

أعلنوا إسلامهم وإيمانهم.

وتركوا دين آبائهم من عبادة الأصنام، والتقرب إلى اللات، وعزى، ومناة!!

سارية فى مجلس الرسول مع وفد قومه

على أرض يثرب الخضراء، وفوق ثرى المدينة الجديدة.

المدينة التى حظيت بهجرة خاتم الأنبياء إليها.

جاء وفد بنى عبد بن عدى، وفيهم رؤساؤهم.

الحارث بن وهبان رئيس القبيلة.

وعويمر بن الأخرم حكيم القوم والمتحدث بلسانهم.

حبيب وربيعة ابنا ملة، فرسان المعارك والرماة اللذان لا يخطأ سهمهم ومعهم رهط آخر من قومهم.

فاستقبلهم الرسول ﷺ ومعه صحابته بالترحيب والتكريم وحسن الضيافة.

ثم تكلم الرسول ﷺ فتلى القرآن.

ودعاهم إلى الإسلام.

وأمرهم بحسن الخلق.

وأداء ما افترضه الله عليهم.

تنفيذاً لأمره تعالى، واستجابة لتعاليم دينه.

عندها قال عويمر بن الأخرم:

يا محمد نحن أهل الحرم وساكنوه.

وأعز من به، ونحن لا نريد قتالك أو البعد عن دين الله.

الله الذى أرسلك بالهدى ودين الحق.

ولو قاتلك غير قريش قاتلنا معك.

ولكنا لا نقاتل قريش.

وإنا والله الذى أرسلك بالحق لنحبك وقد أتيناك لذلك.

فإن أصبت منا أحداً خطأ فعليك ديته.

وإن أصبنا أحداً من أصحابك فعلينا ديته.

ثم سكت الرجل هنيهة وقال: إلا رجلاً منا قد هرب، فإن أصبته أو أصابه أحد من أصحابك فليس علينا ولا عليك.

ثم ماذا..؟

ثم أسلموا وأعلنوا كلمة التوحيد.

وآمنوا بخالق السماوات والأرض.

وموجد الحياة والموت.

ثم وقف أحد أفراد الوفد وقال لقومه:

إننا نريد أن يكون بيننا وبينك عهد يا رسول الله، لا نحيد عنه ولا يخرقه أحد من أصحابك.

فقالوا جميعاً: لا. إن محمدا لا يغدر، ولا أحد من صحابته، ولا يريد أن يُغدر به..؟؟

عندها قال صحابة رسول الله ﷺ:

«ونحن رضينا بذلك».

فقام حبيب بن ملة وقال: يا رسول الله إن أسيد بن أبى أناس، هو الذى هرب وتبرأنا منه، وقد نال منك.

عندها التفت الرسول ﷺ إلى سارية وقال:

«أحدث منه هذا يا سارية..؟»

قال: نعم. يا رسول الله.

عندها أباح الرسول ﷺ دمه..؟؟

وعاد الوفد من حيث أتى.

عاد: ولمعة الإيمان تضىء ما بين جوانحهم.

وهدى الدين الجديد يصنع منهم أمة فريدة.

هذه الأمة كان لها أكبر الأثر فى نشر دين الله.

حتى دخل الناس- كل الناس فى دين الله أفواجاً..

سارية فى فتح مكة

خرجت جحافل الإيمان فى جيش تعداده يربو على عشرة آلاف مقاتل إلى مكة إلى بيت الله الحرام.

لتطهيره من الأوثان والأصنام.

وإزالة هؤلاء المعوقين والواقفين فى طريق نشر الإسلام.

وكان سارية أحد أفراد كتيبة الفداء التى ترافق الرسول ﷺ ترافقه فى نومه ويقظته.

ترافقه فى حله وترحاله.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يتم نعمته.

ويكمل رسالته.

ويطهر بيته- أول بيت وضع للناس.

فدخلته جيوش الإسلام مكبرين مهللين، ملبين داعين.

عندها: تهاوت الأصنام، وأزيلت الأوثان، ونزل الوحى المتتابع على الرسول ﷺ بقوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١).

وبعد فتح مكة توجه سارية إلى الطائف.

تلك المدينة التى ذهب إليها الرسول ﷺ.

ليدعو أهلها إلى الإسلام ويرشدهم إلى الدين الحق، ولكنه لقى منهم

(١) سورة الفتح الآيات من: ١ ـ ٤.

أذى كثيراً حتى قال ﷺ:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى.

وقلة حيلتى.

وهوانى على الناس.

يا أرحم الراحمين.

أنت رب المستضعفين.

وأنت ربى إلى من تكلنى...؟

إلى بعيد يتجهمنى..؟

أم إلى عدو ملكته أمرى..؟

إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى.

ولكن عافيتك هى أوسع لى.

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات.

وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.

من أن تُنزل بى غضبك.

أو يحل على سخطك.

لك العتبى حتى ترضى.

ولا حول ولا قوة إلا بك».

لقاء سارية وأسيد بن أبى أناس

التقى سارية وأسيد بن أبى أناس، فقال أسيد:

ما وراءك يا سارية..؟

قال: أظهر الله نبيه ونصره على عدوه.

قال أسيد: إذن ما العمل..؟

قال سارية: اذهب إليه، فإنه لا يقتل من أتاه، فهو نبى الرحمة.

فحمل أسيد امرأته وخرج، وكانت حاملا- فأقبل بها فألقت غلاماً عند موضع يسمى «قرن الثعالب».

ولما وصلا: لبس أسيد قميصاً واعتم بعمامته، ثم أتى رسول الله ﷺ وسارية قائم بالسيف على رأسه يحرسه.

فأقبل أسيد حتى جلس بين يدى الرسول ﷺ.

فقال: يا محمد أهدرت دم أسيد..؟

قال: نعم.

فوضع يده فى يد الرسول ﷺ، وقال:

يا محمد هذه يدى فى يدك.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

إنه الإسلام الذى يمحو ما كان قبله من الخطايا والذنوب.

إنها كلمة التوحيد.

التى تجعل من الإنسان خلقاً جديداً قريباً من ربه.

ربه الذى خلقه، وقدر رزقه، ومنحه الصحة والعافية.

ومجيب دعواته إذا دعاه.

لهذا قال الله تعالى لرسوله:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(١).

وقال لعباده مباشرة:

﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢).

وأصبح أسيد بعد نطقه بالشهادتين فى رحاب الإسلام.

وفرداً من أفراد المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم.

عندها أمر الرسول ﷺ رجلاً ينادى:

«يا معشر المسلمين إن أسيد بن أبى أناس- قد آمن، وقد أمنه رسول الله ثم مسح الرسول ﷺ على وجهه.

وألقى بيده على صدره.

فيقال: إن أسيد كان يدخل البيت المظلم فيضىء له:

ثم قال أسيد:

أأنت الذى يهدى معداً لدينها

بل الله يهديها وقال لك اشهد

فما حملت من ناقة فوق كورها

أبر وأوفى ذمة من محمد

وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله

وأعطى لرأس السابق المتجرد

فلما قال أسيد: «أأنت الذى تهدى معداً لدينها».

قال رسول الله ﷺ: «بل الله يهديها».

فقال أسيد حينئذ: «بل الله يهديها، وقال لك اشهد»(٣).

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦. (٢) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٣) راجع تهذيب ابن عساكر ٦: ٤٦.

سارية ومعارك نهاوند

كان ابتداء ذلك عندما كتب النعمان بن مقرن، إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره أن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه .

قد استعمله على جباية الخراج.

وقد أحببت الجهاد، ورغبت فيه..

فكتب عمر إلى سعد يقول:

«إن النعمان كتب إلىَّ يذكر أنك استعملته على جباية الأموال وأنه قد كره ذلك، ورغب فى الجهاد..؟؟

فابعث به إلى أهم وجوهك إلى نهاوند.

ثم كتب عمر إلى النعمان بن مقرن يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن. سلام الله عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو..أما بعد :

فإنه قد بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند.

فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله، وبعون الله.

وبنصر الله بمن معك من المسلمين.

ولا تواطئنهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم.

ولا تدخلنهم غيضة.

فإن رجلاً من المسلمين أحب إلىَّ من مائة ألف دينار، والسلام عليكم».

فسار النعمان ومعه وجوه أصحاب النبى ﷺ منهم حذيفة وطليحة بن خويلد وغيرهم وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وسارية بن زنيم.

فلما انتهى النعمان بن مقرن مع جنده إلى نهاوند نشر الأعداء طريق المسلمين حسك الحديد...؟؟

واستطاعت المخابرة المسلمة أن تكتشف لؤم الأعداء.

عندها خطب النعمان وقال:

«أشيروا علينا أيها الناس»..؟

فوقف سارية وقال: أرى أن تنتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم فيخرجوا فى طلبك..؟؟

فانتقل النعمان بجنده من هذا المكان.

فما كان من الأعداء إلا أنهم كنسوا حسك الحديد، ثم خرجوا فى طلب النعمان وجنده..؟؟

فكر عليهم النعمان.

وكانت مفاجأة لهم، والحرب خدعة.

وقال النعمان لجنده.

إنى مكبر ثلاثاً.

فإذا كبرت الأولى: فليشد كل جندى شسعه ويصلح شأنه..؟؟

فإذا كبرت الثانية: فليشد كل جندى إزاره ويتهيأ لوجه حملته.

فإذا كبرت الثالثة: فاحملوا عليهم فإنى حامل.

ثم إن الأعاجم خرجوا وقد شدوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفروا.

وحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم قتالاً شديداً.

ورُمى النعمان بنشابة فسقط شهيداً فى أرض المعركة.

فلفه أخوه مقرن فى ثوبه.

وكتم عن الجند قتله.

حتى فتح عليهم ونصروا نصرا مؤزراً.

وفتحت نهاوند أبوابها للمسلمين.

وبعدها لم يكن للأعاجم بعد ذلك من جماعة.

قال سارية: لما فتح الله على المسلمين نهاوند، أصابوا غنائم عظيمة..

فأرسل عمر بن الخطاب- السائب بن الأقرع ليقسم الغنائم بين الجند..

وما كانت الغنائم تقسم، حتى جاء رجل من أهل فارس فقال:

«أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي..؟

على أن أدلك على كنوز آل كسرى..

قال سارية: نعم.

قال: فابعث معي من أدله عليها..؟؟

قال: فبعثت معه رجل، فلم يغب إلا قليلاً حتى جاء ومعه كنزين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت.

وما كاد السائب يفرغ من القسمة بين الجنود.

يقول سارية: حتى حملته الكنزين ليقدم بهما على أمير المؤمنين.

«عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

يقول السائب: ونهبت الأرض نهباً بمطيتي.

حتى وقفت على أمير المؤمنين بالمدينة.

وما كاد يراني حتى قال: ما وراءك يا سائب...؟

قلت خيراً يا أمير المؤمنين.

فتح الله عليك بأعظم الفتح.

واستشهد النعمان بن مقرن- رحمه الله .

فقال عمر: إن لله وإنا إليه راجعون.

يقول السائب: ثم بكى عمر- فنشج وارتفع صوته بالبكاء.

ثم قام ليدخل: فقلت: إن معى مالاً عظيماً قد جئت به.

ثم أخبرته خبر الكنزين..؟؟

قال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر فى شأنها، والحق بجندك.

يقول السائب: فأدخلتهما بيت المال.

ثم خرجت سريعاً إلى الكوفة..؟؟

وبات عمر تلك الليلة التى خرجت فيها.

فلما أصبح بعث فى أثرى رسولاً.

فوالله ما أدركنى حتى دخلت الكوفة، فأنخت بعيرى، ثم أناخ بعيره خلفى..؟

ثم قال: الحق أمير المؤمنين فقد بعثنى فى طلبك.

فلم أقدر على اللحاق بك إلا الآن..؟؟

قلت: ويلك ماذا ولماذا..؟

قال: لا أدرى والله.

قال: فركبت معه حتى قدمت عليه، فلما رآنى قال عمر:

«مالى ولابن أم السائب..؟»

بل مال ابن أم السائب ومالى.

قال: قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين.

قال: ويحك..؟

والله ما هو إلا أن نمت فى الليلة التى خرجت فيها، فباتت ملائكة ربى تسحبنى إلى ذينك الكنزين يشتعلان ناراً..؟

ويقولون: لنكوينك بهما..؟

فأقول: إنى سأقسمهما بين المسلمين.

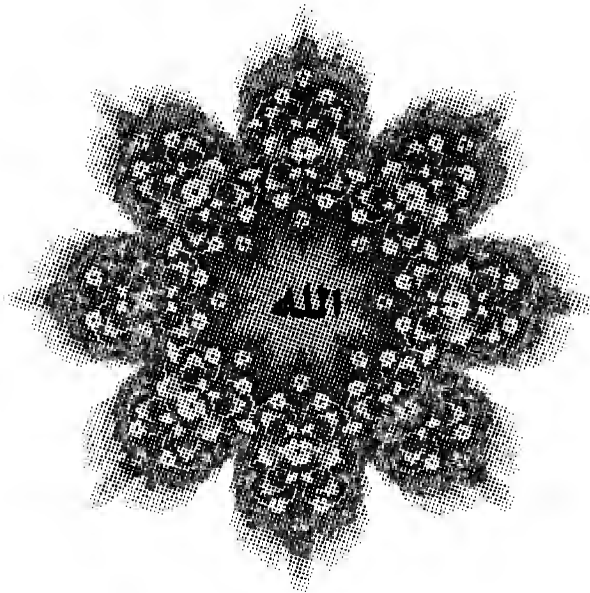
فخذهما عنى لا أبا لك والحق بهما فبعهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم..؟؟

يقول السائب:

فخرجت بهما حتى وضعتهما فى مسجد الكوفة، وغشيتنى التجار، فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بألفى ألف (مليونان).

ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم، فباعهما بأربعة آلاف ألف.

فأصبح أكثر أهل الكوفة مالاً..



موقف المسلمين من البلاد المفتوحة

ما كادت أقدام المسلمين تطأ تلك البلاد وتصبح تحت سيطرتهم، حتى يكون أهلها بين ثلاث خيرات:

إما الإسلام، وإما الجزية... فإن رغبوا عن الدخول فى الإسلام، كان عليهم الجزية ويطيب لنا أن ننقل للقارئ صورة الوثيقة التى كتبها الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان لأهل البلاد المفتوحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل هذه البلاد، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم، لا يغيرون عن ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم من المسلمين على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته، ما أرشدوا ابن السبيل.

وأصلحوا الطريق «والمسالك» وقروا الضيف من جنود المسلمين، الذين يمرون بهم يوماً وليلة.

ونصحوا، وبينوا.

فإن غشوا وبدلوا، فذمتنا منهم بريئة.

ونقول: إن المسلمين كانوا يؤمنون أهل البلاد المفتوحة، ممن يخالفهم فى العقيدة.

يؤمنونهم على أنفسهم، وأموالهم وأراضيهم ولا يطلبون منهم تغيير عقيدتهم، ما داموا لم يرغبوا فى ذلك...؟؟

التزاماً بقوله تعالى:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾(١).

وقوله أيضاً:

(١) سورة الكافرون آية رقم ٦.

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(١) .

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٢) .

لهم ذلك ما داموا يؤدون الجزية التى قررت عليهم.

ومع آداء الجزية.

عليهم أن يرشدوا ابن السبيل إلى الطريق التى يسلكها إلى غايته.

وأن يصلحوا الطرق، ويزيلوا ما بها من حفريات، أو أشواك تعطل سير الدواب، وتؤذى المارة.

وأن يقوموا بإكرام الضيف وتقديم الغذاء والماء- إن كان فى حاجة إليه شريطة ألا يتعدى ذلك يوما وليلة.،

وأن يقدموا النصيحة.

النصيحة الخالصة، والتى ليس فيها غش أو خداع أو مراوغة، لجماعة المسلمين فهل وفَّى أهل فارس بتلك المعاهدة..؟

إن حقائق التاريخ تقول غير ذلك.

لهذا كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم أمر.

أبطل كيدهم.

ورد مكرهم فى نحورهم، من ذلك.

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٥.

تعيين سارية بن زنيم قائداً للجيش الإسلامى على أرض فارس لتأديب الذين خدعوا وجاروا

يقول الحافظ بسنده:

قصد سارية بن زنيم إلى الجهات المتمردة على أرض فارس، فحاصر العسكر هناك، ثم إنهم تجمعوا.

وانضمت إليهم أكراد فارس.

فوجد المسلمون أنفسهم أمام جيش كبير، وأمر عظيم.

ورأى عمر فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم، وعددهم.

فنادى من الغد: الصلاة جامعة.

حتى إذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان قد رأى المسلمين فى صحراء شاسعة..؟؟

إن أقاموا فيها أحيط بهم.

وإن استندوا إلى الجبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد..؟

ثم قال:

«يا أيها الناس إنى رأيت هذين الجمعين، وأخبرت بحالهما.

ثم قال: يا سارية الجبل الجبل.

ومن استرعى الذئب ظُلم.

ثم أقبل على المصلين وقال: إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم..؟؟

ولما كانت الساعة من ذلك اليوم.

أجمع سارية والجنود على الإسناد إلى الجبل ففعلوا.

وقاتلوا القوم من وجه واحد فهزمهم الله عز وجل.

وكتبوا بذلك إلى عمر.

فقدم رسول القائد إلى المدينة على عمر فوجده يطعم الناس ومعه عصاه التى يزجر بها بعيراً، فقصد له، فأقبل عليه بها.

وقال عمر للرجل: اجلس فجلس.

حتى إذا أكل انصرف عمر- وقام الرجل فتبعه.

فظن عمر أن الرجل لم يشبع.

فقال عمر حين انتهى إلى باب داره: ادخل.

فلما جلس الرجل فى بيت عمر أتى بغذائه- خبز وزيت وملح جريش.

فوضع.

ثم نادى عمر زوجته قائلاً: الا تخرجين يا هذه فتأكلين..؟

فقالت: من خلف الخباء: إنى أسمع صوت رجل..؟؟

قال عمر: أجل.

قالت: لو أردت أن أبرز للرجال: لاشتريت لى غير هذه الكسوة..؟؟

فقال عمر: أما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت على بن أبى طالب- وزوجة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين... ؟

قالت: ما أقل غناء ذلك عنى...؟؟

عندها قال عمر للرجل: إذن فكل فلو كانت راضية لكانت أطيب مما ترى..؟؟

فأكلا حتى إذا فرغ الرجل قال:

يا أمير المؤمنين إنى رسول سارية إليك..

قال عمر: مرحباً وأهلاً، ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته.

ثم سأله عن حال جيش المسلمين، وعن سارية.

فذكرهما بخير، وعن النصر الذى حققه الله على أيديهم.

وعن الكنوز من الذهب والفضة التى يحملها إليه.

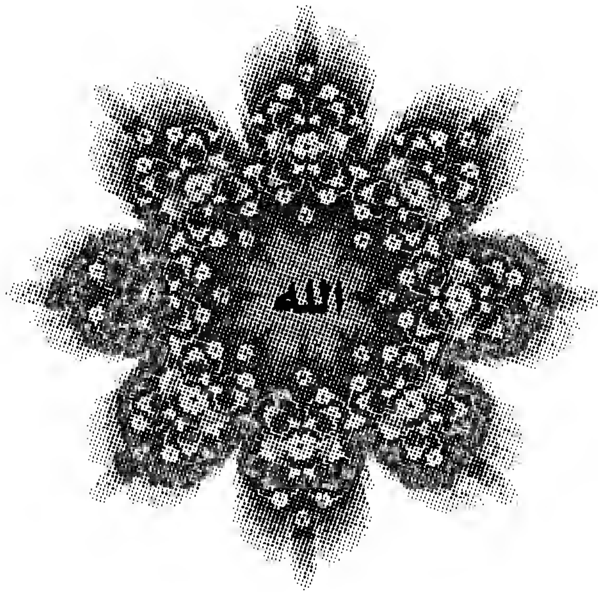
فنظر عمر إليها ثم صاح به.

وقال: لا ولا كرامة، حتى ترجعبها مرة أخرى على سارية فيقسمها بين الجنود، ثم هَمَّ بطرده...؟؟

فقال: يا أمير المؤمنين إنى أنضيت بعيرى- واقترضت على جائزتى فأعطنى ما أتبلغ به..؟

عندها أمر عمر أن يستبدل بعيره من إبل الصدقة.

ورجع رسول سارية مغضوباً عليه محروماً- حتى عاد إلى البصرة..؟؟



موقف حكام المسلمين من الغنائم..

إن أمير المؤمنين- عمر بن الخطاب- لا يأخذ من الغنائم شيئاً.

إلا ما يفرض من هذه الغنائم لبيت المال.

وليس من الإسلام أن يأخذ الخليفة أكثر مما افترض له.

وإلا يكون قد أخذ أكثر مما يستحق.

وهذا يغضب الله سبحانه وتعالى.

وعمر حريصاً كل الحرص على عدم إغضاب ربه.

ومقتنع تمام الاقتناع بما قال الرسول ﷺ:

«إن الدنيا لا تساوى جناح بعوضة».

الدنيا بما حوت.

الدنيا بكل ما فيها من حقول وزروع.

الدنيا: بكل ما تحوى من معادن وكنوز.

الدنيا: بكل ما يختبئ فى باطنها وما هو على ظهرها.

كل ذلك لا يساوى جناح بعوضة فى شرع الله.

ولهذا خرج عمر من الدنيا لا له، ولا عليه.

وكان سارية رضي الله عنه على شاكلة عمر.

طاهراً عفيفا، قنوعاً راضياً.

لا يريد من الدنيا إلا ما يسد الرمق، ويستر الجسد.

ولهذا كافأهم الله تعالى:

فجعلهم سادة وقادة.

وفازوا بوعد الله لهم بأن يرثوا الأرض فى الدنيا، حتى يحققوا فيها دور الخلافة قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١).

ولقد تحقق وعد الله لهم، فورثوا الأرض وما عليها.

وطبقوا فى أرجائها شرع الله.

وحظوا بوصف الله تعالى لهم- بأنهم خير أمة أخرجت للناس.

قال الله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢).

وفاة سارية بن زنيم- رضي الله عنه

متى توفى سارية بن زنيم..؟

وهل مات على فراشه أم قتل شهيداً فى إحدى المعارك التى خاضها على أرض فارس..؟

إن كتاب السير يتجاهلون موت سارية..؟؟

ولا يذكرونه من قريب أو بعيد..

هل اعتزل الجهاد وجلس فى بيته..؟

هل آلمته الفتنة الكبرى.

والأحداث التى حلت بالمسلمين بدءا من مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عندها اعتزل فى كهف من الكهوف.

أو فى مغارة من المغارات.. حتى جاءه أجله.

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥. (٢) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.

وانتقلت روحه إلى بارئها.

إن نجاحه فى معركة نهاوند جعل الخليفة عمر رضي الله عنه يمده بالعدد والعدة، حتى تمكن من نشر دين الله.

فى تلك الأصقاع البعيدة.

والتى لم تطأها أقدام الدعاة بعد..؟؟

وعندما جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه - خليفة للمسلمين- ثبته فى موقعه.

وكان دائماً موضع التقدير لفروسيته، وحسن سياسته فى إدارة المعارك رحم الله سارية فارس مدرسة النبوة.

وأسكنه فسيح جناته.

إنه نعم المولى ونعم المجيب.

وأرأف بعباده من أنفسهم وأرحم بهم لقوله تعالى:
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾(١).

(١) سورة الزمر آية رقم ٥٣.



تذييل

الشفافية
أو التخاطب عن بعد

الشفافيـــة
أو التخاطب عن بُعد

يتساءل المرء كثيراً: كيف استطاع عمر أن يخترق الحجب والمساتير التى تتراكم وتتكاثر بين المدينة ومنطقة نهاوند..؟

ويرى الجيش المحارب ويخاطبهم فيسمعون خطابه.. يا سارية الجبل..؟؟

أتم ذلك عن طريق الفراسة؟

الفراسة التى يقول عنها رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

وإذا كانت فراسة عمر أوحت له بأن جيش المسلمين يحاط به.

ويوشك أن يقع فى براثن الأعداء.

فكيف تم التخاطب..؟

وكيف حمل الأثير صوت عمر إلى كل فرد من أفراد الجيش.

الجيش: الذى يزيد تعداده عن الثلاثين ألف مقاتل..؟؟

وإذا لم تكن الفراسة..؟

أيكون قد تم ذلك عن طريق البصيرة.

البصيرة التى زود بها الإنسان والتى يقول الله عنها:

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

(١) سورة الحج آية رقم ٤٦.

البصيرة التى تجعل الإنسان يرى ما لم يكن يرى.

ويبصر ما لم يكن يبصر.

والتى أخبر عنها الحديث القدسى بقوله تعالى:

«ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ولئن سألنى لأعطينه.. ولئن استعاذنى لأعيذنه..».

،ويقول الله أيضاً:

«عبدى أحببنى تكن ربانيّاً تقول للشىء كن فيكون».

يقول الإمام الخطابى عن هذا الحديث:

عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح فى الطلب..؟؟

وقال أبو عثمان الجيزى: معناه: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه فى الأسماع، وعينه فى النظر، ويده فى اللمس، ورجله فى المشى».

وقال الطوفى: هذا الحديث أصل فى السلوك إلى الله، والوصول إلى معرفته، ومحبته

أم أن ما حدث لعمر رضي الله عنه نتيجة لما قاله الرسول ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وقوله:

«إن يكن فى أمتى محدّثون فعمر منهم».

أيكون التحديث هو الإلهام..؟

أيكون التحديث هو الشفافية والإشراق..؟

إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز:

﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾(١).

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٩.

والربانى : هو العالم الحكيم.

وقيل الربانى : الذى يجمع إلى العلم البصر والبصيرة.

وقيل الربانى: العارف بالله، الخبير بما كان وما يكون.

«كونوا ربانيين » منتسبين إلى الرب عباداً له وعبيداً.

توجهوا إليه وحده بالعبادة.

وخذوا عنه وحده منهج حياتكم.

حتى تخلصوا له وحده فتكونوا «ربانيين».

ولذا يقول الشاعر فى ترك البصر والاعتماد على البصيرة التى يهبها الله لبعض عباده:

إذا سماؤك يوما تلبدت بغيوم

اغمض جفونك تبصر فوق الغيوم نجوم

والأرض تحتك إما توشحت بثلوج

اغمض جفونك تبصر فوق الثلوج مروج

وإذا بليت بداء وقيل داء عياء

اغمض جفونك تبصر فى الداء كل الدواء

وإذا قضيت والقبر يفتح فاه

اغمض جفونك تبصر فى القبر كل الحياة

وكأن هذه الشطرة الأخيرة تفسير لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ».

هذا وبالله التوفيق والسداد..

عبد الله بن سعد بن أبى السرح

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ
أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ
آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. (الأنعام: ٩٣)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال بعض العلماء:

نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى السرح

قاله صاحب الدر المنثور ج٣ ص ٣٠

وقاله الإمام الطبرى جـ١١ ص٥٣٣، ٥٣٤.

وقاله الإمام القرطبى جـ ٧ ص٤٠

وتفسير الخازن والبغوى جـ ٢ ص١٣٢

وقاله أيضاً الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى صاحب كتاب أسباب نزول القرآن ص٢١٦.

فمن هو عبد الله بن سعد بن أبى السرح؟..



حياته ونشأته

أحد الذين لم يتقبلوا دعوة الإسلام بالرضا والارتياح عندما دعوا إليه. بل كان من هؤلاء الذين حملوا لواء الصد عن الدعوة الجديدة، والسخرية من أتباعها والتنكيل بضعفائها.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى لدينه أن يتم.

ولنوره أن ينتشر فأذن بالهجرة لرسوله، لتكون يثرب قاعدة الإسلام الكبرى ينطلق فى دروبها جنود الله لنشر دينه والدفاع عن حياضه.

وتتابعت وفود المهاجرين، وتسابق شباب مكة ورجالها إلى المدينة ليكونوا على مقربة من صاحب الدعوة.

وكان عبد الله بن سعد أحد هؤلاء الرجال الذين انطلقوا إلى المدينة ولقد استقبله الرسول ﷺ كما استقبل غيره من المهاجرين بالحفاوة والاهتمام، وزاد مع عبد الله أن قربه منه، وجعله أحد كتاب الوحى، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد سوّل له شيطانه- أن فى مقدوره أن يكون نداً لمحمد، وأن يقول مثلما يقول- فارتد عن الإسلام وعاد إلى مكة..

حتى كان يوم الفتح العظيم- فتح مكة- ودخلت كتائب الإسلام البلد الحرام، وأخليت الكعبة من الأصنام، عندها صدر أمر الرسول ﷺ لجماعة المسلمين بقتل جماعة من الكفار سماهم بأسمائهم- حتى ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم:

عبد الله بن خطل.

ومقيس بن صبابة.

وعبد الله بن سعد.

وأخذ جنود الله يبحثون عنهم فى كل مكان، وأحس عبد الله بن سعد أنه لن يفلت من قبضة هؤلاء الرجال، ففر إلى عثمان بن عفان- رضي الله عنه - وكان أخاه من الرضاعة- فغيبه عثمان عن عيون طالبيه، حتى أتى به رسول الله ﷺ وطلب الأمان له فصمت رسول الله طويلاً ثم قال: نعم.

فلما انصرف عثمان قال رسول الله لمن حوله:

«ما صمتُّ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه».

فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلىّ يا رسول الله؟

فقال: إن النبى لا ينبغى أن يكون له خائنة الأعين.

اسلام عبدالله بن سعد

وأسلم عبد الله بن سعد أيام الفتح، وحسن إسلامه، فلم يظهر منه شىء ينكر عليه بعد ذلك.

وعندما تساقطت دموعه ندماً وتوبة عما اقترفه فى سابق أيامه، قال لرسول الله ﷺ أيغفر لى ربى ما اقترفته فى حق الإسلام وحق رسوله..؟

قال الرسول ﷺ الإسلام يجب ما قبله.

ومع ذلك فقد عاش عبد الله فترة لا يستطيع مقابلة الرسول ﷺ وكلما رآه فرّ منه خجلاً وخزياً.

حتى شجعه عثمان على ذلك. فكان يلتقى بالرسول ويسلم عليه ويستمع لهديه، ويشرب بأذنيه كل ما تلفظه شفتاه ﷺ.

وتمر الأيام ويصبح عبد الله بن سعد محل ثقة الصحابة رضوان الله عليهم الأمر الذى جعل عمر بن الخطاب عندما فكر المسلمون فى فتح مصر- يصدر أمره بتولية عبد الله بن سعد قيادة الميمنة فى جيش عمرو بن العاص الذى سار متوجهاً إلى مصر.

عبدالله بن سعد فى فتح مصر

.. إن عبد الله بن سعد أحد صناديد قريش، وفارس من فرسانها الذين تشهد لهم المعارك بالصلابة والصمود، وكأنه فى هذه المعركة التى وجه إليها خارج الجزيرة العربية أراد أن يكفر عن خطاياه، ويطهر نفسه فى أتون المعركة، فأبلى فيها بلاء حسناً، كان موضع تقدير بقية القادة والجنود الذين خاضوا معه هذه المعركة الضارية التى انتهت بفتح مصر.

وعندما سمع عمر بن الخطاب بالدور البطولى الذى قام به عبد الله أصدر أمره بتوليه حكم الصعيد.

تلك البقعة المباركة من أرض مصر، والتى تمتاز بصفاء سمائها واعتدال مناخها، وصلابة رجالها، وخصوبة أرضها، والتى كان لأبنائها عندما تشربوا روح الإسلام دور لا ينكر فى حمل دعوة الإسلام إلى كل بقاع الأرض لا زاد لهم إلا التقوى، ولا سلاح لهم إلا الإيمان، ولا مطلب يبغونه إلا الشهادة أو نصر دين الله.

وسار عبد الله مع تلك الفئة المؤمنة سيرة حسنة، فأحبوه، وبادلهم حبّاً بحب، واستمر على ذلك حتى تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة المسلمين.

عبدالله بن سعد يتولى حكم مصر

فأصدر أمره بأن يتولى عبد الله بن سعد خراج مصر كلها، وما كاد يتولى هذا المنصب حتى دب الخلاف بينه وبين واليها العام عمرو بن العاص. ورفع أمر الخلاف إلى عثمان.. وطلب منه عمرو عزل عبد الله بن سعد.

فامتنع عثمان عن ذلك وقال:

«يا عمرو ولاه عمر بن الخطاب الصعيد، وليس بينه وبين عبد الله حرمة ولا خاصة، وقد علمت أنه أخى فى الرضاعة، فكيف أعزله عما ولاه غيرى؟..

فغضب عمرو وقال: لست راجعاً إلى عملى ذلك!..

فكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد يؤمره على مصر كلها.

وجاءه كتاب عثمان بالفيوم بتوليته خلفاً لعمرو بن العاص، فقام بذلك خير قيام ، واستقر له حكم مصر.

وعاد عمرو بن العاص إلى مصر وأخذ أمواله وأهله وعاد إلى المدينة فلقيه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له:

كيف تركت عبد الله بن سعد؟

قال: كما أحببت، فقال: وما ذاك؟

فقال: قوى فى ذات نفسه: ضعيف فى ذات الله..!؟

فقال: لقد أمرته أن يتبع أثرك.

فقال عمرو: لقد كلفته شططا.

وجبى عمرو خراج مصر وجزيتها ألفى ألف، وجباها عبد الله بن سعد أربعة آلاف ألف، فقال عثمان لعمرو:

«إن اللقاح بمصر درّت بعدك ألبانها».

فقال: ذاك لأنكم أعجفتم أولادها؟

ولكن لماذا فعل عثمان ذلك؟ ولماذا لجأ إلى عزل عمرو بن العاص، وتوليته عبد الله بن سعد مصر كلها؟

ألم يكن فى الإمكان التوفيق بينهما؟

يقول بعض المؤرخين: لأن السيطرة على عبد الله أسهل بكثير من السيطرة على عمرو، كما أن عبد الله له مزايا تؤهله لهذا المنصب العظيم.

أضف إلى هذا أنه أخو عثمان من الرضاعة، وأنه مخلص غاية الإخلاص لعثمان، لا ينسى يده عليه حين استأمن رسول الله ﷺ، ولا ينس عثمان لعبد الله يده عليه حين أشار على عبد الرحمن بن عوف أن يبايع عثمان قائلاً:

«إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان».

وهذا ما جعله يفوز بولاية مصر ومما يدل على حسن سياسته ومعرفته بخبايا النفوس، أن استحوذ على قلب ابن الخطاب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وفاز برضاه، وجعل عثمان يستريح إليه، ويطمئن إلى عدم خروجه عليه.. ولما استقر له المقام بمصر واستتبت له الأمور.. كتب إلى عثمان بخبره بقرب أفريقيا من بلاد المسلمين، واستأذنه فى غزوها..

عبدالله بن سعد يفتح قارة أفريقيا

واستشار عثمان من عنده من الصحابة، فأشار أكثرهم بالإقدام على غزو أفريقيا ودعوة أهلها إلى الإسلام.

فجهز عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العساكر من المدينة، وأمد عبد الله بجيش عظيم. وكان فى هذا الجيش مجموعة من أبناء الصحابة، وكبار السابقين إلى الإسلام.. منهم عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد الله بن جعفر، والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين لذلك سمى هذا الجيش، جيش العبادلة.

وسار عبد الله بن سعد بجيشه البالغ تعداده عشرين ألفاً، إلى أفريقيا فلما وصلوا إلى «برقة» لقيهم عقبة بن نافع القائد الإسلامى المعروف فانضم إليهم فيمن معه من المسلمين.

وكان عقبة بمن معه حامية قوية للمسلمين هناك، فساروا جميعاً إلى طرابلس. ثم تقدم عبد الله بجيشه نحو إفريقيا.

وأخذ فى بث السرايا والعيون، ليتعرف على طبيعة هذه البلاد ويعجم قوتهم وعادت العيون تخبره بقوة ملكهم الذى يسمى «جرجير» والذى يستولى على رقعة كبيرة فسيحة من الأرض تمتد من طرابلس حتى نهاية «طنجة».

وكان مقر ملكه مدينة «قرطاجنة» التى يحمل منها الخراج إلى هرقل «قيصر الروم» الذى ولاه ملك هذه البلاد.

والتقى المسلمون بجيش (جرجير) البالغ عدده مائة ألف وعشرين ألفاً بمكان يدعى (عقوبة) بينه وبين مدينة (سبيطلة) يوم وليلة، فنشبت معركة حامية بين الطرفين هناك.

وراسل عبد الله بن سعد ملك الروم (جرجير) يدعوه إلى الإسلام أو الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما.

واستأنف عبد الله القتال، فاستمرت الحرب أياماً، حتى وصل للمسلمين مدد بقيادة عبد الله بن الزبير ﷺ.

وحين سمع (جرجير) بوصول هذا العدد والمدد للمسلمين فت فى عضده ورأى عبد الله بن الزبير ﷺ، أن قتال المسلمين، يبدأ من الصباح ويستمر حتى الظهر، فإذا أذن الظهر عاد كل فريق إلى خيامه. كما أنه افتقد فى اليوم التالى عبد الله بن سعد فى المعركة فسأل عنه فقيل:

إنه سمع منادى «جرجير» يقول:

«من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتى».

وهو يخاف من ذلك؟؟.

فحضر ابن الزبير مجلسه وأشار عليه بأن يأمر منادياً ينادى بين المسلمين: «من أتانى برأس «جرجير» نقدته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده».

ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله..!!

وقال: ابن الزبير رضي الله عنه لعبد الله بن سعد.

«إن أمرنا يطول مع هؤلاء وهم فى إمدادات متصلة، وبلاد هى لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين فى خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر إلى أن يضجروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع

المسلمون، ركب من كان فى الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون، ونأخذهم على غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم».

إن الحرب خدعة.

والقائد الكبير لا يجعل جل اهتمامه على القوة وحدها.. بل يلجأ إلى المراوغة تارة، وعنصر المفاجأة تارة أخرى، وكلما كان القائد على دراية كاملة بنفسية خصمه كلما كان هذا مدعاة لتقصير أمد المعركة وتقريب النصر.

عبدالله بن سعد ينفذ خطه عبدالله بن الزبير

لقد اقتنع ابن سعد بالخطة التى وضعها ابن الزبير وعمل على تنفيذها وأقام جمع من شجعان المسلمين فى خيامهم، وخيولهم عندهم مسرجة وحضر الباقون، فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديداً، فلما أذن الظهر همّ الروم بالانصراف على العادة، فلم يمكنهم عبد الله بن الزبير، وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون، وألقى كل من الطرفين سلاحهم، وكان قد بلغ التعب من الروم حدّاً بالغاً، عندها أخذ ابن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وهاجم بهم الروم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم، وحملوا حملة رجل واحد، وكبروا، فلم يتمكن الروم من أخذ سلاحهم حتى غشيهم المسلمون. وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وتمكن ابن الزبير من التعرف على «جرجير» وحاصره فى مأمنه حتى تمكن من قتله، وأخذت ابنته أسيرة.

وأخذت راية الإسلام ترفرف على تلك البقاع، وصوت الله، يدوى فى جنباتها، ونصر الله المؤمنين نصراً مؤزراً.

واستمر الجيش الإسلامى فى تقدمه حتى وصل إلى (سبيطلة) ورأى ابن سعد فيها من الأموال ما لم يكن فى غيرها. فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار.

وبعث عبد الله جيوشه إلى داخل أفريقيا، حتى بلغت (قفصة) فسبوا وغنموا الشىء الكثير.

كما سيّر جيشاً إلى مكان يسمى (حصن الأجم) وقد احتمى به أهل تلك البلاد فحاصره، وفتحه بالأمان، فصالحه أهل أفريقيا على ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار.

لقد فتحت (الزنبقة السوداء) ودخل أهلها فى الإسلام أفواجاً، وأخذت كلمة (التوحيد) تتردد فى جنباتها، وعاد عبد الله بن الزبير إلى المدينة يحمل البشرى والنصر بفتح أفريقيا إلى خليفة المسلمين، عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قصر الحكم وموقف الصحابى المقداد منه

أما عبد الله بن سعد فقد عاد إلى مصر، بعد أن أمضى بأفريقيا سنة وثلاثة أشهر، عاد القائد المنتصر، ليؤدى ما عليه تجاه مصر وأهلها وفى مصر- اختط عبد الله بن سعد داراً، وبنى قصراً كبيراً يعرف بقصر الجن، وقد أمر ببنائه حين خرج إلى المغرب لغزو أفريقيا، وحين عاد قال للمقداد ابن الأسود الكندى:

كيف ترى بنيان هذه الدار..؟

فقال له المقداد: إن كنت بنيتها من مالك فقد أسرفت، وإن كنت بنيتها من مال المسلمين فقد أفسدت..؟

هكذا لا يجامله المقداد، ولا يزين له عملا لا يتفق مع مبادئ الإسلام ولكن يجابهه بكلمة حق، ولا يجبن عن قولها حتى ولو كان هو الحاكم الذى بيده أمور الحل والعقد.

ترى ماذا يكون حال المسلمين، لو أخلص المقربون إلى حكامهم فى إسداء النصيحة لهم..؟

ومجابهتهم بالحق والصدق.؟

لقد استمع عبد الله لرأى المقداد فيه فلم يغضب ولم يثر، بل أحس بخطئه إزاء نفسه، وإزاء دينه، وإزاء المحكومين له فقال:

لولا أن يقول قائل: أفسدت مرتين لأمرت بهدمه..؟

معركة ذات الصوارى

وهناك معركة إذا ذكر عبد الله بن سعد ذكرت معه معركة (ذات الصوارى) وكان من أسبابها أن الروم حشدت أكبر قوة ضاربة بحرية لحرب المسلمين وكان مجموع المراكب التى استعملها الروم أكثر من خمسمائة مركب أو ستمائة والمسلمون فى مائتى مركب فقط.

وكان ذلك فى سنة أربع وثلاثين هجرية.

وحين علم عبد الله بخبر قدوم الروم بهذا الحشد الكثيف، قام بين ظهرانى الناس خطيباً فقال:

«بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل عليكم فى ألف مركب فأشيروا علىّ؟

فما كلمه رجل من المسلمين.

وجلس عبد الله قليلاً كيما ترجع إلى سامعيه أفئدتهم، ثم قام الثانية وكلمهم.

فما كلمه أحد.!

وجلس ثم قام الثالثة فقال:

«إنه لم يبق شىء فأشيروا علىّ».

فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعاً مع عبد الله بن سعد فقال:

أيها الأمير إن الله جل ثناؤه يقول:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١).

فتشجع عبد الله، وتشجع المسلمون وقال لهم:

«اركبوا باسم الله».

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٤٩.

فركبوا وكان فى كل مركب نصف شحنته، لأن النصف الآخر كان قد خرج إلى البر للقتال فى منطقة أخرى.

وقدم أهل الشام وعليهم معاوية بن أبى سفيان، وعلى البحر عبد الله بن سعد وكانت الريح على المسلمين.

فأرسى المسلمون والروم مراكبهم، حتى سكنت الريح.

فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلون.

وأصبحوا وقد أجمع الروم أن يقاتلوا، فقربوا سفنهم، وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها إلى بعض. وصف عبد الله بن المسلمين على نواحى السفن وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ويأمرهم بالصبر.

واقتتل الطرفان بالسيوف والخناجر، فقتل من المسلمين خلق كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى.

وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يصبروا مثله فى موطن قط، فجرح قسطنطين ملك الروم وقائدهم فى هذه المعركة فانهزموا ولم ينج منهم إلا القليل.

وفى هذه المعركة بالذات تعرضت حياة عبد الله لخطر داهم، فقد قرن مركبه بمركب من مراكب الروم، فكاد مركب الروم أن يجره إليهم، إلا أن أحد رجاله ضرب السلسلة التى تربط المركبين بالسيف فقطعها.

وبذلك نجا عبد الله من الموت أو الأسر.

لقد أظهر عبد الله فى معركة ذات الصوارى بطولة فائقة، تلك الغزوة التى أبعدت خطر الروم- بعد اندحارهم- عن مصر وأرض الشام كلها.

لقد استطاعت القوة الضاربة للمسلمين أن تؤمن ثغورهم، ضد الغزو الأجنبى الذى يأتى إليهم من خارج حدودهم.

واستطاعت تلك القوة الضاربة أيضاً فى فترة وجيزة، أن تشل حركة الفرس القوية التى كانت تهددهم.

وقوة الروم التى تتوعدهم.

ومع ذلك كانت هناك نذر فى الأفق تنبئ بشر مستطير، يلف المسلمين فى ليل دامس لا يدرى أحد متى يظهر فجره؟

ولم تكن هذه النذر من الخارج وقد خضع الأعداء لقوتهم.

ولكنها كانت فتنة من الداخل جاءتهم على غير ميعاد وقد فتحت الدنيا لهم أبوابها، وأغدقت عليهم الخير الذى لا يحصى ولا يعد..

وكانت بوادر الفتنة عندما استدعى عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن سعد إلى المدينة، فانتهز هذه الفرصة محمد بن أبى حذيفة بن عتبة، وسرب المصريين إلى عثمان فحاصروه..

وفى الطريق علم عبد الله بما أحدثه محمد بن أبى حذيفة، ولكنه ماذا يمكنه أن يفعل؟ أيعود إلى مصر فيوقع نفسه فى الأسر؟ أم يذهب إلى المدينة، وليس فى مقدوره أن يفعل شيئاً إزاء عثمان؟

وتغلب الرأى الآخر واتجه إلى المدينة، فوجد عثمان محاصراً فقال:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقماً ... وأنصارنا بالمكتين قليل

وأسلمنا أهل المدينة للهوى ... هوى أهل مصر والذليل ذليل

وقال فى حق محمد بن أبى حذيفة:

أبعد الله محمد بن أبى حذيفة، بغى على ابن عمه، وسعى عليه، وقد كان كفله ورباه وأحسن إليه، فأساء جواره ووثب على عماله، وجهز الرجال إليه حتى قتل، ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان، ولم يمنعه بسلطان بلاده حولاً ولا شهراً ولم ير بعد ذلك أهلاً.

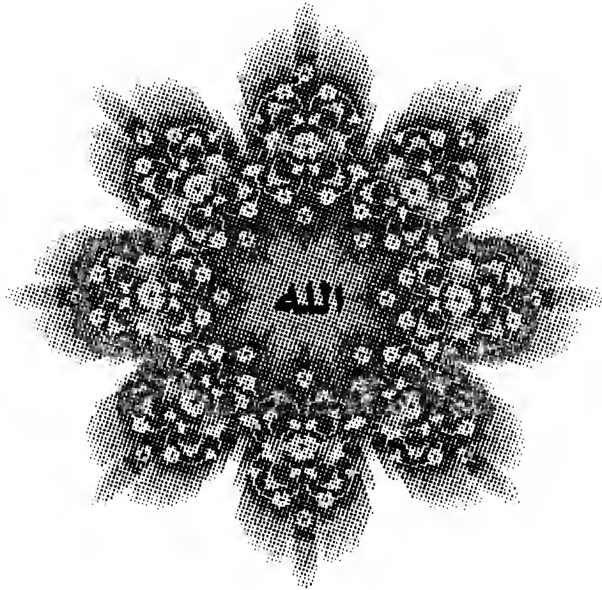
يقصد عدم إقراره من على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مصر، ورجع عبد الله بن سعد من المدينة، فمنعه ابن أبى حذيفة من دخول الفسطاط فمضى إلى عسقلان، فأقام بها حتى قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل: بل أقام بالرملة حتى مات فاراً من الفتنة، ودعا ربه فقال: «اللهم اجعل خاتمة عملى صلاة الصبح».

يقال: فتوضأ ثم صلى الصبح وفارقت روحه جسده إلى بارئها..

مات عبد الله بن سعد بعد حياة طويلة عريضة فى الكفاح والجهاد فى سبيل الله، وفى رفع كلمة الله.

فجزاه الله خيراً بمقدار ما قدم من نشر لدينه، وتبليغ لرسالته، إنه نعم المولى، ونعم المجيب.



أسباب نزول الآيات

قال كثير من العلماء والمفسرين نزلت هذه الآيات فى عبد الله بن سعد ابن أبى السرح:

يقول الإمام الواحدى: كان عبد الله بن سعد تكلم بالإسلام، فدعاه رسول الله ﷺ ذات يوم يكتب له شيئاً من الوحى. فلما نزلت الآية التى فى سورة المؤمنين:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان. فقال:

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت علىّ.

فشك عبد الله حينئذ.

وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلىّ كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال.

ومن ذلك قوله الذى يحكيه القرآن: ﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾، وارتد عن الإسلام، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما فى رواية الكلبى.

وهناك أيضاً رواية محمد بن إسحاق عن شرحبيل بن سعد قال:

نزلت هذه الآية فى عبدالله بن أبى السرح قال: سأنزل مثل ما أنزل الله.

وارتد عن الإسلام، وعاد إلى مكة وأخذ ينال من الإسلام ورسوله ﷺ ومن المسلمين.

حتى كان يوم الفتح الأكبر- فتح مكة- وأهدر الرسول دمه، ومعه جماعة

ففر إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه عنده حتى إذا اطمأن أهل مكة، أتى به عثمان، رسول الله ﷺ فاستأمن له، وأسلم وحسن إسلامه. كما سبق بيانه.

وهناك رواية أخرى عن قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(١). تروى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافقت ربى فى أربع.

قلت يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله تعالى:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٢).

وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجاباً، فإنه يدخل عليك البر والفاجر فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾(٣).

وقلت لأزواج النبى ﷺ: لتنتهن أو ليبدلنه الله سبحانه وتعالى أزواجاً خيراً منكن فأنزل الله تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾(٤).

ونزلت(٥): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

فقلت: فتبارك الله أحسن الخالقين.

فنزلت: فتبارك الله أحسن الخالقين.

والله أعلم..

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١٤.
(٢) سورة البقرة آية رقم ١٢٥.
(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.
(٤) سورة التحريم آية رقم ٥.
(٥) أسباب نزول القرآن للإمام الواحدى ص ٣٢٤.



تذييل

عن مصر وتاريخها عبر العصور

عن مصر وتاريخها
عبر العصور

إذا ذكر عبد الله بن سعد تبادر إلى الذهن ذكر مصر، وتاريخها الطويل الممتد، الموغل فى أعماق الزمن، ونقول فى أعماق الزمن، لأن بعض المؤرخين يرجع تاريخها وبداية بنائها إلى مصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام.

ويقال أيضاً بأن مصر من قديم كان شعبها يعرف عقيدة التوحيد، وأن نبى الله إدريس عليه السلام دعى أهلها إلى عبادة الله وحده، ونبذ كل ألوان الشرك.

وقدماء المصريين كانوا يؤمنون بالبعث ويصدقون بما يكون بعد الموت فحرصوا على إقامة القلاع وتشييد الحصون من أهرامات وخلافه إيماناً بالخلود والبقاء.

ويحدثنا تاريخهم القديم عن ملامح تصورهم للحياة الآخرة وما يكون فيها من حساب وعقاب وجزاء عن طريق محكمة مكونة من أربعين قاضياً يرأسها قاضى القضاة (أوزوريس).

فالإنسان لا يفنى، والموت مرحلة انتقال إلى حياة أخرى، حياة الأبدية والخلود.

والمستعرض للكتب السماوية السابقة على القرآن كالتوراة والإنجيل يلحظ أن اسم مصر يتردد كثيراً فيها، أما فى القرآن خاتم الكتب السماوية فقد ذكر اسم مصر فى خمس آيات منه.

الآية الأولى عندما تمرد بنو إسرائيل على رزق الله لهم وبطروا بأنعم الله وطلبوا أن يأكلوا مما تنبت الأرض، فأجابهم الله إلى طلبهم ودعاهم إلى

الذهاب إلى مصر، قال تعالى:

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (١).

والآية الثانية، عندما أوحى الله لموسى وأخيه هارون أن يقيما لقومهما بمصر بيوتاً، وكان الهدف من ذلك اعتزال البيئة الجاهلية، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتنظيمها وتدريبها حتى أتى وعد الله لها.

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾

والثالثة: عندما يتحدث القرآن عن يوسف عليه السلام وإلقاء إخوته له فى الجب، والسيارة التى حملته إلى مصر، وشراء العزيز له، عزيز مصر، ووصيته لزوجه بإكرام يوسف عليه السلام قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾ (٢).

والرابعة: عندما منّ الله على يوسف بالملك، واختياره وتفضيله على كثير من خلقه بالنبوة، وطلب يوسف من ربه أن يغفر لإخوته، ودعاهم مع أبويه لدخول أرض مصر قال تعالى:

﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٣).

هذه هى مصر فى الكتب السماوية، وإن كان هناك بعض المفسرين يرى أنها ذكرت ضمناً فى بعض الآيات.

من ذلك ما يقوله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى:

﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٤).

قال: يعنى مصر.

مصر ذات الغلات الوافرة، والمزارع الشاسعة، والخيرات العميمة حتى سميت بأنها تحوى خزائن الأرض على لسان يوسف عليه السلام قال تعالى:

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ٦١.
(٢) سورة يوسف آية ٢١.
(٣) سورة يوسف آية ٩٩.
(٤) سورة المؤمنون آية ٥٠.

﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وسمى الله سبحانه وتعالى ملكها بالعزيز، ولن يكون إلا لمكانتها بين الدول، وإكرام الله لها قال تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾(٢).

وقد هاجر إلى مصر على مدار التاريخ مجموعة من الأنبياء منهم يوسف الصديق عليه السلام، والأسباط، وموسى وهارون.

وزعموا أن المسيح عليه السلام ولد (بأهناس) وبها نخلة مريم عليها السلام ولقد كان اهتمام الرسول ﷺ بمصر وأهلها عظيماً وما كادت الأمور تهدأ بالمدينة، حتى أرسل ﷺ حاطب بن أبى بلتعة برسالة إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام.

فأرسل إليه مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ومن قبل مارية- هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

وفى الأثر: إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم صهراً ونسباً.

أما صفة أهلها فكما وصفهم الإمام الشافعى رضي الله عنه بقوله:

إذا جاء باغى الخير قلن بشاشة

له بوجوه كالدنانير: مرحبا

وأهلاً ولا ممنوع خير تريده

ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا

وفى رسالة لمحمد بن زياد الحارثى إلى الرشيد يشير عليه فى أمر مصر:

ومصر خزانة أمير المؤمنين التى يحمل عليها مؤنة ثغوره وأطرافه ويقوّت بها عامة جنده ورعيته مع اتصالها بالمغرب، ومجاورتها أجناد الشام وبقية من بقايا العرب، ومجمع عدد الناس فيما يجمع من ضروب المنافع

(١) سورة يوسف آية ٥٥. (٢) سورة يوسف آية ٣٠.

والصناعات، فليس أمرها بالصغير، ولا فسادها بالهين ولا ما يلتمس به صلاحها بالأمر الذى يصير له على المشقة ويأتى بالرفق.

ولقد كان لمصر دورها الكبير بالنسبة لبلاد الإسلام والمسلمين.

ومن أهم القضايا التى شغلت خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المجاعة التى أصابت المسلمين عام الرمادة وقلة الماء والمطر الذى ترتب عليهما هلاك الماشية والزرع، فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن طلب مدداً من مصر واستجاب واليها عمرو بن العاص لطلب الخليفة وأخذت الإمدادات تترى حتى طلب عمر بن الخطاب من عمرو أن يكف عن ذلك.

ومن مصر الإسلامية انطلقت الجيوش المؤمنة لنشر دين الله فى قارة أفريقيا بأسرها.

وكان جند الله يثبون إلى ذلك المناطق النائية داخل الأحراش والغابات، ولا يبالون الأخطار، ما دام الهدف فى النهاية إعلاء كلمة الله وإبلاغها إلى كل مكان تصل إليه الشمس..

ولا نخالنا تنسى ذاكرتنا موقف القائد الإسلامى عقبة بن نافع عندما اخترق بجنوده الأرض حتى وصل إلى شاطئ البحر، فقال كلمته المشهورة التى لاتزال ترن فى سمع الزمان:

«.. والله لو أعلم أن خلف هذا البحر قوماً لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بمحمد لخضت لهم بهذا الفرس».

وفى مصر جيشت الجيوش وأعدت المراكب للوثوب على درة البلاد فى ذلك الوقت «أسبانيا» النصرانية، ولقد كان للجنود السمر الوجوه البيض القلوب، الصادقى الإيمان، دورهم فى نشر اسم الله على ربوع تلك البلاد، وامتد زحفهم بكلمة (الله أكبر) حتى وصل إلى مشارف فرنسا.

وعندما خرج من وسط آسيا الصغرى مجموعة التتار والمغول بقيادة

«هولاكو» وطوقوا العالم الإسلامى وأسقطوا الخلافة الإسلامية باستيلائهم على بغداد، وواصلوا زحفهم إلى بقية العالم الإسلامى.

خرج الجيش الإسلامى من مصر بقيادة سيف الدين قطز، والتقى مع هؤلاء المغيرين المعتدين فى معركة فاصلة هى معركة «عين جالوت» وفرح المسلمون بنصر الله.

ولم يكن الأمر أمر معركة وإحراز النصر فيها.

ولم يكن الأمر صد مجموعة من المغيرين.

بل تطور الأمر إلى أعمق من ذلك، لقد كان هؤلاء الجنود الزاحفون من مصر باسم الله، يحملون سيوفهم ومن قبل هذا يحملون مبادئ دينهم ولقد قدموها لهؤلاء الذين يحاربون للهوى والغرض، ويستعملون قوتهم فى غير مرضاة الله.

فاستجابوا لهم وأسلموا على أيديهم، وصارت هذه القوة تحارب باسم الله، ولرفع دين الله، الذين حملوه معهم إلى القوقاز وطشقند، وسيبريا، وبخارى، وبقية الولايات الأخرى فى داخل روسيا القيصرية.

وإذا كانت معارك التتار أنهتها معركة (عين جالوت) فإن معارك الصليبية التى حشد الغرب لها قوته ومعداته، وكيد الكنيسة ورجالها كانت فى حاجة إلى كثير من المعارك وكثير من الجنود.

ولقد تعاون الغرب على سحق القوة الضاربة فى مصر ليتيح له ذلك الاستيلاء على المقدسات وفى مقدمتها بيت المقدس.

ولكن مصر الإسلامية صمدت مرة أخرى لتلك القوة، وقدمت الكثير من الرجال والعتاد، ولم يكن صمودها لفترة محدودة، ولا لسنوات معدودة، ولكن كان ذلك لمدة ثلاثة قرون.

ثلاثة قرون من المعارك المنهكة.

كم من الرجال قد قتل؟

وكم من الأطفال فقد والده؟

وكم أريقت من الدماء؟

إنه شيء كثير يصيب الرؤوس بالدوار ويدعو فى نفس الوقت إلى الإعجاب بهؤلاء الرجال الذين تشربوا روح الإسلام.

فكانوا قذى فى عين كل كافر.

وخنجراً فى صدر كل حاقد.

وبلسما لكل مسلم يحب دينه ويعمل على رفعة شأنه.

وانتهت الحروب الصليبية بالانتصار الساحق لقوة الإسلام، وأخذ قادة الغرب ورجاله يتدارسون موقعة (حطين) التى خطط لها قادة الإسلام ونفذ بنودها صلاح الدين.

هل كفت مصر عن العطاء؟

هل توقف أبناؤها عن البذل؟

هل بخلت تربتها عن النماء؟

الله يشهد أن ذلك لم يكن فى مقدورها حتى ولو فكرت فيه.

إن مصر لم تكن فى يوم من الأيام لنفسها ولا لأبنائها.

وإنما كانت ولا تزال للمسلمين جميعاً.

وإذا كانت مواردها أنهكتها الحروب المتتابعة مع الصهيونية ومن هم وراءها.

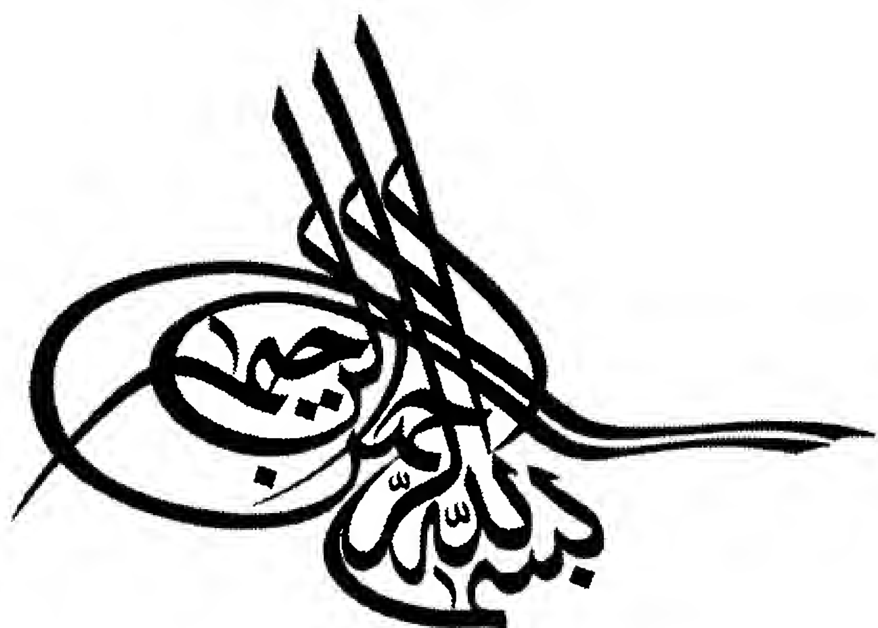
فإنها لا تزال تقدم الخبرات.

وتقدم الكفاءات وتقدم الرجال.

وهذا أغلى شىء يمكن أن تبذله دولة فى سبيل الآخرين.

أبو ذر الغفارى جندب بن جنادة

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

(المائدة: ٨٧- ٨٨)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

قال المفسرون هذه الآيات نزلت فى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم:

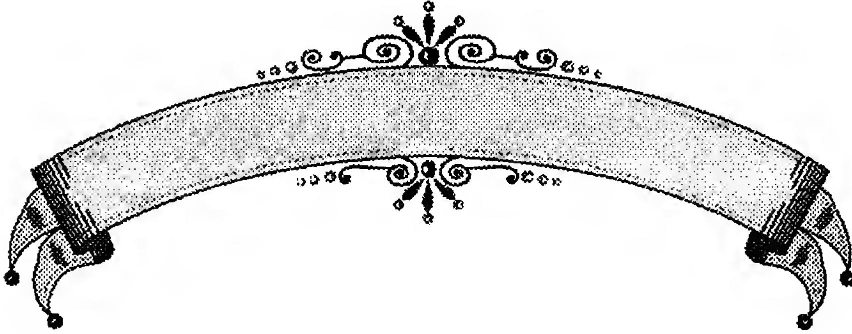
أبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى والمقداد بن الأسود

قاله ابن جرير: ٧: ٧ عن قتادة.

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢: ٣٠٧ لابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه. وذكره فى لباب المنقول ص ١١٢.

وقاله صاحب كتاب أسباب النزول ص٢٠٧

فمن هو أبو ذَرٍّ الغِفارى رضي الله عنه..؟



قال الرسول- ﷺ :

«ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر. ومن سره أن ينظر إلى تواضع عيسى عليه السلام فلينظر إلى أبى ذر».


أبو ذر الغفاري رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

من السابقين إلى الإسلام.

ومن أولئك الأوائل الذين اهتدوا إلى خالق الأرض والسماء وموجد الموت والحياة.

عاش حياته الأولى على الفطرة قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1].

فهو لم يسجد لصنم، ولم يتقدم بقربان إلى وثن.

وكان قبل إسلامه يتوجه بصلاته ودعائه إلى الواحد الأحد. واستمر على ذلك فترة طويلة من حياته.

يبحث عن الأسباب والمسببات.

فاهتدى عن طريق هذه الفطرة إلى مكارم الأخلاق، التى جاءت بها الأديان من عند الله تعالى.

وكان كريماً يبذل طعامه وماله لكل عابر سبيل، أو المنقطعين عن بلادهم، أو الغرماء، أو ممن قُتِّر عليهم فى الرزق.

وكانت بلاده تقع على طريق الشام. وهى طريق القوافل التى كانت تسير فيها قريش والقبائل العربية فى الرحلتين اللتين تحدث عنهما كتاب الله

(١) سورة الروم آية: ٣٠.

تعالى بقوله:

﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾ (١).

إنهما الرحلتان اللتان توافدت فيهما الطعام والرزق الحلال أما الأمان فهو من عند الله استجابة لدعوة نبيه إبراهيم عليه السلام.

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (٢).

وكثيراً ما كان أبو ذر يلتقى بأهل مكة عند ذهابهم إلى الشام وعودتهم منها. وكان يتم فى هذه اللقاءات أنواع البيع والشراء عن طريق التجارة، ويتخللها بعض الحديث عن أحوال بيت الله، الذى تحول إلى بيت للأصنام والأوثان التى تُعبد من دون الله، وكان المؤمنون الصادقون يتطلعون إلى أن يرسل الله رسولاً ليطهر بيته من الأصنام والأوثان، ويعيده خالصاً لعبادة الله وحده، لقد قال قس بن ساعدة الأيادى لقومه:

«البعرة تدل على البعير، والقدم يدل على المسير، أبحار ذات أمواج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير..؟»

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى بسنده عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قدم وفد عبد القيس على النبى- صلى الله عليه وسلم-. فقال: أيكم يعرف القس بن ساعدة الأيادى..؟

قالوا: كلنا يعرفه يا رسول الله.

قال: فما فعل..؟

قالوا: هلك.

قال عليه السلام: فما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام، وهو على جمل أحمر وهو يخطب الناس وهو يقول:

---

(١) سورة قريش كاملة. (٢) سورة البقرة آية رقم ١٢٦.

«يا أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن فى السماء لخبرا، وإن فى الأرض لعبرا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور يقسم قس قسماً حقاً: إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه.

ثم قال رسول الله- ﷺ:

«أفيكم من يروى شعره: فأنشده بعضهم:

فى الذاهبين الأوليـ	ـين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها	يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى إلىّ	ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا	لة حيث صار القوم صائر

إنهم الأصناف الذين كانوا فى زمن الفترة، وكانوا على دين إبراهيم، وكان بعضهم يتطلع إلى بعث النبى الذى يكون آخر النبيين. ولا شك أن أبا ذر الغفارى كان على دين هؤلاء دين إبراهيم عليه السلام، وكان يترقب خاتم النبيين وآخر المرسلين.

إسلام أبى ذر الغفارى

قال الحافظ البيهقى بسنده عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبى ذر قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلى ثلاثة نفر، وأنا الرابع. أتيت رسول الله - ﷺ - فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فرأيت الاستبشار على وجه رسول الله- ﷺ.

وقال البخارى بسنده عن ابن عباس ﵄: قال: لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله- ﷺ - قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتنى.

فانطلق الأخ حتى جاء إلى الرسول- ﷺ - وسمع من كلامه ثم رجع إلى أبى ذر فقال:

«رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً ما هو بالشعر..؟

قال أبو ذر: ما شفيتنى مما رأيت.

ثم إنه تزود وركب راحلته حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس رسول الله- ﷺ - ولا يعرفه. وكره أن يسأل عنه حتى إذا أدركه بعض الليل اضطجع فرآه علىٌّ- ﵁- فعرف أنه غريب- فلما رآه تبعه، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى أصبح.

ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يرى النبى- ﷺ- حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمر به علىٌّ.

فقال أما آن للرجل أن يعلم منزله، فأقامه وذهب معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء.

حتى إذا كان اليوم الثالث فعاد علىٌّ إليه فقام معه. فقال له: ألا تحدثنى بالذى أقدمك؟

قال: إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت.

ففعل عليٌّ فأخبره.

قال عليٌّ: فإنه حق، وأنه رسول الله- ﷺ - فإذا أصبحت فاتبعنى، فإنى إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى، ففعل فانطلق يتبعه حتى دخل على النبى - ﷺ - ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه.

فقال له النبى- ﷺ:

«ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيَك أمرى».

فقال: والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وما كادت قريش تسمع ذلك منه حتى قاموا عليه يضربونه حتى أوجعوه. فأتى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فأكب عليه. وقال:

«ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام إليها فأنقذه منهم.

ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا عليه فأكب العباس عليه. وأنقذه. وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن الصامت، عن أبى ذر قال:

خرجنا من قومنا غفار، أنا وأخى أنيس وأمُّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذى مال، وذى هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه فقالوا له:

«إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس فجاء خالنا وأظهر لنا الذى قيل له.

فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا بقاء لنا معك فيما بعد.

قال: فجمعنا أشياءنا وخرجنا وانطلقنا حتى نزلنا مكة، وصليت قبل أن

ألقى رسول الله - ﷺ - ثلاث سنين.

قال: قلت لمن..؟

قال: لله.

قلت: فأين توجه..؟

قال: حيث وجهنى الله. قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١).

قال: وأصلى عشاء، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى كساء، حتى تعلونى الشمس.

قال: فقال أنيس. إن لى حاجة بمكة فانتظرنى حتى آتيك.

قال: فانطلق فغاب علىَّ. ثم أتانى فقلت ما حبسك..؟

قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك.

قال: فقلت: ما يقول الناس له..؟

قال: يقولون إنه شاعر وساحر.

وكان أنيس شاعراً فقال: لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فو الله ما هو بشعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

قال: فقلت له هل أنت كافينى حتى أنطلق إليه..؟

قال: نعم. وكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنعوا عليه وتجهموا له.

قال: فانطلقت حتى قدمت مكة فاستضعفت رجلاً منهم فقلت أين هذا الرجل هذا الذى يدعونه الصابئ..؟

قال: فأشار إلى أهله. فمال أهل الوادى علىَّ بكل مدرة(٢) وعظم حتى خررت مغشيّاً علىَّ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عنى الدم. ولبثت صامتاً وكلما رأيت أحداً اختفيت

(١) سورة البقرة آية رقم ١١٥.
(٢) المدر: قطع الطين اليابس.

تحت أستار الكعبة فلبثت يا ابن أخى ثلاثين من يوم وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى، ولم أجد جوعاً قط. قال فبينما أهل مكة فى ليلة قمراء، ضرب الله عليهم فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فاتتا علىَّ وهما يدعوان أساف ونائلة.

فقلت: أنكحوا أحدهما الآخر.

قال: فانطلقتا تولولان وتقولان، لو كان ههنا أحد من رجالنا.

قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ - وأبو بكر- وهما هابطان من الجبل. فقالا مالكما.؟

فقالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها..؟؟

قالا: ما قال لكما..؟

قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم..؟؟

قال: وجاء رسول الله- ﷺ - وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى.

قال: فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام.

فقال: عليك السلام ورحمة الله من أنت..؟

قال: قلت رجل من غفار قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته.

قال: فقلت كره أن انتميت إلى غفار..؟

قال: فأردت أن آخذ بيده، فقذفنى صحبه، وكان أعلم به منى.

قال: متى كنت هاهنا..؟

قال: قلت كنت ههنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم.

قال: فمن كان يطعمك..؟

قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى

وما وجدت شعوراً بالجوع قط.

قال: قال رسول الله- ﷺ-:

«إنها مباركة إنها طعام طُعْمٍ».

قال: فقال أبو بكر ائذن لى يا رسول الله فى طعامه الليلة.

قال: افعل.

قال: فانطلق النبى- ﷺ - ثم قال إنى قد وُجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب. فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم..؟

قال: فانطلقت حتى أتيت أخى أنيساً.

قال: فقال لى ما صنعت؟

قال: قلت صنعت أنى أسلمت وصدقت.

قال: فما بى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت.

قال: ثم أتينا أمنا فقالت ما بى رغبة عن دينكما فإنى قد أسلمت وصدقت. فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار.

قال: فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله- ﷺ - إلى المدينة.

وقال بقيتهم إذا قدم علينا رسول الله- ﷺ - أسلمنا.

فلما قدم رسول الله- ﷺ - أسلم بقيتهم.

فقال رسول الله - ﷺ -:

«غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله»(١).

(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب المساجد ٣٠٧ بسنده عن خفاف بن إيماء الغفارى قال: قال رسول الله- ﷺ- وذكره. وفى فضائل الصحابة ١٣٢، ١٨٢، ١٨٧ والترمذى فى المناقب ٧٣ والدارمى فى السير ٧٩ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٠، ٥٠، ٦٠، ١٠٧، ١١٦ (حلبى).

أبو ذر فى غزوة تبوك

أمر رسول الله- ﷺ - أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك فى زمن عسرة وشدة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم.

ثم إن رسول الله - ﷺ - جد فى سفره، وأمر الناس بالجهاز، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى، واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها.

فقال الرسول - ﷺ - «اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض» وقد كان نفر من المسلمين تخلفوا عن رسول الله- ﷺ - من غير شك ولا ارتياب. منهم:

كعب بن مالك.

ومرارة بن ربيع أخو بنى عمرو بن عوف.

وهلال بن أمية أخو بنى واقف.

وأبو خيثمة أخو بنى سالم.

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله - ﷺ - أياماً إلى أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى خيمتين قد رشت كل واحدة منهما خيمتها وبردت له ماء، وهيأت له فيه طعاماً.

فلما دخل قام على باب الخيمة فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله- ﷺ - فى الضح(١)- الشمس والريح والحر، وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، فى ماله مقيم..؟؟

ما هذا بالنَّصَفِ. ثم قال:

«والله لا أدخل خيمة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله- ﷺ - فهيئا لى زاداً ففعلتا. ثم قدم جمله فارتحله ثم خرج فى طلب الرسول - ﷺ- وهو

(١) الضح: الشمس المحرقة والريح.

نازل بتبوك.

قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل.

فقال رسول الله- ﷺ - : كن أبا خيثمة.

فقالوا: يا رسول الله- ﷺ -: هو والله أبو خيثمة.

ثم مضى رسول الله- ﷺ - سائراً فجعل: يتخلف عنه الرجل فيقولون يا رسول الله: تخلف فلان.

فيقول: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

حتى قيل: يا رسول الله: تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره.

فلما وصل إليهم قال: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وتلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله- ﷺ - ماشياً، ونزل رسول الله - ﷺ - في موضع. فنظر بعض المسلمين فقالوا: يا رسول الله، إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده.

فقال رسول الله- ﷺ -: كن أبا ذر.

فقال: رسول الله- ﷺ -: رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده، ويُبعث وحده».

وفاة أبى ذر الغفارى رضي الله عنه

شكا معاوية بن أبى سفيان الوالى على دمشق فى ذلك الوقت أبا ذر للخليفة عثمان بن عفان- رضي الله عنه- بأنه يعمل على تاليب العامة وينتقص من الوالى.

عندها أمر عثمان بعودة أبى ذر إلى المدينة. وطال الكلام بينه وبين الخليفة فنفاه إلى الربذة.

يقول إبراهيم الأشتر عن أبيه عن زوجة أبى ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت.

فقال لى: ما يبكيك..؟

فقلت: وما لى لا أبكى، وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندى ثوب يسعك كفناً لى ولا لك..؟ ولابد لى للقيام بجهازك.

قال: فأبشرى ولا تبكى، فإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول:

«لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً».

وقد مات لنا ثلاثة من الولد.

وإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قرية وجماعة، فأنا ذلك الرجل. والله ما كَذبت ولا كُذبت فأبصرى الطريق..؟؟

قلت: وأى ذلك وقد ذهب الحاج وانقطعت الطريق..؟

قال: اذهبى فتبصرى.

قالت: فكنت أشد إلى الكثيب فأنظر ثم أرجع إليه فأمرضه. فبينما هو وأنا كذلك، إذ برجال على رحالهم كأنهم الرخم تجرى بهم رواحلهم، فأسرعوا إلىَّ حتى وقفوا عندنا.

فقالوا: يا أمة الله مالك..؟

قلت: امرؤ من المسلمين يموت، تكفنونه..؟

قالوا: ومن هو..؟

قلت: أبو ذر.

قالوا: صاحب رسول الله- ﷺ.

قلت: نعم.

قالت: ففدَّوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه، حتى دخلوا عليه.

فقال لهم: أبشروا، فإنى سمعت رسول الله- ﷺ - يقول لنفر أنا فيهم «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض، تشهده عصابة من المؤمنين. وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية وجماعة، والله ما كَذبت ولا كُذبت، ولو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى أو لامرأتى لم أكفن إلا فى ثوب هو لى أو لها.

وإنى أنشدكم الله ألا يكفنى رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو نقيبا وليس من أولئك النفر الذين جاءوا إلا ولى من هذه المناصب، إلا فتى من الأنصار.

فقال: أنا أكفنك- يا عم فى ردائى هذا، وفى ثوبين من غزل أمى.

قال: أنت تكفنى يا بنى.

قال: نعم.

قالت: فكفنه الأنصارى وغسله فى النفر الذين حضروه وقاموا عليه وكان معهم- عبد الله بن مسعود- ﷺ - فلما دفنوه استهل عبد الله يبكى ويقول صدق رسول الله- ﷺ- : حيث قال يا أبا ذر: تمشى وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك.

إنهم الرجال الأصفياء الأتقياء، الذين صنعهم الله على عينه، لحمل رسالته الخاتمة إلى البشرية كلها: فحملوا الرسالة، وأدوا الأمانة، وكانوا للبشرية كلها خير هداة. هداة بكتاب الله، ودعاة بالكلمة الطيبة لدين الله- ومطهرين الأرض من الشرك والكفر بسيف الله. رحم الله أبا ذر الغفارى وأسكنه فسيح جناته.



تذييل

الدعاة إلى الله
فى كل عصر ومصر

الدعاة إلى الله فى كل عصر ومصر

لماذا كان أبو ذر الغفارى يبحث عن النبى المبعوث المرتقب..؟ وهل كان هناك غيره ينتظرون كما ينتظر خاتم المرسلين وسيد المرسلين..؟

إن الرسل عليهم السلام الذين سبقوا خاتم النبيين بشروا به قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ (٢).

وقال الله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾ (٣).

وقال إبراهيم عليه السلام

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٤).

فأهل الديانات السابقة كانوا يعلمون تمام العلم. أن الله سبحانه وتعالى

(١) سورة الصف آية رقم ٦.
(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٥٧.
(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٩.
(٤) سورة البقرة آية رقم ١٢٩.

سيرسل رسولاً يكون خاتم الرسل، وسيد المرسلين- صلوات الله وتعالى عليهم.

أيضاً وجد فى الجزيرة العربية قوم سموا بالأحناف نسبة إلى ملة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾(١).

ومن هؤلاء الرجال قس بن ساعدة الأيادى.

يقول الإمام الطبرى فى كتابه المعجم الكبير بسنده عن عبد الله بن عباس- رضى الله عنه:

«قدم وفد عبد القيس على النبى - ﷺ -: فقال: أيكم يعرف القس بن ساعدة الأيادى..؟

قالوا: كلنا يعرفه يا رسول الله.

قال: فما فعل..؟

قالوا: هلك.

قال: فما أنساه بعكاظ فى الشهر الحرام وهو على جمل أحمر، وهو يخطب الناس ويقول: يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا.

«من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن فى السماء لخبراً، وإن فى الأرض لعبراً، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور.

وأقسم قسماً حقّاً لئن كان فى الأمر رضا ليكون بعده سخط، إن لله لدينا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه.

ثم قال: ما لى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تُركوا فناموا».

ثم قال رسول الله- ﷺ -: أفيكم من يروى شعره..؟

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٥.

فأنشده بعضهم:

فى الذاهبــــين الأولـ ــين من القـرون لنا بصـائر
لما رأيت مـــــوارداً للمـوت ليس لهـا مـصـادر
ورأيت قــومى نحــوها يسـعى الأصـاغـر والأكـابر
لا يــرجـع الماضـى إلىَّ ولا من البـاقـين غـابر
أيقنت أنى لا مــحـالة حـيث صـار القـوم صـائر

ثم وقف الجارود بن المُعَلَّى وقال: يا رسول الله كان قس بن ساعدة سبطاً من أسباط العرب عمر ستمائة سنة. كان فيها يضج بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره قرار، ولا تكنه دار، ولا يستمتع به جار، كان يسبح فى الجبال والوديان ويحتسى بيض النعام، ويأنس بالهوام، ويستمتع بالظلام، يبصر فيعتبر، ويفكر فيختبر، فصار بذلك واحداً تضرب بحكمته الأمثال، وتكشف به الأهوال، أدرك رأس الحواريين سمعان، وهو أول رجل تأله من العرب، ووحد وأقر، وتعبد وأيقن بالبعث والحساب.

وحذر سوء المآب، وأمر بالعمل قبل الفوت، ووعظ بالموت، وسلم بالقضاء على السخط والرضا، وزار القبور، وذكر النشور، وعظم الأمر، وجندل الكفر، وشوق إلى الحنيفية، ودعا إلى عبادة الواحد خالق الذكر والأنثى، ورب الآخرة والأولى.

ثم قام شيخ من عبد القيس عظيم الهامة، طويل القامة، فقال: فداك أبى وأمى وأنا رأيت من قس عجباً.

فقال له رسول الله- ﷺ – ما الذى رأيت يا أخا بنى عبد القيس..؟

قال: خرجت فى شبابى أتبع بعيراً هرب منى أتبع أثره إذا بعين فوارة بالماء، وبستان ملئ بالأزهار، وشجرة عالية مرتفعة يجلس فى أصلها قس بن ساعدة وبيده قضيب فدنوت منه وقلت له: أنعم صباحاً.

فقال: وأنت فنعم صباحك.

وقد وردت للعين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سبع منها يشرب قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذى بيده وقال: اصبر حتى يشرب الذى قبلك فذعرت من ذلك ذعراً شديداً:

فنظر إلىَّ وقال: لا تخف.

ثم تأملت فى المكان الذى يقيم فيه فإذا بقبرين بينهما مسجد فقلت: ما هذان القبران؟

قال: قبر أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع، فأنا مقيم بين قبريهما. أعبد الله حتى ألحق بهما..؟؟

فقلت له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم فى خير وتباينهم على شرهم؟

فقال لى: ثكلتك أمك، أو ما علمت أن ولد إسماعيل عليه السلام تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد، وعظموا الأنداد قال: فقال الرسول- ﷺ -:

«رحم الله قساً أما أنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده وقد ذكر البيهقى بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما- عن الذى ضل بعيره - زيادة على ذلك - قال بينما هو بين اليقظة والمنام هتف به هاتف يقول:

يا أيها الراقد فى الليل الأجم
قد بعث الله نبيّاً فى الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم
يجلو دجيات الدياجى والبهم

قال: فأدرت طرفى فما رأيت له شخصاً، ولا سمعت له فحصاً قال فأنشأت أقول:

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم
أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلم
ماذا الذى تدعو إليه يفتنم

قال: فإذا بنحنحة وقائلاً يقول:

«ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمداً بالحبور، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض، وأهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول:

الحمد لله الذى ... لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا يوماً سدى ... من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا محمداً ... خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما ... حج له راكب وحث

وإذا كان هذا ما فعله قس بن ساعدة. من نبذه الأصنام والأوثان ودعوته إلى عبادة الرحمن. فماذا عن زيد بن عمرو بن نفيل- رضي الله عنه..؟ عن محمد بن إسحاق قال: كان نفر من قريش زيد بن عمر بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وعبد الله بن جحش بن رئاب، حضروا قريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم. فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا:

«تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض.

فقال قائلهم: تعلموا والله ما قومكم على شىء لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه، ما وثن يعبد..؟ لا يضر ولا ينفع، فابتغوا لأنفسكم..؟

قال: فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الأرض يلتمسون أهل كتاب من اليهود والنصارى والملل كلها. الحنيفية دين إبراهيم.

فأما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم فى النصرانية، وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب.

أما زيد بن عمرو بن نفيل فقد اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين الحنيفية- دين إبراهيم، يوحد الله ويخلع من دونه، ولا يأكل ذبائح قومه ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء، وأنبت لها من الأرض، لم تذبحوها على غير اسم الله..؟

ثم عزم على الخروج من مكة فضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ثم سار حتى وصل إلى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم.

فقال الراهب: إنك تسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه، ولكنه قد أظل خروج نبى هذا زمانه، فرجع وهو يقول:

لبيك حقّاً حقّاً تعبداً ورقّاً

البر أبغى لا أنحال فهل مهجر كمن قال(١)

آمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول: أنفى لك راغم مهما تجشمنى فإنى جاشم ثم يخر ساجداً لله.

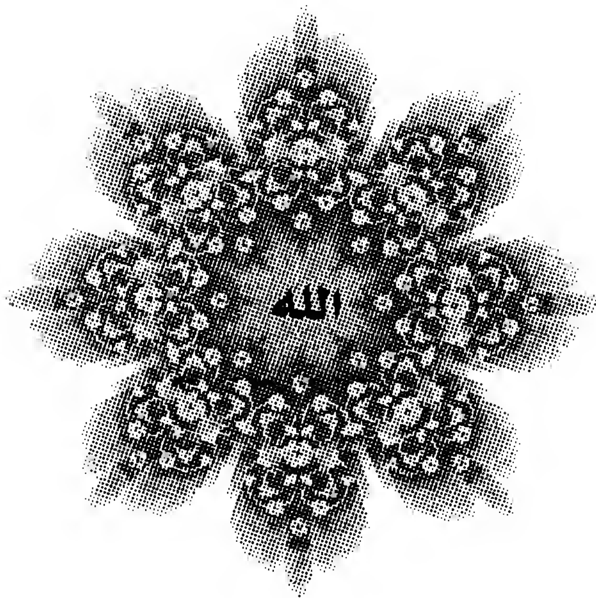
من هنا كان الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى- رضي الله عنه- ينتظر المبعوث الجديد، الذى يرسله الله تعالى لهداية البشرية، ويعود بها إلى توحيد إله خالق الأرض والسماء، ويحطم الأصنام ويزيل الأوثان من بيت الله الحرام

(١) المهجر: الذى يعيش فى الهجر، وحر الشمس، والقال: الذى يجلس فى الظل فى القيلولة.

كما فعل إبراهيم عليه السلام . الذى أمرنا الله تعالى باتباعه: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾(١) .

رحم الله أبا ذر وأسكنه فسيح جناته. وأهل هذه الفترة معافون إن شاء الله لقوله تعالى:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٢) .



(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٥.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ١٥.

أنس بن مالك بن النضر

رضى الله عنه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

(الحجرات: ٣)

أقوال العلماء والمفسرين فى نزول هذه الآية

قال المفسرون نزلت فى أبى بكر وأنس بن مالك - رضي الله عنهما.

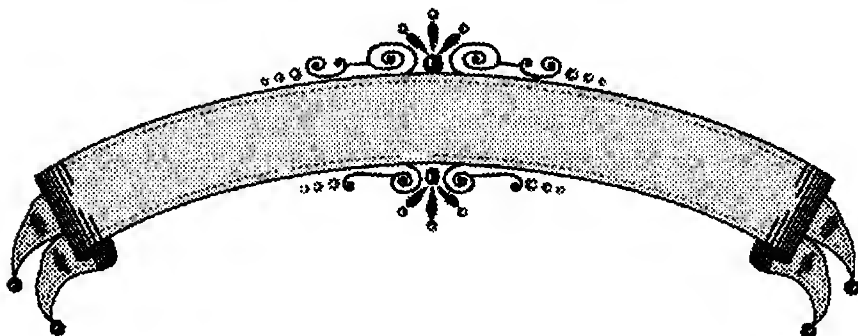
قال ذلك الإمام الواحدى فى أسباب نزول القرآن.

وكل من خفض صوته لرسول الله

داخل فى زمرة الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى.

وقاله الإمام القرطبى فى التفسير ج٨ ص ٣٠٨

فمن هو أنس بن مالك رضي الله عنه؟



قال ﷺ :

«اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه»

قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً وولداً، ويقال إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون ولداً منهم ثمانية وسبعون ذكراً.

راجع الاستيعاب

١ : ١١


أنس بن مالك رضي الله عنه
حياته ونشأته



حياته ونشأته

عملاق من عمالقة الإسلام.

ومؤمن استقر الإسلام فى قلبه- فكان داعياً له.

وسيطر نوره على كل ذرة من ذرات جسمه، فهداه إلى الحق، وأرشده إلى خالق الأرض والسماء، وموجد الحياة والموت.

وفتى أسعدته الدنيا عندما اختارته العناية الإلهية- ليكون خادماً لرسول البشرية، وخاتم الأنبياء لمدة عشر سنوات كاملة.

والده: مالك بن النضر كان تاجراً ناجحاً، وخبيراً بأساليب البيع والشراء.

وكان يقطع رحلة الشتاء والصيف إلى الشام سنوياً والعودة إلى المدينة. حتى ظهور نور الإسلام، وأراد الله سبحانه وتعالى أن تعود البشرية من ضلالات الكفر إلى نور الإيمان على يد خاتم الأنبياء والمرسلين- محمد بن عبد الله- ﷺ - وهاجر إلى يثرب، وانتشرت دعوته بين الأنصار ودخل نور الإسلام إلى بيت مالك بن النضر فأسلمت زوجته، ورفض هو الإسلام وخرج هائماً على وجهه ولم يعد مرة أخرى إلى بيته.

وأمه: سهلة بنت ملحان، عاشت بعد فقدان زوجها لدينها وتربية ابنها أنس، وتكاثر عليها الخطاب، فكانت تعتذر لهم وتقول:

«لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس فى المجالس فيقول: جزى الله أمى

عنى كل خير لقد أحسنت ولايتى.

ثم تقدم لها أبو طلحة الأنصارى. وقال: لقد جلس أنس وتكلم فى المجالس.

فقالت له: يا أبا طلحة: ما مثلك يرد. ولكن ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض وإنما نجرها حبشى من بنى فلان..؟

قال: بلى.

قالت: أما تستحى أن تسجد لخشبة لا تنفع ولا تضر، ولا تحيى ولا تميت..؟؟

ثم قالت: فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وأزوجك نفسى، لا أريد منك صادقاً غيره..؟

قال لها: سأنظر فى أمرى فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قالت عندها: قم يا أنس فزوج أبا طلحة.؟؟

فتزوجها على الإسلام: ولم يكن بينهما صداق غيره.

ثم انطلقت بعد زواجها- بابنها أنس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أنساً غلام كيس فليخدمك. فقبل الرسول ﷺ خدمة أنس له:

يقول أنس: فخدمته فى السفر والحضر. والله ما قال لى لشىء صنعته لِمَ صنعت هذا هكذا..؟ ولا لشىء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا..؟

وكان الرسول- ﷺ - يتردد على بيت أم سليم- فدخل يوماً على أم سليم فأتته بتمر وسمن.

فقال عليه السلام: أعيدوا سمنكم فى سقائكم، وتمركم فى وعائكم فإنى صائم.. ثم قام فى ناحية البيت فصلى صلاة غير مكتوبة- ثم دعا لأم سليم ولأهل بيتها.

فقالت أم سليم: يا رسول الله إن لى خويصة؟

قال: ما هى..؟

قالت: خادمك أنس.

قال: فما تُرك خير آخرة ولا دنيا إلا دعى له به. ثم قال: اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له.

يقول أنس: فإنى لمن أكثر الأنصار مالاً وولداً.؟؟

أنس فى بيت الرسول - ﷺ -

عن أبى يعلى عن أنس بن مالك أنه قال: قدم النبى - ﷺ - المدينة وأنا ابن ثمان سنين، فأخذت أمى بيدى فانطلقت بى إلى رسول الله ﷺ- فقالت: يا رسول الله إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا قد أتحفك بتحفة ولا أقدر على ما أتحفك به إلا ابنى فخذه فليخدمك ما بدا لك.

قال أنس: فخدمت رسول الله ﷺ - عشر سنين، فما ضربنى ضربة، ولا سبنى سبة، ولا انتهرنى، ولا عبس فى وجهى، وكان أول ما أوصانى به أن قال: يا بنى اكتم سرى تكن مؤمناً.

فكانت أمى وأزواج النبى - ﷺ- يسألننى عن سر رسول الله- ﷺ- فلا أخبرهم به؟؟ وما أنا بمخبر سر رسول الله أحداً أبداً.

من وصايا الرسول- ﷺ - لأنس بن مالك

يقـول أنس- رضي الله عنه - قـال لى رسـول الله ﷺ- يا بنى عليك بإسـباغ الوضوء يحبك ويحفظك الله بحفظه.

ويبارك الله لك فى عمرك.

ويا أنس بالغ فى الاغتسال من الجنابة فإنك إن فعلت- تخرج من مغتسلك وليس عليك ذنب ولا خطيئة.

يقول أنس: قلت كيف المبالغة يا رسول الله..؟

قال: تبلغ أصل الشعر وتسقى البشرة.

يا بنى: إن استطعت أن لا تزال أبداً على وضوء فإنه من يأته الموت وهو على وضوء يعطى الشهادة.

يا بنى: إن استطعت أن لا تزال تصلى فإن الملائكة تصلى عليك ما دمت مصلياً يا بنى: إذا ركعت فأمكن كفيك من ركبتيك وأفرج بهم أصابعك وارفع مرفقيك على جنبيك.

يا بنى: إذا رفعت رأسك من الركوع فأمكن كل عضو منك، فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده.

يا بنى: إذا سجدت فأمكن جبهتك وكفيك من الأرض ولا تنقر نقر الديك ولا تقع إقعاء الكلب.

يا بنى: إياك والالتفات فى الصلاة، فإن الالتفات فى الصلاة هلكة، فإن كان ولابد ففى النافلة لا الفريضة.

يا بنى: إذا خرجت من بيتك فلا تقعن عينك على أحد من أهل القبلة إلا سلمت عليه فإنك ترجع مغفوراً لك.

يا بنى: إذا دخلت منزلك فسلم على نفسك وعلى أهلك.

يا بنى: إن استطعت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك شىء لأحد فإنه أهون عليك يوم الحساب.

يا بنى: إن اتبعت وصيتى فلا يكن شىء أحب إليك من الموت.

قال أنس: ثم أخذ رسول الله- ﷺ - بيدى وقال: يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين، تكن رفيقى فى الجنة.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾(١) .

والأوبة الرجوع إلى طاعة الله تعالى: قال سعيد بن المسيب: هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب.

والله سبحانه وتعالى يحب التائب إليه العائد إلى حماه يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢) .

يقول أنس- رضي الله عنه - لما كان صبيحة اليوم الذى احتلمت فيه، أخبرت رسول الله ﷺ - فقال: ﷺ :

لا تدخل على النساء إلا بإذن».

أمره الرسول- ﷺ - بذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣) .

الخدم والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان، إلا فى ثلاثة أوقات تتكشف فيها العورات عادة، فهم يستأذنون فيها، هذه

(١) سورة الإسراء آية رقم ٢٥. (٢) سورة البقرة آية رقم ٢٢٢.

(٣) سورة النور الآيتان ٥٨- ٥٩.

الأوقات هى: الوقت قبل صلاة الفجر، حيث يكون الناس فى ثياب النوم عادة أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج.

ووقت الظهيرة: عند القيلولة حيث يخلعون ملابسهم فى العادة ويرتدون ثياب النوم للراحة.

وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل.

وسماها عورات لانكشاف العورات فيها، وفى هذه الأوقات الثلاثة، لابد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كى لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المخاطر، بينما يقرر علماء النفس اليوم- تقدم العلوم النفسية، أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها.

والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب، وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الأعصاب، سليمة مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب.

فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون فى حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا فى كل وقت. حسب النص العام فى الآيات السابقة.

ولهذا كان أمر الرسول- ﷺ - لأنس بن مالك- رضي الله عنه- ألا يدخل على النساء فى أى وقت إلا بإذن سابق.

فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى وأفضل لكم- كما أخبر بذلك العليم الخبير بكل خلجة من خلجات الإنسان، وبكل ذرة من ذراته.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١).

---

(١) سورة الملك آية رقم ١٤.

اهتمام المسلمين بأنس بعد وفاة الرسول رضي الله عنه

قال ثابت البنانى لأنس: أحب أن أقبل منك ما رأيت به رسول الله- ﷺ - فأمكنه من عينيه.

وقال ثابت: هل مسست رسول الله- ﷺ - بيدك؟

قال: نعم.

قال: فأعطنيها حتى أقبلها.

ودفع أنس تفاحة إلى أبى العالية- فجعلها فى كفه، وجعل يشمها ويقبلها ويقول: تفاحة مسها كف مست كف رسول الله- ﷺ -.

وكيف لا يفعل ثابت البنانى مع خادم الرسول- ﷺ - ذلك وصحابة الرسول كانوا لا يفعلون مع الرسول عليه السلام أكثر من ذلك.

يقول عروة بن مسعود- سفير قريش إلى الرسول- ﷺ - بعد عودته إليهم:

«يا معشر قريش: إنى قد جئت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وإنى والله ما رأيت ملكاً فى يوم قط مثل محمد فى أصحابه: لا يتوضأ إلا ابتدروا وَضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه. ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشىء أبداً فروا رأيكم..؟؟؟

وأسند الحافظ إلى ثابت البنانى أنه قال: دخلت على أنس بن مالك فقلت: رأت عيناك رسول الله- ﷺ - فقبلتهما.

ثم قلت: صببت الماء بيديك على رسول الله- ﷺ -؟

قال: نعم. فقبلتهما.

ثم قال أنس: يا ثابت صببت الماء بيدى على رسول الله - ﷺ - فقال لى: «يا غلام أسبغ الوضوء يبارك الله فى عمرك. وأفش السلام تكثر حسناتك وأكثر من قراءة القرآن تجئ يوم القيامة معى كهاتين. وقال بإصبعيه هكذا وقرن السبابة والوسطى.

طيب رسول الله - ﷺ -

قال أنس بن مالك- رضي الله عنه -:

دخل علينا رسول الله- ﷺ - فقال: «من القيلولة» وهى النوم وسط النهار، فعرق. فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبى - ﷺ - فقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين..؟

فقالت: عرقك نجعله فى طيبنا، وهو من أطيب الطيب.

يقول أنس: ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ ولا مسست ديباجاً ولا خزّاً ولا حريراً ألين مسّاً من رسول الله - ﷺ .

وروى أن أنساً سأل النبى - ﷺ - فقال: خويدمك أنس اشفع له يوم القيامة.

قال عليه السلام: أنا فاعل..

قال أنس: فأين أطلبك..؟

فقال له: اطلبنى عند الصراط فإن وجدتنى وإلا فاطلبنى عند الميزان فإن وجدتنى وإلا فأنا عند حوضى، لا أخطئ هذه الثلاثة مواضع. صلاة الله وسلامه عليك يا رسول الله.

ألم يقل له رب العزة: «يا محمد ارفع رأسك قل تُسمع، سل تُعطه، اشفع تُشفع».

يقول عليه السلام: فارفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع، فيحد لى حدّاً فأخرجهم من النار.. إلخ»(١).

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى التوحيد ١٩ والإمام مسلم فى كتاب الإيمان ٣٢٢ (١٩٣) بسنده عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله- ﷺ - وذكره.

غزوات الرسول - ﷺ -
وحضور أنس بن مالك فيها

روى الإمام أحمد فى مسنده وقيل لأنس- رضي الله عنه - أشهدت بدراً؟

فقال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك..؟؟

وقال محمد بن عبد الله الأنصارى: خرج أنس مع رسول الله - ﷺ - حين توجه إلى بدر - وهو غلام يخدمه.

وأخرج عن أنس أنه قال: شهدت مع النبى - ﷺ - الحديبية وعمرته والحج والفتح وحنيناً وخيبر.

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن موسى بن أنس: كم غزا مع رسول الله ﷺ؟

فقال: سبعاً وعشرين غزوة، ثمان غزوات يغيب فيها الشهر، وتسع عشرة يغيب فيها الأيام.

قال: فقلت: كم غزا أنس بن مالك..؟

فقال: ثمانى غزوات.

إنه الجهاد فى سبيل الله، إنه العمل على نشر دين الله. الجهاد: الذى سُئل عنه رسول الله- ﷺ -: أى العمل أحب إلى الله..؟

قال عليه السلام: الجهاد فى سبيل الله..[1]

وقال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد فى سبيل الله»[2].

(١) الحديث: أخرجه البخارى فى الأدب وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٣٢ (حلبى).

(٢) الحديث: أخرجه الترمذى فى الإيمان ٨ وفضائل الجهاد ٢٢ وابن ماجه فى الفتن ١٢ وأحمد بن حنبل فى المسند ٥: ٢٣١، ٢٤٦ (حلبى) ٣ والحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإمارة ٢٩ باب فضل الشهادة فى سبيل الله ١١٠ (١٨٧٨) بسنده عن أبى هريرة قال: قيل للنبى- ﷺ - ما يعدل الجهاد فى سبيل الله..؟ قال وذكره. وأخرجه البخارى فى الجهاد والترمذى فى فضائل الجهاد ١، ٢ والنسائى فى الجهاد ١٧.

وعندما قال الصحابة للنبى - ﷺ - ما يعدل الجهاد فى سبيل الله عز وجل..؟

قال ﷺ: لا تستطيعوه..؟

قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً. كل ذلك يقول: لا تستطيعوه.

وقال فى الثالثة: مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة. حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله تعالى، من هنا نعلم أسباب تخلف المسلمين وضعفهم.. لأنهم تركوا الجهاد.. الجهاد فى سبيل الله، والجهاد لحماية ثغورهم، والجهاد لتعمير أراضيهم. فلماذا تركوا الجهاد.. وأصبحوا فى ذيل القافلة.

الجهاد الذى يقول عنه الرسول - ﷺ - الجهاد ماضٍ منذ بعثنى الله تعالى لا ينقطع إلى يوم القيامة».

أنس بن مالك مع الخليفتين
أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما

روى محمد بن سعد عن موسى بن أنس أنه قال: لما استُخلف أبو بكر بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين- وهو فتى شاب- على السقاية. فدخل عليه عمر: فقال له: إنى أردت أن أبعث هذا الى البحرين.

فقال عمر: ابعثه فإنه لبيب كاتب.

فلما قبض أبو بكر الصديق- رضي الله عنه - وتولى الخلافة عمر قدم أنس من البحرين، فقال له عمر: هات يا أنس ما جئت به.

فقال أنس: يا أمير المؤمنين: البيعة أولاً..؟

فقال عمر: نعم. فبسط يده. فقال على السمع والطاعة ما استطعت.

ثم إن أنساً أخبره بما جاء به. وهو الظهر والمال. يعنى من الصدقة.

فقال له عمر: لنا الظهر ولك المال..؟؟

فقال أنس: إنه لأكثر من ذلك.

فقال عمر: وإن كان هو كذلك. فالمال لك، وكان المال أربعة آلاف. إنه العدل الذى يطلبه عمر، وهو القليل الذى يرضى به أنس، ولكن عمر يأبى إلا أن يعطيه الكثير. ويرضى الصاحبان الجليلان اللذان تربيا فى مدرسة الإسلام وكل منهم يبغى الخير لأخيه ولصالح المسلمين جميعاً.

أنس بن مالك والحجاج

دخل يوماً أنس بن مالك على الحجاج وهو أمير الكوفة. فلم يسترح إليه وعرَّض به فى المجلس.

فكتب أنس إلى عبد الملك بن مروان قائلاً: يا أمير المؤمنين إنى قد خدمت محمداً - ﷺ - تسع سنين- وإن الحجاج يفضُّ بى حركة البصرة فقال عبد الملك لغلامه: اكتب إلى الحجاج معنفاً وقل له: إذا جاءك كتابى هذا فقم إلى أنس حتى تعتذر إليه.

قال الرسول- فلما جئت إلى الحجاج وقرأ الكتاب ثم قال: إن أمير المؤمنين كتب به هكذا..؟

قلت: أى والله والذى كان فى وجهه أشد من هذا.

فقال الحجاج: سمعاً وطاعةً لأمر أمير المؤمنين- ثم هم بالذهاب إلى أنس للاعتذار إليه.

إن خادم رسول الله وصاحبه- يستحق كل خير وتقدير- فهو الخادم الأمين- والصاحب المخلص، وكاتم سرِّ رسول الله - ﷺ - طوال عشر سنوات والمجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله.

أنس فى أخريات حياته ووفاته..

يقول أبو جعفر: رأيت أنساً يأكل فرأيته يلقم لقماً كباراً، ورأيت به وضحاً وكان يتخلق بالخلوق.

وقال أبو اليقطان: مات لأنس فى الطاعون الجارف ثمانون ابناً ويقال سبعون، وضعف أنس عن الصوم يوماً فصنع جفنة من ثريد، ودعى بثلاثين مسكيناً إليها فأطعمهم.

لقد أصيب فى ولده، وأصيب فى جسمه، ولكنه لم ينس يوماً لم يقدر على صومه- حتى يقدم كفارته لفقراء المسلمين- وكان دائماً ذاكراً لله ومسترجعاً وتالياً لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

ثم يزرف الدموع الغزار: ويقول: إن ربى يصلى علىَّ، ويذكرنى برحمته ويصفنى بأننى من المهتدين.

وفــاتــه

قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾[3].

وعندما حضرته الوفاة أخذ يكرر «لا إله إلا الله» حتى فاضت روحه إلى بارئها.

ومات وهو ابن مائة وسبع سنين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) سورة الرعد آية رقم ٣٨.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٥٤.



تــذيـــل

مجتمع الصلاة
فى منهج الإسلام

مجتمع الصلاة فى منهج الإسلام

لقد كان من وصايا الرسول- ﷺ - لأنس: المحافظة على الصلاة، والقيام بها فى أوقاتها- لأنه إذا وجدت الصلاة وجد المجتمع الإسلامى المترابط.

نقول ذلك لأن مجتمع الصلاة لا يعرف الغربة، مجتمع لا يوجد فيه الغريب أو الدخيل، حتى ولو كان من بلاد بعيدة، أو من غير هذا الوطن وكيف يكون غريباً والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (١).

والصلاة أقرب السبل إلى التعارف، وأنجح الوسائل فى إشاعة المحبة بين الناس، وفى تقريب قلوبهم، وإلغاء الحدود بين أوطانهم.

ومجتمع الصلاة: لا يعرف التنازع ولا يرضى التدابر، ويقضى على مسافات الخلف بين أفراده، رغبة فى وجود المجتمع المتماسك وحفاظاً على كيانه وقوته.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (٢).

وكيف يتنازعون وقلوبهم مليئة بذكر الله..؟

وكيف يختلف المصلون ودستورهم واحد..؟

إن القلوب المتنافرة: هى القلوب التى لا تذكر الله.

والقلوب المتنازعة هى القلوب المنحرفة عن هدى الله.

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤٦.

أما قلوب المؤمنين فهى مطمئنة قال تعالى:

﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١).

مجتمع الصلاة مجتمع جاد لا يعرف العبث، يقظ لا ينام إلا قليلاً قال تعالى:

﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢).

مجتمع الصلاة: تكون له دائماً رغبة فى العلم، فهو دائماً يفتش عن المعرفة ويضرب فى فجاج الأرض للوصول إليها.

«اطلب العلم ولو بالصين».

وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

يقول الرسول- ﷺ - فيما يرويه عبد الرحمن بن عوف الزهرى.

قال: سمعت معاوية يخطب قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطى. ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، وحتى يأتى أمر الله».

مجتمع الصلاة: نظيف اليد والقلب.

مجتمع الصلاة: طاهر الظاهر والباطن. أبعد ما يكون عن أمراض القلب. من الحقد والغل والحسد، والتجسس والغيبة والنميمة لأنه أنس يحب الله تعالى، يقول سبحانه فى محكم كتابه:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾(٤).

وطاهر الظاهر: لأنهم يتطهرون خمس مرات فى اليوم، عن عقبة بن عامر الجهنى- رضي الله عنه -قال:

«كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتى أرعاها فروحتها بالعشى،

---

(١) سورة الرعد آية رقم ٢٨.

(٢) الذاريات آية رقم ١٨. (٣) سورة الحجرات آية رقم ٤٧.

فأدركت رسول الله - ﷺ - قائماً يحدث الناس وأدركت من قوله:

«ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقوم فيصلى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة.

فقلت: ما أجود هذا..؟

فإذا قائل بين يدى يقول: التى قبلها أجود.

فنظرت فإذا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - فقال: إنى رأيتك قد جئت آنفاً.

قلت: نعم.

قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء أو يسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»(١). إن مجتمع الصلاة يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تتحرف قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٢).

ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٣).

من هنا كان مجتمع الصلاة مجتمعاً طاهراً.

ومجتمع الصلاة قد تجد فيه الفقير ولكن لا تجد المحتاج، قد تجد من قتر عليه فى الرزق، ولكنك لا تجد المتسول، تجد فيهم الأغنياء، ولكن لا تجد

(١) الحديث رواه الإمام مسلم رقم ٢٣٤ فى الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، وأبو داود رقم ١٦٩ و ١٧٠ فى الطهارة باب ما يقول الرجل إذا توضأ، والترمذى رقم ٥٥ فى الطهارة باب ما يقال بعد الوضوء، والنسائى ١: ٩٢- ٩٣ فى الطهارة باب القول بعد فراغ الوضوء.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٥. (٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

فيهم مظاهر الشح والبخل، فهم كرماء أوفياء يعالجون مرضاهم بالصدقة، وينمون أموالهم بالزكاة، ويكفرون عن ذنوبهم بالإحسان. قال تعالى:

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(١).

ومجتمع الصلاة: مجتمع النظام والطاعة، مجتمع الصدق والعفة، مجتمع لا يعرف الفوضى، لأنه يخطط لمستقبله فلا يعرف الارتجالية ولا الطفرة فى إنجاز الأمور قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾(٢).

وهو مجتمع مطيع لا يعرف العصيان أو التمرد، والخروج على أمر الحاكم التزاماً بقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٣).

وكيف يخرج هذا المجتمع على الحاكم وهو الذى اختاره..؟

وكيف يشق عصا الطاعة وقد ارتضاه..؟.

وكيف يطالب بالثورة على حاكم الأمة وهو خادمها..؟

قال وائل بن جعفر- رضي الله عنه - سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ﷺ فقال:

«يا نبى الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا..؟

فأعرض الرسول عليه السلام.؟؟

ثم سأله: فأعرض عنه، ثم سأله فى الثانية أو فى الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس فقال: اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٨.
(٢) سورة آل عمران آية رقم: ١٩٥.
(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩.

حملتم»(١).

والحاكم فى مجتمع الصلاة لم يتسلق إلى الحكم بدعاية كاذبة أو أهواء مغرضة ولم يطلب الحكم لنفسه، وإنما طُلب له، ولم يتسلق إلى السلطة اعتماداً على وجاهة قريب، أو خدعة أريب.

مجتمع الصلاة: مجتمع العزة والكرامة، لا تحتل أرضه، ولا تستعمر بلاده ولا يرضى بالدنية من العيش، ولا يقبل الخضوع لإنسان. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

مجتمع الصلاة لا تحيط به النكبات، ولا تحل به المصائب، فإن حلت به هرع إلى الصلاة، وإذا دهمته الخطوب اتجه إلى الله، ومن يقدر على كشف الضر سواه..؟؟ قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

ولقد كان الرسول - ﷺ - إذا أحاطت به النكبات يقول: «أرحنا بها يا بلال » يدعوه إلى إقامة الصلاة.

روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية قال: انطلقت أنا وأبى إلى صدر لنا من الأنصار نعوده، فحضرت الصلاة، فقال لبعض أهله يا جارية ائتونى بوضوء لعلى أصلى فأستريح.

قال: فأنكرنا عليه ذلك.

فقال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: قم يا بلال فأرحنا بالصلاة..؟؟

فهنا العز الذى لا ذل معه، والقوة التى لا ضعف فيها، والأمن الذى لا يلابسه خوف ولا وجل ولا اضطراب.

(١) الحديث رواه الإمام مسلم رقم ١٨٤٦ فى الإمارة باب فى طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق والترمذى رقم ٢٢٠٠ فى الفتن باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل.

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٨.

(٣) سورة النمل الآيات ٦٢- ٦٣.

إن الصلاة بهذا التصور هى أعظم طاقة للتحرر، تحرر الفرد، وتحرر الجماعة، ولذا كانت وسيلة النصر الأولى إنما تكمن فى الصلاة ولقد أقامها الرسول - ﷺ - فى ميدان القتال قال تعالى:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾(١).

فالصلاة لا تسقط فى سفر، ولا تتعطل فى مرض، ولا تتوقف فى ميدان القتال.

الصلاة فى السلم دعامة الأمن والاطمئنان، ووسيلة لإشاعة المحبة والتعاون فى المجتمع.

والصلاة فى ميدان القتال طريق إلى النصر وقوة ضاربة لدحر الأعداء وهزيمة المعتدين.

والصلاة فى المرض مدعاة إلى الشفاء.

والصلاة فى السفر مطية الوصول إلى الهدف وتحقيق الغرض.

والحياة فى حاجة إلى رجال أحرار لا يسجدون لغير الله، ولا يخضعون إلا لحكمه، رجال أحرار لا تستبد بهم شهوات نفوسهم ولا تستعبدهم إرادة الجبارين.

وهؤلاء هم الذين ينصَرون فى ميدان الحروب، لأنهم يرفضون الحياة فتوهب لهم الحياة. إنهم يبنون مجتمعاتهم على السلام والأمن.

مجتمع، يرى أن الصلاة مفرق الطريق بين الهدى والضلال فلا خير فيمن لا يصلى، لأنه عبد نفسه، وعبد شهواته، ولا ثقة فيه.

نقول: لا ثقة فيه لأنه قطع ما بينه وبين الله فكيف يصل ما بينه وبين الناس..؟

ومن لا خير فيه لربه، لا خير فيه لنفسه، ولا لمجتمعه ولا للناس أجمعين

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢.

مجتمع الصلاة فى أمة الإسلام ينحى التاركين للصلاة عن مراكز القيادة ومن مواقع العمل الجادة، لأنهم لا يحتكمون إلى ربهم بل إلى شهواتهم.

وهذه حقيقة يجب أن ننتفع بها عند عودتنا إلى ساحة الإيمان وذلك بأن ننظر إلى الأشخاص من خلال معرفتهم لربهم، ومن واقع إيمانهم. ونضع هذه المرشحات فى المرتبة الأولى. ثم معها العلم والخبرة التى ترشح لتلك الوظيفة.

أداء الصلاة: وسيلة للترشيح لمناصب الدولة، لأن المناصب القيادية فى مجتمع الصلاة لن تكون لكل جرئ العين فارغ القلب.

لن تكون لكل من يجيد فن التملق والوصول.

إن حكام المسلمين يجب أن يكونوا من الرجال الأقوياء: الأقوياء فى أبدانهم حتى لا يملأ الهلع نفوسهم إذا أحاطت بهم الخطوب.

والأقوياء فى عقولهم حتى لا يلقوا ببلادهم ومصائرهم فى قبضة الأعداء نتيجة لطفرة فى الرأى، أو عجالة فى التفكير.

أقوياء فى أرواحهم فلا تغرهم الدنيا، ولا يحرصون على حطامها الفانى.

الحاكم فى مجتمع الصلاة: رجل يؤمن بالله ويغرس الإيمان فى المجتمع.

رجل يصلى لنفسه ويؤم الناس فى الصلاة.

رجل يخرج زكاة ماله ويشرف على جمعها من الآخرين.

رجل يصوم رمضان ويرقب حرمة الشهر فى أرجاء المجتمع.

الحاكم فى مجتمع الصلاة: يؤمن بأن الإسلام عقيدة فى القلب، وقانون فى الحكم، وقواعد فى الأخلاق، ونظام فى المجتمع، ورباط بين أتباعه.

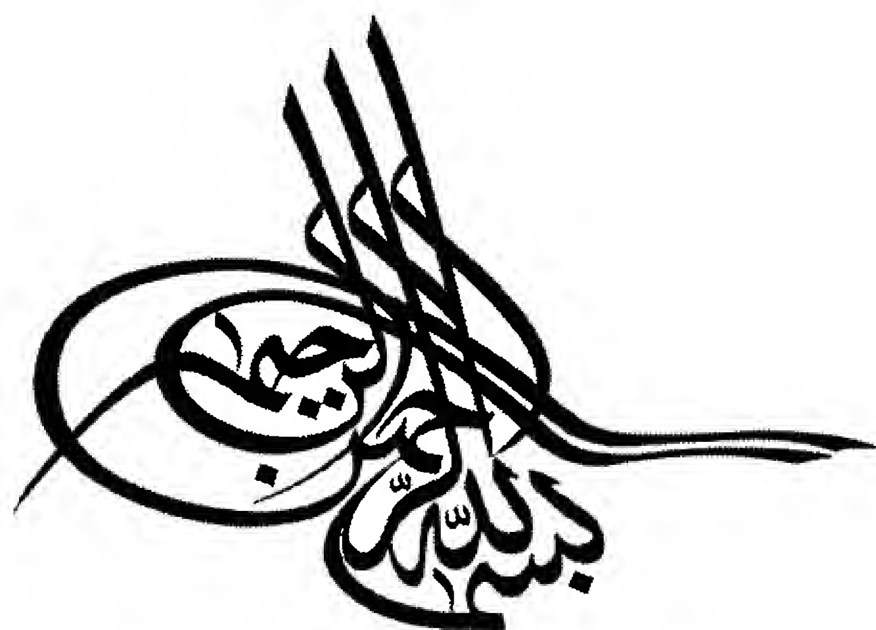
فهل يوجد مثل هذا الحاكم فى الأمة الإسلامية..؟

نرجو من الله تعالى أن يوجد.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء..؟؟

عبد الله بن عمر بن الخطاب

رضى الله عنهما


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

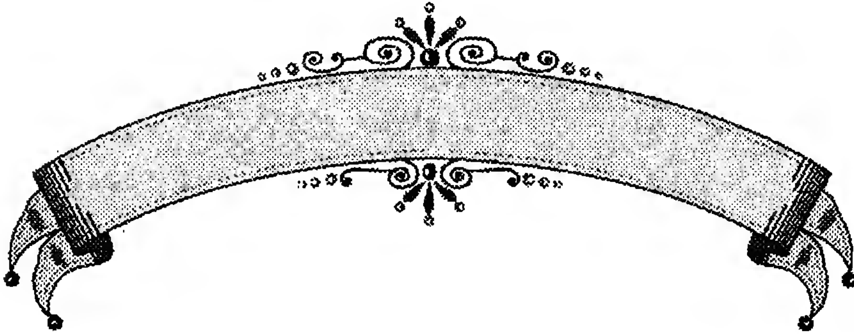
(السجدة: ١٦)

أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال الحسن ومجاهد نزلتفى المتهجدين الذين يقومون الليل.

وقال أنس بن مالك: نزلت فينا معاشر الأنصار وقال آخرون نزلت فى عبد الله بن عمر بن الخطاب لحديث الرسول- ﷺ- مع حفصة بنت عمر رضي الله عنها إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل. فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل.

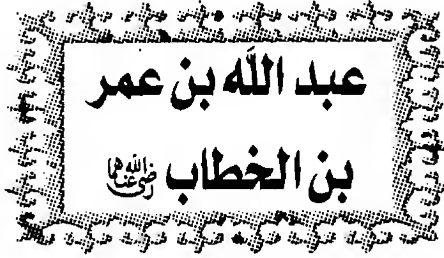
فمن هو عبد الله بن عمر بن الخطاب..؟



قال الرسول- ﷺ - لزوجه حفصة بنت عمر ﵄
إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل..؟؟
فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل.

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب
٣: ٩٥١


عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
حياته ونشأته



حياته ونشأته

العابد القانت، المتبتل، العالم الفقيه المتبحر، الفار إلى ربه، والمهاجر إلى مولاه. ذلكم عبد الله بن عمر بن الخطاب.

والده: عمر بن الخطاب- رجل خلقه الله تعالى من معدن الرجولة. وشجاع أرهب الصناديد والأبطال.

وخاشع لربه متبتل فى محرابه حتى قالت عنه أم أبان بنت عتبة بن ربيعة:

«إنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه كأنه ينظر لربه بعينيه». وأمه بنت مظعون بن حبيب بن وهب أخت عثمان بن مظعون، وكانت من المهاجرات العابدات.

وخاله: عثمان بن مظعون: قال سعد بن أبى وقاص- رضي الله عنه - ردَّ رسول الله عليه وسلم- التبتل على عثمان بن مظعون، ولو أذن له لاختصينا، وكان عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة، وقد كان هو وعلى بن أبى طالب وأبو ذر الغفارى- رضي الله عنهم- هموا أن يختصوا فنهاهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ونزلت فيهم:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

(١) سورة المائدة آية رقم ٩٣.

وأخته: حفصة التى أراد عمر- رضي الله عنه - أن يزوجها لعثمان أو لأبى بكر ولكن أحدهما اعتذر والآخر سكت ولم يتكلم- فانطلق عمر إلى الرسول - ﷺ - يشكوهما إليه. وعندما مثل أمامه قال:

قد زوج الله عثمان خيراً من ابنتك، وزوج ابنتك خيراً من عثمان».

وأشرقت فى خاطر عمر لمحة مضيئة أيتزوج رسول الله - ﷺ - من ابنته..؟ إن هذا لشرف لم تتطاول إليه أمانيه.

أتتزوج أم كلثوم بنت الرسول - ﷺ - من عثمان- نعم فهذه خير من حفصة وصدق رسول الله- ﷺ -.

وتتزوج حفصة رسول الله - ﷺ - فهذا خير من عثمان- ونهض إلى الرسول- ﷺ - يصافحه مهللاً- وقد زال عنه ما كان يجد من مهانة الرفض، وخرج مسرعاً يزف إلى ابنته، وإلى أبى بكر، وعثمان، وإلى المدينة كلها بشرى الخطبة المباركة.

نشأ عبد الله بن عمر على بطحاء مكة، ولما شب عن الطوق عرف مسالكها ودروبها. وكان شديد التعلق بالكعبة. يذهب إليها دوماً مع لداته وأترابه ليستمتعوا بما فيها من تماثيل وأصنام. يخاطبونها فلا ترد لهم خطاباً ويضاحكونها فلا ينفرج لها ثغر، وينزلون عليها باللائمة. فلا تدفع قذفاً ولا ترد عليهم شتماً، ويستمرون على هذا العبث اللذيد، حتى شاهدهم أحد سدنة الأصنام. فينزل عليهم باللائمة مرة، ويخوفهم غضب الآلهة ونزول عقابها عليهم أخرى. ثم ينصرفون إلى خارج البيت تسبقهم ضحكاتهم المجلجلة، وعبث أيديهم التى لا تترك شيئاً مستقرّاً فى مكانة- إلا شوهت ملامحه، أو زحزحته عن مكانه.

وعندما أوحى إلى محمد الأمين. كان عبد الله بن عمر وبعض أترابه يذهبون إلى مجلسه، ويستمعون إلى حديثه الذى يريح قلوبهم، ويملأهم بالفرحة والحبور، وإن كانوا لا يفهمون بعض المعانى، ولا تستوعب عقولهم

الغضة كل ما يقول.

وكان عبد الله وأترابة كثيراً ما يرددون الشهادة خلف رسول الله - ﷺ - وتلتقط عقولهم بعض آيات الوحى المتتابع. ويرددونها فى تجمعاتهم. ويتبتلون بها فى جلساتهم.

حتى جاء يوم أفتقدوا فيه الرسول - ﷺ - وساروا يبحثون عنه فى الأماكن التى اعتادوا أن يروه فيها- حتى ساقتهم أقدامهم إلى منزل عمه العباس بن عبد المطلب. الذى ألقى لهم بخبر هجرته إلى يثرب- ليكون فى أمان من كيد المشركين. وسهام الحاقدين. ويعمل على نشر دعوته، وإبلاغ رسالته التى أوحى بها إليه ربه إلى الناس كافة.

وحزن عبد الله حزناً شديداً ولفته الكآبة، وقبع فى المنزل، يفكر ويدبر كيف الوصول إلى يثرب..؟ أما يستطيع الوصول إليها مشياً على قدميه؟ عندها لمعت فى ذهنه فكرة، لماذا لا يستشير فى هذا العباس بن عبدالمطلب؟

لا شك أن عنده الخبر اليقين لذلك..

وما كاد يصل إلى هذا الحد من التفكير، حتى هب من مكانه، وأسرع فى مشيته إلى بيت العباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه -.

ثم ناداه يا عماه- وخرج العباس مسرعاً إليه- ووضع عبد الله أمام العباس جملة حاله، وعزمه بالهجرة إلى يثرب ليكون قريباً من رسول الله ﷺ وطيب العباس خاطره، وأمهله بضعة أيام حتى يلحقه بالقافلة المتجهة إلى يثرب. ويزوده ببعض ما يحتاجه المسافر فى هذه الرحلة

وما هى إلا أيام قليلة حتى كان عبد الله بن عمر وبعض أترابه الصغار من شباب مكة فى مجلس الرسول- ﷺ - يعبون من نبعه ويتفقهون فى شرعة، وينضمون إلى كتيبة الإيمان التى سيكون لها دور كبير، فى نشر دين الله، وتطهير الأرض من عصابات الشرك والكفر حتى تتجه البشرية إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.

وأخبر العباس عمر بن الخطاب بهجرة ابنه عبد الله إلى يثرب. وتساءل عمر ماذا بقى له من مكة بعد هجرة الرسول - ﷺ - وابنه عبد الله وقرر أمراً لابد من اللحاق بهما.

روى على بن أبى طالب- رضي الله عنه - قال:

ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لما همَّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى من يده أسهماً ومضى قِبَلَ الكعبة- والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ثم أتى المقام فصلى، ثم وقف على جماعتهم واحدة واحدة فقال لهم:

شاهت الوجوه. لا يرغم الله إلا هذه المعاطس. من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده، أو يُرمَّل زوجته؛ فليلقنى وراء هذا الوادى.

قال عليٌّ: فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم، ثم مضى لوجهه»(١).

ولحق بعمر أهله وذووه بالمدينة، وفرح عبد الله فرحاً كبيراً بهجرة أبيه وطاب لهما المقام بجوار رسول البشرية- سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ وكان عبد الله بن عمر يتابع مجالس الرسول- ﷺ - فإذا فرغ من ذلك اتجه إلى ساحة التدريب التى أعدت لتدريب الشباب على استعمال السيف، وركوب الخيل والانقضاض على عدو الله، والانتصار فى المعارك.

ثم حشدت قريش جيشها وركبت رأسها، وتحالفت مع قبائلها لحرب رسول الله- ﷺ - وخرج جند الله لمقابلة عصابات الكفر والشرك وأنزلوا بهم الهزيمة الساحقة وفروا هاربين أمام فرسان مدرسة النبوة ونزل قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

(١) راجع أسد الغابة ٤: ٥٨.

وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(١) .

ثم كانت غزوة أحد أرادت قريش أن تأخذ بثأرها من المسلمين فعبأت جيشها وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مئتا فرس، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وتقدم جند الإسلام لينضموا إلى صفوف المجاهدين، وتسارع شباب الإسلام ليجيزهم رسول الله - ﷺ - حتى يحملوا السلاح ويستعدوا ليوم المعركة.

فلم يجز الرسول - ﷺ - أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، والبراء بن عازب ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.. عن نافع عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: عرضت على رسول الله - ﷺ - يوم بدر وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فردني، وعرضت عليه يوم أحد، وأنا ابن أربع عشرة فردني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فقبلني».

(١) سورة آل عمران الآيات من ١٢٣- ١٢٦.

عبد الله بن عمر فى غزوة الخندق

يقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - خرج زعماء اليهود من المدينة واتجهوا إلى قريش وحلفائها يحرضونهم على قتال الرسول - ﷺ - وقالوا لهم إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه..؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.

عبدة الأصنام الذين يعبدون الشجر والحجر، ويعظمون الكواكب والنجوم يكون دينهم خير ممن يعبدون: الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد.؟

ولكنهم اليهود قديماً وحديثاً الذين عبدوا العجل والذهب من دون الله تعالى. عندها أنزل الله فيهم قرآناً يتلى قال الله:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾(١).

إلى قوله تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(٢).

يقول عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - وحفرنا- بأمر الرسول- ﷺ - الخندق- ثم أقبلت قريش وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد، وخرج الرسول - ﷺ - فى ثلاثة آلاف مقاتل.

ثم جاءت جحافلهم حتى وقفوا قريباً من الخندق- وتعجبوا منه وقال بعضهم لبعض إن هذه والله لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

(١) سورة النساء آية رقم ٥١. (٢) سورة النساء آية رقم ٥٤.

ثم خرج المشرك عمرو بن عبد ود مُعَلَّماً- أى وضع على رأسه علامة ليعرف بها ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز..؟

فبرز له على بن أبى طالب-رضي الله عنه - فقال له: يا عمرو: إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه.

قال: أجل.

قال على: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

قال: لا حاجة لى بذلك.

قال: فإنى أدعوك إلى النزال.

فقال له: لم يا بن أخى..؟ فوالله ما أحب أن أقتلك..؟؟

قال له على: لكنى والله أحب أن أقتلك.

فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علىٍّ فتنازلا وتجاولا فقتله على-رضي الله عنه -.

وخرجت خيل المشركين منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة عندها قال الإمام على-رضي الله عنه - شعراً:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه
ونصرت رب محمد بصوابى
فصددت حين تركته متجندلاً
كالجزع بين دكادك وروابى
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب(1)

يقول حذيفة بن اليمان: والله لقد رأيتنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالخندق

(1) راجع سيرة ابن هاشم ٣: ٢٢٥ ط مؤسسة علوم القرآن، ومتجندلاً: لاصقاً بالأرض.
والدكادك: الرمل اللين. والروابى: المكان المرتفع.

وقد مضى جزء من الليل- وقد أرسل الله على المشركين ريحاً عاصفة. عندها قال الرسول- ﷺ - من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم- ثم يرجع يشرط له رسول الله - ﷺ - الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة..؟

يقول حذيفة: فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد..؟؟ فلما لم يقم أحد، دعانى رسول الله - ﷺ - فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى. فقال يا حذيفة، اذهب فادخل فى القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا».

قال: فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء.

فقال أبو سفيان: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه..؟

قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى.

فقلت: من أنت..؟ قال: فلان ابن فلان.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار قرار، لقد هلك الكراع[1] والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإنى مرتحل.

ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله- ﷺ - إلىَّ: ألا تحدث شيئاً حتى تأتينى لرميته بسهم فقتلته.

ثم عاد حذيفة إلى رسول الله - ﷺ - وهو قائم يصلى فى مرط[2] لبعض نسائه.

(١) الكراع: الخيل، والخف: الإبل.

(٢) المرط: الكساء.

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد فلم سلَّم أخبرته الخبر(1). ونصر الله المسلمين وجنده نصراً مؤزراً وأنزل الله تعالى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

إلى قوله تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(2).

يقول عبد الله بن عمر: كنا نتمنى شباب المسلمين- أن يتم الاشتباك بيننا وبين عصابة الكفر حتى نستأصل شأفتهم، ونطهر الأرض من رجسهم وضلالهم ولكن الله سبحانه وتعالى تولى عن عباده هذه المهمة، فأرسل عليهم بعض جنوده من الرياح والصواعق. فملأت قلوبهم روعاً وخوفاً فولوا هاربين كما تفر الجرذان من الصياد تلحق بجحورها.

وصدق ربى فى قوله:

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(3).

قال الرسول- ﷺ - لن تغزوكم قريش بعد هذا ولكنكم تغزونهم».

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير والكامل لابن الأثير جـ2 ص ١٢٦.

(2) سورة الأحزاب الآيات من ٩ - ٢٥. (3) سورة الأحزاب الآية رقم ٩.

اعتداء يهود خيبر على عبد الله بن عمر

قال ابن إسحاق، وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا. قال فعدي عليَّ في جنح الظلام وأنا نائم على فراشي ففدعت[1] يداي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ عليَّ صاحباي فأتياني فسألاني من صنع هذا بك..؟

فقلت: لا أدري.

قال: فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقال هذا عمل يهود. ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أن نخرجهم إذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه،- كما قد بلغكم- مع اعتدائهم على الأنصار قبله، لا نشك أنهم هم المعتدون، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج يهود، فأخرجهم»[2].

(١) فدعت يداه: أي أزيلت مفاصلها عن أماكنها.

(٢) راجع سيرة ابن هشام جـ ٣ ص٧٣.

عبد الله بن عمر فى فتح مكة..

أمر الرسول- ﷺ- الجيش بالتجهز إلى جهة لم يذكرها- حتى يعمى العيون عن قريش- والسبب فى ذلك أن قريشاً اعتدت على حلفاء الرسول ﷺ- حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن[1] فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد اجتمع له كافة الناس فى المسجد. فقام وقال:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة[2] أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه دية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها.

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [3].

ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم..؟

قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فأين عبد الله بن عمر- فى هذا النصر الكبير والفتح المؤزر.؟ إنه يتابع خطوات الرسول - ﷺ- خطوة بعد خطوة ولحظة بعد لحظة لقد دخل رسول الله - ﷺ- الكعبة ومعه بلال للصلاة بداخلها ثم خرج رسول الله -

(١) المحجن: العصا المعكوفة.

(٢) الخصلة الحميدة التى تتوارث ويتحدث الناس بها.

(٣) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

ﷺ - وتخلف بلال.. عندها دخل عبد الله بن عمر على بلال فسأله:

أين صلى رسول الله - ﷺ -؟ ولم يسأله كم صلى.

فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاثة أذرع ثم يصلى، يتوخى بذلك الموضع الذى قال له بلال أن رسول الله - ﷺ - قد صلى فيه.

عبد الله بن عمر يعترض على خالد قتله رجالاً من قبيلة بنى جزيمة

بعث رسول الله- ﷺ - خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بنى جزيمة بن عامر بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا. قال رجل من بنى جزيمة لما أمرنا خالد أن تضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بنى جزيمة إنه خالد.

والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا القتل وضرب الأعناق والله لا أضع سلاحى أبداً.

قال: فأخذه رجال من قومه. فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا..؟

إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد.

قال فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم.

فلما انتهى الخبر إلى الرسول - ﷺ - رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد».

ثم قال الرسول- ﷺ - هل أنكر عليه أحد..؟

قال الرجل: نعم. قد أنكر عليه رجل أبيض ربعه فزجره خالد وطال بينهما الكلام فسكت عنه.

وأنكر عليه رجل آخر طويل ليس مستوى الخلق فراجعه فاشتدت مراجعتهما فقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - أما الأول يا رسول الله فهو ابنى عبد الله بن عمر وأما الثانى فسالم مولى أبى حذيفة.

عندها دعا رسول الله - ﷺ - على بن أبى طالب- رضوان الله عليه- فقال يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك.

فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله - ﷺ - فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب، حتى إنه لم يبق شىء من دم ولا مال إلا واداه، وبقيت معه بقية من المال.

فقال لهم: هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم..؟

قالوا: لا.

قال: أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله - ﷺ -، مما يعلم ولا تعلمون. ففعل. ثم رجع إلى الرسول- ﷺ - فأخبره الخبر.

فقال: أصبت وأحسنت.

قال: ثم قام رسول الله - ﷺ - فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى مما تحت منكبيه يقول:

«اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات».

عبد الله بن عمر وسبايا هوازن

نزل رسول الله- ﷺ - الجعرانة ومعه من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدته. فقال له رجل من أصحابه يا رسول الله ادع عليهم..؟؟

فقال رسول الله- ﷺ - اللهم اهد ثقيفاً وآت بهم.

ثم إن رسول الله - ﷺ - اعطى علىَّ بن أبى طالب- رضي الله عنه - جارية يقال لها - بطة بنت هلال، واعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو وأعطى عمر بن الخطاب جارية فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه قال عبد الله بن عمر بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها.

ثم إن وفداً من ثقيف أتوا رسول الله- ﷺ - وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فأمنن علينا منَّ الله عليك.

فقال رسول الله- ﷺ - : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟

فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا بل ترد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا.

فقال لهم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم. وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقولوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم.

فلما صلى رسول الله - ﷺ - بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به.

فقال رسول الله- ﷺ - وأما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم.

فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله- ﷺ -.

وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله- ﷺ -.

فقال الأقرع بن حباس: أما أنا وبنو تيم فلا.

وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا.

وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا.

فقالت بنو سليم- بلى ما كان لنا فهو لرسول الله - ﷺ -.

فقال رسول الله- ﷺ - أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان ست فرائض. فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم.

يقول عبد الله بن عمر: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون.

فقلت: ما شأنكم..؟

قالوا: رد علينا رسول الله- ﷺ - نساءنا وأبناءنا.

فرد ابن عمر التى كانت معه.

عبد الله بن عمر فى مجلس الرسول- رضي الله عنه

عن عطاء بن رباح قال سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم..؟

فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم. كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله- ﷺ - فى مسجده: أبو بكر، وعمر وعثمان، وعلى، وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأبو سعيد الخدرى، وأنا مع رسول الله- ﷺ - إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلم على رسول الله- ﷺ - ثم جلس.

فقال يا رسول الله - صلى الله عليك أى المؤمنين أفضل..؟

فقال: أحسنهم خلقاً.

قال: فأى المؤمنين أكيس..؟

قال: أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس. ثم سكت الفتى..؟؟

وأقبل علينا رسول الله- ﷺ - فقال: يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن: إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا[1] بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا الميزان والمكيال إلا أخذوا بالسنين[2] وشدة المؤنة وجور السلطان.

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم ما مطروا.

وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم،

(١) يعلنوا بها: يجاهروا بها. (٢) بالسنين: الجدب.

فأخذ بعض ما كان فى أيديهم.

وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى وتجبروا(١) فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم.

ثم أمر رسول الله- ﷺ - عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لقيادة سرية بعثه عليها. فأصبح وقد اعتم بعمامة سوداء فأدناه رسول الله - ﷺ - منه ثم نقضها ثم عممه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك. ثم قال: هكذا يا بن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه. فحمد الله تعالى، وصلى على نفسه ثم قال خذه يا ابن عوف، ثم قال:

«اغزوا جميعاً فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا(٢)، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم».

فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء. وخرج إلى دومة الجندل.

---

(١) تجبروا تعاظموا عن أن يحكموا بما أنزل الله وفى رواية «تحيروا».

(٢) لا تغلوا الأغلال الخيانة فى المغانم.

عبد الله بن عمر مع أبيه عمر بن الخطاب

كان عبد الله باراً بأبيه مطيعاً له، مشاوراً له فى أموره كلها، آخذاً نفسه بقول الله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(١).

وكان دائماً مرافقاً له فى حله وترحاله، فى ظعنه وإقامته، حج عبد الله ابن عمر مع أبيه عمر فأنفق عمر فى حجته ستة عشر ديناراً فقال: يا عبد الله بن عمر لقد أسرفنا فى هذا المال.

ستة عشر ديناراً عدها سرفاً. لأن عمر يرى ذلك من التبذير الذى وصف الله سبحانه وتعالى المبذرين بأنهم إخوان الشياطين. وهو يريد أن يكون بمنأى عن هذا الوصف.

ولم يمض على ذلك كبير وقت حتى يفيض المال وتحمل إلى بيت مال المسلمين كنوز كسرى وقيصر وغيرهما من خيرات البلاد المفتوحة، ويجلس عمر لتوزيع الفىء والغنائم.

يقول زيد بن أسلم: إن عمر بن الخطاب فضل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر. يقول عبد الله بن عمر فقال لى رجل: فضَّل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سناً ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد.

قال عبد الله: فقلت يا أمير المؤمنين فضَّلت علىَّ من ليس هو بأقدم منى سناً ولا أفضل منى هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم أشهد.

قال عمر: ومن هو..؟

(١) سورة الإسراء آية رقم ٢٣.

قلت: أسامة بن زيد.؟؟

قال: صدقت لعمر الله. فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله- ﷺ - من عمر. وأسامة بن زيد كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر، فلذلك فعلت(١).

ليس هذا فحسب: لقد كان عطاء سلمان الفارسى أربعة آلاف درهم وعطاء عبد الله بن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة.

فقلت: ما شأن هذا الفارسى؟

قالوا: إن سلمان الفارسى شهد مع رسول الله- ﷺ - ما لم يشهده ابن عمر- رضي الله عنهما (٢).

وصية عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

عن ليث عن رجل من أهل المدينة قال: أوصى عمر بن الخطاب عبد الله ابنه عند الموت فقال:

«يا بنى عليك بخصال الإيمان.

قال: وما هُنَّ يا أبت..؟

قال: الصوم فى شدة أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى، وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم وترك ردغة الخبال.

فقال: وما ردغة الخبال يا أبى..؟

قال: شرب الخمر.

إن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - فى وصيته هذه لعبد الله بن عمر إنما يغترف من هدى النبوة.

(١) راجع طبقات ابن سعد جـ٤ ص٢٢٠.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص٢٢٥.

إنه يأمره بالصوم فى اليوم الشديد الحر. امتثالاً لقول الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به».

وأمره أن يقتل أعداء الله المشركين به. من جنود إبليس بالسيف. لقوله تعالى:

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾(١).

وأمره بالصبر على المصيبة لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٢).

وأمره بإسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى: لقول الرسول- ﷺ - : «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات..؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط»(٣).

وأمره بتعجيل الصلاة فى يوم الغيم. كل الصلوات وخصوصاً الصلاة الوسطى صلاة العصر. لقول الرسول- ﷺ - يقول: تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً(٤).

وأمره بالبعد عن شرب الخمر. لأنها أم الكبائر ونجسة العين لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

(١) سورة التوبة آية رقم ٥. (٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٦.

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى أبواب الطهارة ٥١ بسنده عن أبى هريرة- رضي الله عنه - وقال الترمذى: حديث أبى هريرة حديث صحيح.

(٤) الحديث رواه الترمذى فى مواقيت الصلاة.

تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١).

إن هذه الوصية وصية جامعة. وإذا التزم بها المسلم- وواظبت عليها الأسرة المسلمة. وجد فى دنيا الناس المجتمع الذى يطبق شرع الله، ويحافظ على أداء الواجبات والبعد عن المنهيات وبذلك يتحقق فينا قول الله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

ثم ماذا بعد أن تمت المؤامرة التى دبرت بليل وخطط لها أعداء الإسلام ونفذها من ينتسبون إلى الإسلام. فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعندما أحسَّ بدنو أجله قال لابنه عبد الله.

«اذهب يا غلام إلى أم المؤمنين. فقل لها إن عمر يسألك أن تأذنى لى أن أدفن مع أخوى ثم أرجع إلىَّ فأخبرنى.

قال: فأرسلت أن نعم قد أذنت لك.

قال: فأرسل فحفر له فى بيت النبى- ﷺ -

قال عبد الله ثم دعانى أبى فقال: يا بنى إنى أرسلت إلى عائشة استأذنها أن أدفن مع أخوى فأذنت لى، وأنا أخشى أن يكون ذلك لمكان السلطان فإذا أنا مت فاغسلنى وكفنى ثم احملنى حتى تقف بى على باب عائشة فتقول هذا عمر يستأذن يقول إلخ.

فإن أذنت لى فادفنى معهما وإلا فأدفنى بالبقيع.

قال ابن عمر: فلما مات أبى حملناه حتى وقفنا به على باب عائشة فاستأذنها فى الدخول فقالت: ادخل بسلام.

عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية عن عائشة قالت:

(١) سورة المائدة الآيتان ٩٠، ٩١. (٢) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.

«مازلت أضع خماری واتفضل فی ثیابی فی بیتی حتی دفن عمر بن الخطاب فيه فلم أزل متحفظة فی ثیابی حتی بنیت بینی وبین القبور جداراً فتفضلت بعد.

رحم الله عمر بن الخطاب بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين- وإذا كان ذلك كذلك فما موقف عبد الله بن عمر بعد وفاة أبيه..؟

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر فی المبحث. وعلى الله قصد السبيل.

عبد الله بن عمر وقيام الليل

عن نافع عن ابن عمر قال:

«رأيت على عهد رسول الله- ﷺ- كأن بيدى قطعة إستبرق، وكأننى لا أريد مكاناً من الجنة إلا طارت بى إليه، قال ورأيت كأن اثنين أتيانى أرادا أن يذهبا بى إلى النار فتلقاهما ملك فقال: لا ترع فخليا عنى.

قال فقصت حفصة على النبى - ﷺ- رؤياى فقال رسول الله - ﷺ-.

«نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل».

قال: فكان عبد الله يصلى من الليل فيكثر.

إنه يقوم الليل إلا قليلاً التزاماً بقول الله تعالى. لنبيه:

﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ② نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (١).

عن نافع أن ابن عمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : كان إذا فاتته صلاة العشاء فى جماعة أحيا بقية ليلته بالصلاة والقيام.

· وعن أبى غالب مولى خالد بن عبد الله. قال: كان ابن عمر ينزل علينا

(١) سورة المزمل الآيات ٢- ٥.

بمكة فكان يتهجد من الليل فقال لى ذات ليلة قبيل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم فتصلى ولو تقرأ بثلث القرآن.

فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن؟

فقال: إن سورة الإخلاص- قل هو الله أحد- تعدل ثلث القرآن. إنه التهجد الذى أمر الله تعالى به رسوله فى قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (٢).

ولقد قام الرسول - ﷺ- حتى تورمت قدماه.

ومدح الله سبحانه وتعالى الذين يتهجدون ويستغفرون بالأسحار قال الله تعالى:

﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣).

هذا العابد القائد المتهجد يطلب منه الخليفة عثمان- رضي الله عنه- أن يتولى القضاء فى الدولة الإسلامية.

عن يزيد بن وهب أن عثمان قال لعبد الله بن عمر: أقض بين الناس. فقال عبد الله بن عمر: لا أقضى بين اثنين ولا أؤم اثنين. فقال عثمان: أتقضينى...؟

قال: لا. ولأنه بلغنى أن القضاة ثلاثة: رجل قضى بجهل فهو فى النار. ورجل جاف ومال به الهوى فهو فى النار.

ورجل اجتهد فأصاب فهو كفاف لا أجر له ولا وزر عليه.

فقال عثمان: فإن أباك كان يقضى.

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٩. (٢) سورة المزمل الآيات ١- ٥.

(٣) الذرايات: ١٧- ١٨.

فقال: إن أبى كان يقضى فإذا أشكل عليه شىء سأل النبى - ﷺ، وإذا أشكل على النبى سأل جبريل عليهما السلام وإنى لا أجد من أسأل.

ثم قال: أما سمعت النبى - ﷺ - يقول من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ..؟

فقال عثمان: بلى.

فقال: فإنى أعوذ بالله ألا تستعملنى فأعفاه وقال: لا تخبر بهذا أحداً.

لقد رفض القضاء حتى لا يقع فى ظلم أحد، ولأن القاضى يحكم بما يظهر له من دلائل وبينات أما الخفايا فيعلمها الله وحده، ولهذا قال الرسول ﷺ:

«إنكم تختصمون إلىَّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأنما أقضى لكم على نحو ما أسمع منكم فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة»(١).

(١) الحديث رواه الإمام البخارى فى الشهادات ٢٧ ومسلم فى الأقضية ٤ والترمذى فى الأحكام ١١-١٨ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٢٣ وابن ماجه فى الأحكام ٥ باب أقضية الحاكم لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ٢٣١٧.

عبد الله بن عمر وتلاوة القرآن

عن القاسم بن أبى بزة حدثنى من سمع ابن عمر- رضى الله تعالى عنه- قرأ قول الله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ - حتى بلغ- يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

قال: فبكى حتى خرَّ وامتنع عن قراءة ما بعده.

بكى لأنه تذكر يوم البعث، ويوم الحساب حيث يوم الناس- كل الناس- متجردين لرب العالمين متجردين من القوة والسلطان، متجردين من النفوذ والمال ليس لهم مولى يومئذ سواه، وليس بهم إلا التطلع لما يجريه عليهم من قضاء، وقد علموا أن ليس لهم من دونه ولى ولا نصير. إن مجرد الظن بأنهم مبعوثون لذلك اليوم كان يكفى ليصدهم عن التطفيف، وأكل أموال الناس بالباطل، واستخدام السلطان فى ظلم الناس وبخسهم حقهم فى التعامل.

ويقول نافع ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى وهما قوله تعالى:

﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٢).

ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد. يأخذ على النفس البشرية كل أقطارها ومنافذها.

وعن عثمان بن واقد عن نافع قال: كان ابن عمر- رضي الله عنهما - إذا قرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾(٣). بكى

(١) سورة المطففين الأيات من ١- ٦.

(٢) سورة البقرة الآيتان ٢٨٤- ٢٨٥.

(٣) سورة الحديد آية رقم ١٦.

حتى يغلبه البكاء.

ولقد كانت هذه الأية سبباً لتوبة الفضيل بن عياض(١) وابن المبارك(٢) رحمهما الله تعالى: ذكر أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسى قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق عن الحسن بن داهر قال: سئل عبد الله ابن المبارك عن بدء زهده قال: كنت يوماً مع إخوانى فى بستان لنا وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور فقمت فى بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السحر، وأراد سنان أن يغنى وطائر يصيح فوق رأسى على شجرة والعود بين يدى لا يجيبنى إلى ما أريد وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان- يعنى العود الذى بيدى- ويقول:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٣) .

قلت: بلى والله، وكسرت العود، وصرفت من كان عندى، فكان هذا بأول زهدى وتشميرى. ويقال إن الشعر الذى أراد ابن المبارك أن يضرب به.

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى أبو على، شيخ الحرم المكى من أكابر العباد الصالحين، كان ثقة فى الحديث أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعى ولد فى سمرقند عام ١٠٥هـ ونشأ بابيورد ودخل الكوفة وهو كبير ثم سكن مكة وتوفى بها عام ١٨٧هـ من كلامه: من عرف الناس استراح.

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات افنى عمره فى الأسفار حاجّاً ومجاهداً وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء كان من سكان خراسان، ومات بهيت بالفرات عام ١٨١هـ منصرفاً من غزو الروم له كتاب فى الجهاد وهو أول من صنف فيه، والرقائق فى مجلد.

راجع تذكرة الحفاظ ١: ٢٥٣ ومفتاح السعادة ٢: ١١٢ والحلية ٨: ١٦٢ وذيل المذيل ١٠٧.

(٣) سورة الحديد آية رقم ١٦.

ألم يأن لى منك أن ترحـمـا

وتعـصى العـواذل واللومـا

وترثى لصب بكم مـغـرم

أقـام على هجـركم مـأتما

يبـيـت إذا جنه ليله

يراعى الكواكب والانجـمـا

ومـاذا على الظبى لو أنه

أحل من الوصل ما حرما(١)

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدها ليلاً فبينما هو يرقى الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾(٢).

فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن، فآواه الليل إلى قرية فيها جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلاً يقطع الطريق.

فقال الفضيل: أواه أرانى بالليل أسعى فى معاصى الله، قوم من المسلمين يخافوننى: اللهم إنى قد تبت إليك وجعلت توبتى إليك جوار بيتك الحرام.

وعن الحسن بن عبد الله بن عمر قال: من كان مستناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد- ﷺ - كانوا خير أمة أخرجت للناس أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.

قوم اختارهم الله لصحبة نبيه- ﷺ - ونشر دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد- ﷺ - كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة.

(١) راجع تفسير القرطبى عند حديثه عن هذه الاية جـ ٩. (٢) سورة الحديد آية رقم ١٦.

يا ابن آدم صاحب الدنيا ببدنك، وفارقها بقلبك وهمك، فإنك موقوف على عملك، فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتك الخير.

يقول السدى: قال: رأيت عبد الله بن عمر وأبا سعيد، وأبا هريرة وغيرهم وكانوا لا يرون أن ليس أحد منهم على الحال الذى فارق عليه محمداً- ﷺ - إلا ابن عمر.

دعاء عبد الله بن عمر وتلبيته فى الحج

عن أيوب عن نافع عن ابن عمر- رضي الله عنهما - أنه كان يلبى تلبية النبى ﷺ ويزيد: لبيك لبيك، لبيك وسعديك، لبيك والخير فى يديك لبيك والرغباء إليك والعمل.

وعن نافع أن ابن عمر كان يدعو على الصفا ويقول:

اللهم اعصمنى بدينك وطواعيتك وطواعية رسولك، اللهم جنبنى حدودك اللهم اجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسولك، ويحب عبادك الصالحين(١).

اللهم: حببنى إليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين.

اللهم: يسرنى لليسرى، وجنبنى العسرى، واغفر لى فى الآخرة والأولى واجعلنى من أئمة المتقين.

اللهم: إنك قلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ٣٠٨. (٢) سورة غافر آية رقم ٦٠.

وإنك لا تخلف الميعاد.

اللهم: إذ هديتى للإسلام فلا تنزعنى منه، ولا تنزعه منى حتى تقبضنى وأنا عليه».

وعن نافع أنه قال: كان عبد الله إذا قدم المدينة أتى قبر النبى- ﷺ - فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له.

ثم أقبل على أبى بكر فاستقبل وجهه فصلى عليه ودعا له.

ثم أقبل على عمر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له. ويقول يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه».

إن الدعاء مخ العبادة، وأمر من الله تعالى فى قوله:

﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾(١).

إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه، ولم يقل: فقل لهم: إنى قريب إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال.. قريب.. ولم يقل أسمع الدعاء.. إنما عجل بإجابة الدعاء (أجيب دعوة الداع إذا دعان).

وفى ظل الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود، وهذه الاستجابة الموحية يوجه الله عباده إلى الاستجابة له والإيمان به، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح.

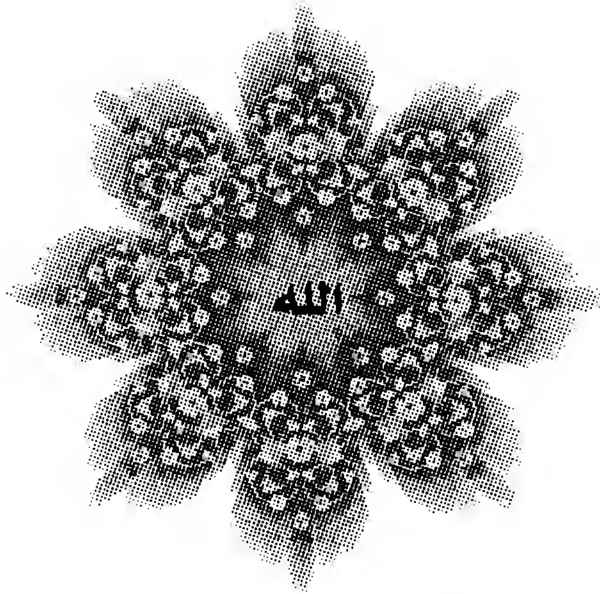
عن سلمان الفارسى- رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ - أنه قال:

«إن الله تعالى ليستحى أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين»(٢).

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥: ٤٣٨ (حلبى).

عن أبى ثوبان عن عبادة بن الصامت أن النبى - ﷺ - قال: ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعوا الله عز وجل بدعوة إلا أتاه الله إياها، أو كف عنه السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»(١).



(١) الحديث رواه الإمام مسلم فى كتاب الدعوات ٣٥٧٣- بسنده عن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله - ﷺ- يقول وذكره قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه.



تذييل

عبدالله بن عمر وموقفه من الفتنة الكبرى

عبد الله بن عمر
وموقفه من الفتنة الكبرى

من كان وراء الفتنة التى شتتت أمر المسلمين وفرقت جماعتهم..؟

أعنى الفتنة التى قتل فيها عمر بن الخطاب- رضي الله عنه ..؟

والفتنة التى قتل فيها عثمان بن عفان الطيب المطيب- رضي الله عنه - ..؟

والفتنة التى قتل فيها على بن أبى طالب فارس الإسلام ومجندل صناديد الشرك والكفر- كرم الله وجهه..؟

الفتنة التى لفت جماعة المسلمين فى ليل داج لفترة طويلة من الزمن، وتحولت فيها خلافتهم إلى ملك عضوض..؟

أكان ذلك لشىء فى طبيعتهم وجبلتهم..؟

محال أن يكون ذلك، لأن الطبيعة التى تقبلت القرآن الكريم وعملت به وطبقته على حياتها لا يمكن أن يصدر منها ذلك..؟

أكانت الفتنة من خارج بلادهم تعمل بحذر وحكمة للنيل من المسلمين وتوهين ملكهم وإضعاف شوكتهم.

وبذلك ينشغل هؤلاء الرجال بالجهاد فى الداخل عن الفتوحات فى الخارج؟

إن هناك دلائل كثيرة تشير إلى الأيادى الخفية التى كانت تعمل فى جنح الظلام بالدس والوقيعة لهذه الأسباب..

وإذا كان ذلك كذلك فما كان موقف عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- من الفتنة؟

هل انغمس فيها مع المنغمسين؟ هل حشد أتباعه وأنصاره وطالب بولاية أو خلافة؟

هل انضم إلى أحد الطامعين فى الخلافة ونصره على طامع آخر..؟

إن ما سجله المؤرخون عن هذه الفترة ينفون نفياً قاطعاً عن عبد الله بن عمر- اشتراكه فى الفتنة أو اقترابه منها. وكيف يفعل ذلك وصدره يعى تماماً قول الله تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾(٢).

عن يحيى عن نافع قال: لما قدم أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص أيام التحكيم فى معركة صفين قال أبو موسى- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: لا أرى لهذا الأمر غير عبد الله بن عمر.

فقال عمرو بن العاص لابن عمر: إنا نريد أن نبايعك فهل لك أن تُعطَى مالاً عظيماً على أن تدع هذا الأمر لمن هو أحرص عليه منك..؟

فغضب ابن عمر وقام من المجلس.

فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه وقال: يا أبا عبد الرحمن إنما قال تُعْطِى مالاً على أن أبايعك..؟

فقال ابن عمر: لا والله لا أُعْطَى عليها شيئاً ولا أُعْطِى، ولا أقبلها إلا عن رضا من المسلمين(٣).

وعن القاسم بن عبد الرحمن. أنهم قالوا لابن عمر فى الفتنة الأولى ألا تخرج فتقاتل..؟

فقال عبد الله بن عمر: قد قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفاها الله تعالى من أرض العرب. فأنا أكره أن أقاتل من يقول لا إله إلا الله.

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩١.   (٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٧.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ١ ص ٢٩٣- ٢٩٤.

قالوا: والله ما رأيك ذلك. ولكنك أردت أن يفنى أصحاب رسول الله ﷺ - بعضهم بعضاً حتى إذا لم يبق غيرك قيل بايعوا لعبد الله بن عمر بإمارة المؤمنين.

قال: والله ما ذلك فيَّ ولكن إذا قلتم حى على الصلاة أجبتكم.

وإذا قلتم حى على الفلاح أجبتكم.

وإذا افترقتم لم أجامعكم.

وإذا اجتمعتم لم أفارقكم[١].

إن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه -يرفض القتال بشدة،يرفض أن يشهر المسلم سلاحه فى وجه المسلم. إنه يرفض القتل جملة لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢] .

ويرفض التعاون على الإثم والتكالب على زخارف الحياة الدنيا والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣] .

ولهذا يقول عنه الصحابى جابر بن عبد الله: ما رأيت- أو ما أدركت أحداً إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر.

ويؤيد ما يقول الصحابى الجليل فى عبد الله بن عمر- ما يرويه عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال: «اجتمع فى الحجر مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر. فقالوا تمنوا:

فقال عبد الله بن الزبير أما أنا فأتمنى الخلافة.

وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عنى العلم.

(١) المصدر السابق ص ٢٩٤.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٢٢.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٢.

وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين.

وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة.

قال فنالوا كلهم ما تمنوا. ولعل ابن عمر قد غفر الله له.

قلنا قريباً من هذا: إن هناك دلائل كثيرة تشير إلى الأيادى الخفية التى كانت تعمل فى جنح الظلام بالدس والوقيعة لهذه الأسباب.

أم أن أسباب الفتنة ترجع أولاً وأخيراً إلى هؤلاء الرجال الثلاثة الذين كانوا يحيطون بالخليفة عثمان- رضي الله عنه - حتى أقام منهم ولاة ومستشارين ونعنى بهم:

١- مروان بن الحكم(١).

٢- الوليد بن عقبة بن أبى معيط.

٣- عبد الله بن سعد بن أبى سرح.

الحقيقة أن هذه الأسباب مجتمعة كانت من وراء الفتنة، وعملت على إشعال لهيبها واضطرام نارها.

ويطيب لنا أولاً أن نلقى بعض الأضواء على كبار الرجال الذين كانوا يحيطون بعثمان- رضي الله عنه.

أما أولهم وهو مروان بن الحكم: فإن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان قد نفى أباه الحكم إلى الطائف ومعه ابنه مروان، فلم يزل بها حتى ولى عثمان الخلافة فرده فقدم المدينة وتوفى فيها، فاستكتب عثمان مروان وكتب له، فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان- رضي الله عنه.

ونظر إليه على بن أبى طالب يوماً فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك

(١) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، ولد عام ٢هـ وتوفى عام ٦٥هـ. راجع الإصابة ت ٨٣٢٠ وأسد الغابة ٤: ٣٤٨ وابن الأثير ٤: ٧٤.

ومن بنيك.

وكان مروان يقال له خبط باطل.

أما الثانى فهو الوليد[1] بن عقبة من الطلقاء أسلم يوم فتح مكة، وقد بعثه النبى - ﷺ - مصدقاً إلى بنى المصطلق، فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة فأرسل إليهم النبى ﷺ خالد بن الوليد فوجدهم على الإسلام لم يغيروا شيئاً.

وفى هذه الحادثة نزل قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2] .

وفى خلافة عثمان- رضي الله عنه - تولى إمارة الكوفة، وكان عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه - على بيت مال الكوفة فاستقرض من بيت المال مالاً.

فأقرضه ابن مسعود إياه.

فلما طالبه ابن مسعود بما اقترضه ، مرة ومرة كتب إلى عثمان يشكو ابن مسعود وإلحاحه فى طلب ما اقترض من بيت المال.

فكتب عثمان إلى ابن مسعود: إنما أنت خازن لنا فلا تتعرض للوليد فيما أخذ من المال أو اقترض.

فطرح ابن مسعود مفتاح بيت المال وقال: كنت أظن أنى خازن للمسلمين فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لى فى ذلك..؟

وبقى ابن مسعود فى الكوفة.

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط، فيه ظرف ومجون، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، وتوفى عام ٦١هـ.

راجع الإصابة ت ٩١٤٩ والأغانى طبعة الدار ٥: ١٢٢- ١٥٣.

والمسعودى ط باريس ٤: ٢٥٧- ٢٦٠، ٢٦٦- ٢٨٥.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ٦.

فلم يسترح كثيراً الوليد بن عقبة لوجوده بجواره، فكتب إلى عثمان: أن ابن مسعود يعيبك ويطعن عليك.

فكتب عثمان إلى الوليد يأمره بإشخاص ابن مسعود إلى المدينة. فاجتمع أهل الكوفة إلى ابن مسعود وأرادوا أن يمنعوه وقالوا له:

«أقم بيننا ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه..؟؟

فقال: إن له عليَّ حق الطاعة، ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن ثم خرج ابن مسعود من الكوفة، فلما قدم المدينة دخل المسجد، وعثمان يخطب على منبر رسول الله - ﷺ - فلما رآه عثمان قال:

«ألا إنه قد قدمت عليكم دُوَيْبة سوء».

فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكنى صاحب رسول الله- ﷺ - يوم بدر ويوم بيعة الرضوان.

وسمعت عائشة هذا القول من عثمان فنادت وهى فى حجرتها:

«أى عثمان: أتقول ذلك لصاحب رسول الله..؟؟»

ثم أمر عثمان بإخراج ابن مسعود فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً».

فقال على: يا عثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة..؟

فقال عثمان: ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجهت زبيد بن أبى الصلت الكندى إلى الكوفة فقال له ابن مسعود:

«إن دم عثمان حلال».

فقال على: أحلت على زبيد.. على غير ثقة.

وقام على وراء ابن مسعود حتى أتى به منزله.

وأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان فى الخروج منها إلى ناحية

من النواحى وأراد الغزو فلم يأذن له.

وقال له مروان بن الحكم: إن ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك أمر الشام..؟

فلم يبرح المدينة حتى توفى- رضوان الله عليه- قبل مقتل عثمان رضي الله عنه ولما مرض ابن مسعود- مرضه الذى مات فيه أتاه عثمان فقال: ما تشتكى..؟

قال ابن مسعود: ذنوبى.

قال عثمان: فما تشتهى؟

قال ابن مسعود رحمة ربى.

قال عثمان: ألا أدعو لك طبيباً..؟

قال ابن مسعود: الطبيب أمرضنى.

قال: أفلا آمر بعطائك..؟

قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه..؟

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم الله.

قال عثمان: استغفر لى يا أبا عبد الرحمن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لى منك بحقى.

وأوصى ابن مسعود أن يصلى عليه عمار بن ياسر، وألا يصلى عليه عثمان. فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم، فلما علم غضب وقال: سبقتمونى إليه.

قال عمار بن ياسر: إنه أوصى ألا تصلى عليه[1].

(١) أنساب الأشراف للبلاذرى جـ ٥ ص٣٦ وما بعدها.

إننا لا نميل كثيراً إلى تصديق ما فى هذه الروايات، ونقبل عليها بتحفظ شديد وننزه صحابة رسول الله- ﷺ - عن كثير من هذه الأشياء.

وحتى مع قبولنا لما فيها .. نجد أن هناك مجموعة من الناس كان يهمها كثيراً أن يصل الأمر إلى ما وصل إليه.

نقول: بأن ما كانوا يحيطون بعثمان - رضي الله عنه - كانوا يدسون عليه أشياء كثيرة.

من ذلك ما ذكره الوليد بن عقبة لعثمان، بأن ابن مسعود يعيبه ويطعن عليه وما ذكره زبيد بن الصلت بأن ابن مسعود قال: دم عثمان حلال..؟؟

ومحال أن يذكر ابن مسعود ذلك فى حق عثمان.

وهو يعلم قول الله تعالى:

﴿إِنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(١).

وقول الرسول ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله».

وابن مسعود من قبل هذا ومن بعده رجل معلم كما أخبر بذلك سيد الخلق رسول الله ﷺ.

والثالث: عبد الله بن أبى السرح:

كان من كتاب الوحى، ثم ارتد مشركاً، وعاد إلى مكة- قبل الفتح، واجتمع إلى قريش يحدثهم الكذب عن رسول الله ﷺ.

وفى عبد الله هذا أنزل قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ

(١) المائدة آية رقم ٣٢.

سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾(١).

فلما كان يوم الفتح أهدر الرسول دمه فقال: «من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن جنح إلى الكعبة وألقى السلاح فهو آمن، غير عدو الله ابن أبى السرح».

وقد شفع له عثمان عند رسول الله- وجاء به إليه، فأعرض عنه ثلاث مرات ثم قال لعثمان: «نعم».

فلما انصرف عثمان قال النبى لأصحابه، ما صمتٌّ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه.

فقالوا: هلا أومأت إلينا..؟

فقال: إن النبى لا ينبغى إن يكون له خائنة أعين.

ثم ولاه عثمان- رضي الله عنه - ولاية مصر.

فسار فيهم على غير ما يأمر به الكتاب والسنة.

فخرج من مصر جماعة واتجهوا نحو المدينة، يشكون ابن أبى السرح واستمع عثمان إلى شكايتهم.

وكتب إليه كتاباً يهدد فيه ويأمره أن يسير فيهم سيرة حسنة.

وعاد المصريون مرة أخرى إلى مصر يحملون خطاب عثمان، وتقدم به أحدهم إلى ابن أبى سرح. فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، ولم يكتف بذلك بل ضرب وأهان من أتاه بكتاب عثمان حتى قتل.

وتسامع الناس بما حدث من واليهم فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل وساروا إلى المدينة ونزلوا فى مسجد الرسول- ﷺ.

وشكوا إلى صحابة رسول الله ما صنع بهم ابن أبى سرح.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٩٣.

فقام طلحة وتناوله بكلام شديد.

وأرسلت عائشة- رضي الله عنها- إلى عثمان تقول له: قد تقدم إليك أصحاب رسول الله، وسألوك عزل هذا الرجل فأنصفهم من عاملك».

ودخل عليه على بن أبى طالب- رضي الله عنه - وكان متكلم القوم فقال له: «إنما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب لهم عليه حق فأنصفهم منه.

فقال عثمان- رضي الله عنه: «اختاروا لى رجلاً أوليه عليهم».

فقالوا: استعمل محمد بن أبى بكر.

فكتب عهده وولاه، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين ابن أبى سرح وأهل مصر.

فخرج محمد ومن معه، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير، يخبط البعير كأنه رجل يُطلب أو يُطلب.

فقال له أصحاب محمد: ما قصتك..؟ وما شأنك..؟ كأنك طالب أو هارب.

فقال: أنا غلام أمير المؤمنين، وجهنى إلى عامل مصر.

فقال: له رجل: هذا عامل مصر معنا.

قال: ليس هذا أريد.

فأخبر محمد بأمره فبعث فجاء به إليه.

فقال له: غلام من أنت..؟

فأقبل مرة يقول: أنا غلام مروان، ومرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين حتى عرفه رجل أنه لعثمان.

فقال له محمد إلى من أرسلك..؟

قال: إلى عامل مصر.

قال: بماذا ..؟ قال: برسالة قال أما معك كتاب..؟ قال: لا.

ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً.

وكانت معه إداوة قد يبست، فيها شيء يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج، فشقوا إداوته فإذا فيها، كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح فجمع محمد بن أبى بكر كل من كان معه من المهاجرين والأنصار، ثم فض الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: «إذا أتاك محمد بن أبى بكر، وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيى..؟؟

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا إلى المدينة، وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه إلى رجل منهم ثم قدموا المدينة.

فجمعوا طلحة والزبير، وعليّاً وسعدا، ومن كان معهم من أصحاب رسول الله، ثم فكوا الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وقام بعض المخلصين وقام أصحاب النبى فلحقوا بمنازلهم، وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه[1].

ونتساءل: من كتب هذا الخطاب إلى عامل مصر المعزول..؟

أيكون عثمان هو الذى فعل ذلك..؟؟

محال أن يفعل عثمان هذا.. ويكتب خطاباً إلى عامله فى مصر يطلب منه أن يقتل هؤلاء الرجال..؟؟

وعثمان رفض أن يقتل من أجله رجل واحد، أو أن يراق دم إنسان. فعل عثمان ذلك وهو محاصر وممنوع من الصلاة فى المسجد، ومحروم من الماء أن يصل إليه وقال كلمته المشهورة:

«ما أحب أن ألقى الله وفى عنقى قطرة دم لامرئ مسلم».

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص١٦٠– ١٧٠.

وإذا كان ذلك كذلك فهناك يد أخرى فعلت ذلك، وكتبت هذا الخطاب وكلفت الغلام حامل الخطاب أن يعترض ركب محمد بن أبى بكر ويتحكك بالناس وكأنه يريد أن يقول لهم: إن فى الأمر شيئاً وإنى أحمل سرّاً خطيراً، عليكم أن تكشفوه وتعرفوه، ألا يدل ذلك بفعلاته تلك على أنه موعز إليه بما فعل وأنه مطلوب منه أن يلعب تلك اللعبة، حتى يعرف أمره ويكشف السر الذى بين يديه(١)..؟؟

أيكون مروان بن الحكم: هو الذى فعل ذلك، وكتب تلك الرسالة..؟

لا نعجل بالحكم حتى نستمع إلى تلك الرواية التى يذكرها البلاذرى بعد أن اجتمع الثائرون بالمدينة وأحاطوا بها.

قال: أتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعنى آتى القوم الذين أجلبوا من مصر فانظر ماذا يريدون؟ فمضى نحوهم. فلما دنا منهم صاحوا به وراءك لا تتقدم فرجع.

ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال: ائت القوم، فادعهم إلى كتاب الله والعتبى مما ساءهم.

فلما دنا منهم سلم. فقالوا: ارجع فلست عندنا بأمين ولا مأمون.

فقال له ابن عمر- ﷺ -: ليس لهم إلا على بن أبى طالب.

فبعث عثمان إلى على، فلما أتاه قال له: يا أبا الحسن، ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه.

قال: نعم. إن أعطيتنى عهد الله وميثاقه على أنك تفى لهم ما أضمنه عنك.

قال: نعم.

فأخذ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظه، وخرج إلى القوم.

---

(١) على بن أبى طالب: الأستاذ عبد الكريم الخطيب.

فقالوا: وراءك.

قال: لا. بل أمامى. تعطون كتاب الله وتعتبون من كل شىء ما سخطتم، فعرض عليهم ما بذل.

فقالوا: أتضمن ذلك عنه..؟

قال: نعم.

قالوا: رضينا وأقبل أشرافهم ووجوههم مع علىّ- رضي الله عنه - حتى دخلوا على عثمان فأعتبهم من كل شىء.

فقالوا: اكتب كتاباً بهذا.

فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين. أن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه- يعطى المحروم، ويؤمن الخائف، ويرد المنفى، ولا يحجر فى البعوث ويوفر الفىء، وعلى بن أبى طالب ضمين المؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما فى الكتاب. وشهد على الكتاب: الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن مالك بن أبى وقاص، وعبد اللهِ بن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل بن حنيف وغيرهم وأخذ كل قوم كتاباً وانصرفوا».

ونسأل هل كان عثمان- رضي الله عنه - يعمل بغير ما فى كتاب الله وبما فى سنة رسوله..؟ حتى يجدد للقوم عهداً بذلك ويستأنف به ما انقطع من سيرة الخليفتين السابقين..؟

إننا لا نشك فى هذا الكتاب، وما نراه إلا إحدى الوثائق المزورة التى أريد بها إقامة الأدلة على انحراف عثمان وإدانته.

ثم يمضى البلاذرى فيقول:

«ثم خرج عثمان فخطب الخطبة التى قال فيها..

«أما بعد أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه».

«وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فليتب أو من أخطأ فليتب، ولا يتمادى فى الهلكة.. وأنا أول من أتعظ.. أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه.. إلخ.

يقال: فلما نزل عثمان وجد فى منزله مروان ونفراً من بنى أمية لم يكونوا قد شهدوا الخطبة. فلما جلس قال مروان:(١)

«يا أمير المؤمنين.. أتكلم أم أصمت..؟؟

فقالت: نائلة بنت القرافصة- امرأة عثمان- لا بل اصمت إنه قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها.

فأقبل عليها مروان فقال: ما أنت وذاك ونال منها.

ثم تكلم فقال: يا أمير المؤمنين بأبى أنت وأمى، والله لوددت أن فعالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين، وخلف السيل الزبى، وحين أعطى الخطة الذليل، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف منها.. إلخ.

ونقول: إن مروان وبطانته ساعدوا فى إشعال الفتنة ووصلوها إلى حد لا تقف عنده، ومع هذا كان هناك أيضاً مؤامرات خفية يراد بها النيل من الإسلام ووقوف جيوشه التى أوشكت أن تطبق على الأرض من كل جوانبها، ولهذا كانت الدعوة التى وجهت لقادة الجيوش والجنود فى ذلك الوقت.

«إنكم إنما خرجتم لتجاهدوا فى سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد،

(١) الكامل لابن الأثير ج٣: ص١٦٣.

فإن دين محمد أفسده من خلفكم وتركه، فهلموا فأقيموا دين محمد ﷺ(١).

إنها دعوة إلى الجنود بالتوقف عن الزحف إلى خارج البلاد ومطالبتهم إن رغبوا فى الجهاد فليكن بينهم.

يقتل بعضهم بعضاً ويسفك دماء بعض.

إنها دعوة للجنود الذين هم خارج البلاد والذين ساروا وقطعوا تلك الفيافى البعيدة بالعودة إلى داخل المدينة.

إنه القعود عن الجهاد.

وإذا كان ذلك كذلك فلمصلحة من يتم هذا..؟

من المستفيد الأول من بقاء الإسلام بين أهله وذويه، وهو الذى أرسل إلى الناس كافة...؟

من الذى يهمه ألا تنتشر هذه الدعوة وألا تصل إلى تلك الأصقاع البعيدة..؟

إنهم اليهود ولا شىء غيرهم..؟؟

وتاريخهم فى إفساد العقائد وتحريف الكتب السماوية معروف بنص القرآن وحربهم التى شنوها على أتباع المسيح لا تزال فى ذاكرة التاريخ لم تمح بعد وما فعله «بولس» الحاخام اليهودى فى تحريف الديانة المسيحية ودعوته إلى التثليث وإطلاقه على عيسى أنه ابن الله لا يجهله إنسان.

فماذا يريد اليهود من الإسلام..؟

إن أوثق المصادر التى بين أيدينا تقول:

«فى ذلك الحين، وفى ظروف مريبة وفد على المدينة من اليمن يهودى اسمه عبد الله بن سبأ- ولقبه ابن السوداء- حيث انتحل الإسلام، ثم انتحل الغيرة الشديدة على قيمه وحرماته.

---

(١) المصدر السابق جـ٣ ص ١٥٤ وما بعدها.

وفى المدينة ألقى سمعه المرهف لكل كلمة وكل نبأ.

سمع نقداً بريئاً يوجهه الصحاب لبعض الأخطاء فراح يتتبعه ليجمع من شتاته صحيفة اتهام.

حتى إذا جمع مادته وعرف طريقه، وأتم رسم خطته، شرع على الفور فى العمل والإنجاز. وأدرك ابن سبأ أنه لكى ينشر الاضطراب فى الدولة والأمة عليه أن يوجه مبادرته الأولى إلى الخليفة ذاته، وإلى شرعية منصبه كخليفة للمسلمين، ولكى يتيسر له ذلك لابد أن يرفع فى وجه الخليفة شخصية من الصحابة تضاهى الخليفة فى جلاله وأسبقيته.

هنالك بدأ ينفث نفاثته المسمومة بهذه العبارة:

«إن لكل نبى وصيّاً وأن عليّاً «وصى» الرسول ولقد وثب عثمان على أمد هذه الأمة وأخذ الحق من صاحبه.

وراح يزكى دعوته هذه بطائفة من الأحاديث التى كان الرسول عليه السلام قد اطرى بها «عليّاً» وزكاه من مثل قوله:

«من كنت مولاه فعلى مولاه»(١).

ومثل دعائه عليه السلام: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»(٢).

وعلى الرغم من أن الإمام عليّاً كرم الله وجهه لم يكد يسمع دعوة ابن سبأ حتى عنفه وسفهه وحذر المسلمين من خبث طويته وسوء تدبيره.

نقول: بالرغم من ذلك فإن ابن سبأ سظل سادراً فى خطته، وانطلق كالريح السموم يشعل نيران الفتنة فى أقطار الإسلام، فرحل إلى البصرة ثم الكوفة، ثم إلى الشام ثم إلى مصر التى استقر بها طويلاً.

---

(١) الحديث رواه أحمد والطبرانى إلا أنه قال قالوا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه: اللهم وال من والاه وعاد من عاده. ورجال أحمد ثقات. راجع مجمع الزوائد ٩: ١٠٤.

(٢) المصدر السابق.

وخلال رحلاته تلك اصطفى من المفتونين به أنصاراً وحواريين أطلقهم هم الآخرين ليشيعوا فتنة فى الآفاق، ورسم لهم منهجهم فى هذه الكلمات:

«تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس إليكم وابدأوا بالطعن فى أمرائكم، وقولوا للناس: إن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق، فإن علياً وصى الرسول ﷺ فانهضوا وردوا الحق إلى صاحبه»(١).

ومن عجب أن الفتنة الضارية التى تمادت حتى مقتل عثمان- رضي الله عنه - سارت وفق هذه الوصايا الثلاث.

فأولاً: لبس المحرضون عليها والمسهمون فيها مسوح الرهبان، ورفعوا شعار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وثانياً: راحوا يطعنون فى الأمراء والولاة ويجسمون أخطاءهم ويدحضون وجودهم.

وثالثاً: رفعت الفتنة رأسها لتواجه الخليفة مباشرة وتطالبه بضرورة التنحى والاعتزال.

ونجحت دعوة ابن سبأ.

وعمت الفتنة حتى وصلت إلى كل مكان وخرج من مصر مجموعة من الرجال يقدرون بستمائة رجل رأسهم عبد الرحمن بن عويس البلوى. وكنانة ابن بشر بن عتاب الكندى.

وخرج من الكوفة مائتان رأسهم مالك بن الأشتر النخعى.

وخرج من البصرة مائة رجل رأسهم حكيم بن جبلة.

والتقوا فى المدينة، وكانوا يداً واحدة فى الشر، وكانوا حثالة من الناس مفتونين وقاموا بحصار عثمان- رضي الله عنه - وحالوا بينه وبين الخروج، ومنعوا الماء عنه وأن يتصل أحد به.

---

(١) راجع البداية والنهاية جـ٧ ص٢٤.

يقول أبو هريرة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت يا أمير المؤمنين سلام أم حرب..؟

فقال: يا أبا هريرة. أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياى..؟

قلت: لا.

قال: فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً فرجعت ولم أقاتل.

ثم دخل عليه المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين.. إن هؤلاء قد اجتمعوا عليك فإن أحببت فالحق بمكة.

وإن أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية وأنصارك وإن أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم إلى الله تعالى..؟؟

«أما ما ذكرت من الخروج إلى مكة فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُلحد بمكة رجل من قريش، عليه نصف عذاب هذه الأمة من الإنس والجن، فلن أكون ذلك الرجل إن شاء الله.

فقال عثمان: وأما ما ذكرت من الخروج إلى الشام فإن المدينة دار هجرتى وجوار قبر النبى ﷺ فلا حاجة لى فى الخروج من دار هجرتى.

وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم إلى كتاب الله، فلن أكون أول من خالف رسول الله ﷺ فى أمته بإهراق الدماء..؟؟

ثم قال: إنى رأيت أبا بكر وعمر أتيانى الليلة فقالا لى: صم، فإنك مفطر عندنا الليلة، وإنى أصبحت صائماً.

وقال: عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال لى عثمان- وهو محصور فى الدار- ما ترى فيما أشار به علىَّ المغيرة..؟

قال: قلت ما أشار به عليك..؟

قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعى فإن خلعت تركونى، وإن لم أخلع

قتلونى..؟؟

قلت: أرأيت إن خلعت تترك مخلداً فى الدنيا..؟

قال: لا.

فقلت: أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك..؟

قال: لا.

قلت: فلا أرى أن تسن هذه السنة فى الإسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه. لا تخلع قميصاً قمصكه الله»(١).

واقتنع عثمان- رضي الله عنه - بما عرضه عليه عبد الله بن عمر- رضي الله عنه - ولم يستجب لما طلبه منه هؤلاء المتمردون فكان لابد من الاضطراب ومن إشعال نار الفتنة حتى بلغت ذروتها ثم ماذا..؟

قُتل الخليفة الأواب، وتحقق من بعده لجماعة المسلمين ما قاله لهم.

يا قوم: إنكم إن تقتلونى.

لا تصلوا جميعاً أبداً.

ولا تغزوا جميعاً أبداً.

ولا يقسم فيؤكم بينكم(٢).

فهل تحقق ما قاله الخليفة قبل قتله..؟

إن المتتبع لتاريخ المسلمين بعد تلك الفتنة التى لفتهم بليل طويل داج يرى مصداق ما قال: وحقيقة ما نطق به.

(١) طبقات ابن سعد جـ٣ ص٧٢.

(٢) المصدر السابق ٣: ٧١.

عبد الله بن عمرو بن العاص

قائم الليل وصائم الدهر، الراوية، صاحب الصحيفة الصادقة، الفقيه المحدث

رضى الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾.

(المائدة ٨٧: ٨٨)

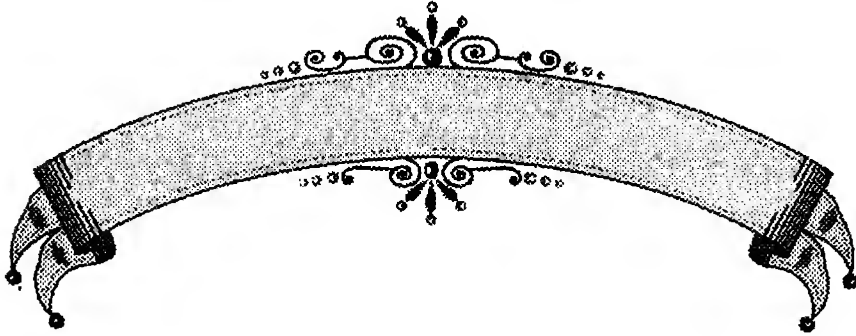
أقوال العلماء والمفسرين في نزول هذه الآية

قال صاحب أسباب نزول القرآن نزلت فى عبد الله بن عمرو ومعقل بن مقرن. ص٢٠٨.

وأخرجه ابن جرير ٧: ٧ عن قتادة

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور لابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه. وذكره فى لباب النقول ص١١٢.

فمن هو عبد الله بن عمرو بن العاص..؟ رضي الله عنهما



وصية الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لى رسول الله - ﷺ:

«ألم أخبر أنك تصوم النهار لا تفطر، وتصلى الليل لا تنام.

قلت: إنى أفعل ذلك يا رسول الله.

قال: فحسبك أن تصوم من كل جمعة يومين.

قلت: يا رسول الله إنى أجدنى أقوى من ذلك.

قال: فهل لك فى صيام داود عليه السلام فإنه أعدل الصيام تصوم يوماً وتفطر يوماً.

فقلت: يا رسول الله إنى أجد بى قوة هى أقوى من ذلك.

قال: إنك لعلك أن تبلغ بذلك سنّاً وتضعف».


عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
حياته ونشأته



عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

حياته ونشأته

قوى خاشع، وقارئ متواضع، وصاحب الصيام والقيام، كان بالحقائق قائلاً، وعن الأباطيل مائلاً.

محبّاً للعبادة والعمل.

بعيداً عن الخصام والجدل. يطعم الطعام، ويفشى السلام، ويقوم الليل راكعاً وساجداً والناس نيام.

والده عمرو بن العاص داهية العرب. بعقله الراجح وفكره المتقد. وحكيم المعارك، وسياسة الشعوب.

وفاتح مصر درة البلاد الإسلامية والتى وصفها القرآن الكريم على لسان نبى الله يوسف عليه السلام بأنها بلد الأمن والأمان عندما قال:

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾(١).

وكان شاعراً محلقاً وخطيباً مفوهاً ومن شعره قوله:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه

ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما

قضى وطراً منه وغادر سبة

إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما(٢)

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٩٩.

(٢) راجع البداية والنهاية ٧: ٢٥٢.

وأمه: ريطة بنت منبه بن الحجاج أسلمت عام الفتح وبايعت الرسول- ﷺ- وهاجرت إلى المدينة- وكانت زوجة فاضلة وأما حانية- ربت فأحسنت التربية، وكانت حكيمة صابرة، نأت بابنها عما كان منتشراً فى الجاهلية. من شرب الخمر، ولعب الميسر، وعبث الشباب.

وفى أحضان هذه الأم العاقلة النافذة البصيرة- نشأ عبد الله بن عمرو، نظيف الخلق، جياش الثنايا، محباً للخير، داعياً إلى الفضيلة، مزرياً للأصنام كثير التأمل والسياحة.

حتى جاء الإسلام وتسارع بعض الشباب إلى الدخول فيه. ثم كانوا بعد ذلك الكتيبة الثانية لفرسان النبوة، والدرع الواقى لحماية المستضعفين، من طغيان الشرك، وضلال أهله.

عبد الله بن عمرو
وصحيفته الصادقة

كان عبد الله بن عمرو- من الملازمين لمجلس الرسول- ﷺ - ليتفقه فى دينه، ويتعلم شرع ربه، ويتلقف من فم الرسول- ﷺ - آخر آيات الوحى المتتابع. لتكون له دستوراً فى يومه وغده ونبراساً يضىء له الطريق- ويبعده عن مزالقها- ويحول بينه وبين زخارف الدنيا وزينتها، ويجعله قريباً من ربه. ولكن ذاكرته كانت لا تستطيع أن تسترجع كل ما سمعته أذناه من الرسول- ﷺ.

فماذا يفعل.. وكيف يحافظ على كل ما يسمعه ولا يتفلت منه..؟

يقول عبد الله: استأذنت النبى - ﷺ - فى كتابة ما سمعته منه.

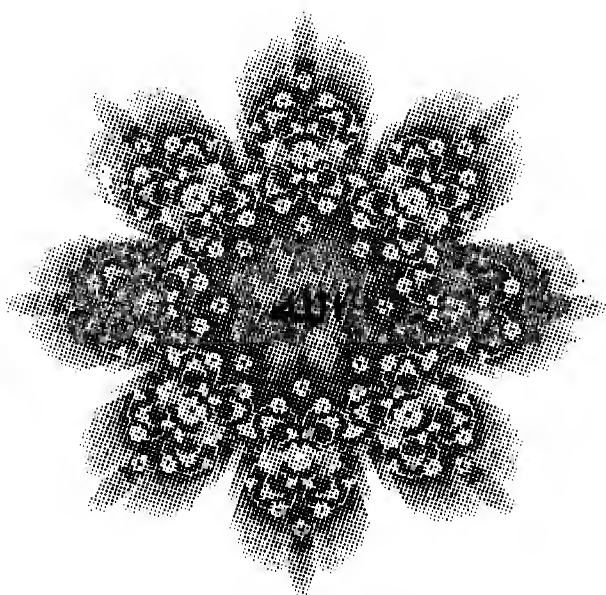
قال: فأذن لى فكتبته.

فكان يسمى صحيفته تلك: الصادقة.

يقول مجاهد: رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة فسألته عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله - ﷺ - ليس بيني وبينه فيها أحد[1].

من هنا قلَّتْ الرواية من أكابر أصحاب رسول الله- ﷺ. مثل أبى بكر، وعثمان، وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم. لم يأت عنهم من كثرة الحديث، مثل ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله- ﷺ.

مثل جابر بن عبد الله، وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس. وكل واحد من هؤلاء كان يعد من فقهاء أصحاب رسول الله- ﷺ -. وكانوا يلتزمون رسول الله- ﷺ - مع غيرهم من نظرائهم. فكان أكثر الرواية والعلم فى هؤلاء.



(١) راجع طبقات ابن سعد ٢: ٢٧٣.

عبد الله بن عمرو الصائم القائم..

لقد كان عبد الله بن عمرو قائماً الليل صائماً النهار، يذكر الله تعالى فى أوقاته منذ أن سمع من الرسول- ﷺ:

«لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى»(١).

ولكن الله سبحانه وتعالى: الذى استخلف عباده فى الأرض أمرهم بعمارتها والسعى فى مناكبها. وكثرة الصيام، والمتابعة على قيام الليل. تضعف العباد عن السعى وعمارة الأرض. ولذلك طلب الله تعالى من نبيه ومن جماعة المسلمين الرفق بأنفسهم. ويوازنوا بين العبادة والعمل قال الله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

يقول عبد الله بن عمرو: أُخبر رسول الله - ﷺ - أنى أقول لأصومن الدهر وأقوم الليل ما عشت..؟

فقال لى رسول الله - ﷺ - أنت الذى تقول لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت..؟

قلت: قد قلت ذلك يا رسول الله.؟!

فقال ﷺ:" إنك لا تستطيع ذلك فافطر وصم ونم وقم. وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر.

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات باب ٤ ما جاء فى فضل الذكر ٣٣٧٥ عن عبد الله بن بشر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ فأخبرنى بشىء استمسك به. قال ﷺ- وذكره. وأخرجه ابن ماجه فى الذكر.

(٢) سورة المزمل آية رقم ٢٠.

قال: قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك.

فقال: لا أفضل من ذلك.

قال عبدالله بن عمرو لما أسنَّ ليتنى كنت أخذت برخصة رسول الله ﷺ.

وعنه أيضاً قال: قال لى رسول الله - ﷺ - يا عبد الله بن عمرو فى كم تقرأ القرآن..؟

قال: قلت: فى يوم وليلة.

قال: فقال لى: ارقد وصل، وارقد واقرأه فى كل شهر. فمازلت أناقضه ويناقضنى حتى قال: اقرأه فى سبع ليالٍ. ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقّاً، ولجسدك عليك حقّاً».

وفى رواية: يا عبد الله بن عمرو: إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل. وإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونهكت «أى غارت ودخلت فى موضعها فلا ترى) لا صام من صام الأبد»[1].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله- ﷺ -:

«إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[2].

وقد قال الله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[3].

وهنا يتجلى لطف الله بعباده، وعلمه بمدى طاقتهم فى تقواه وطاعته، وقد قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[4].

فالطاعة فى الأمر ليس لها حدود، ومن ثم يقبل فيها ما يستطاع، أما النهى فلا تجزئة فيه فيطلب بكامله دون نقصان.

---

(١) الحديث رواه الإمام البخارى والإمام مسلم فى كتاب الصيام ١٨٢ بسنده عن عكرمة عن عبد الله بن عمرو. قال: وذكره.

(٢) رواه الإمام البخارى والإمام مسلم فى صحيحيهما.

(٣) سورة التغابن آية رقم ١٦.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

عبد الله بن عمرو مع وفد العراق..

عن سليمان بن الربيع قال: انطلقت فى رهط من نساك أهل البصرة إلى مكة فقلنا لو نظرنا رجلاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - فتحدثنا إليه، فدللنا على عبد الله بن عمرو بن العاص- فأتينا منزله فإذا قريب من ثلاثمائة راحلة فيه..؟؟

قال: فقلنا: على كل هؤلاء حج عبد الله بن عمرو..؟

قالوا: نعم هو ومواليه وأحباؤه.

قال: فانطلقنا إلى البيت فإذا نحن برجل أبيض الرأس واللحية بين بردين قطريين عليه عمامة ليس عليه قميص.

قال: فقلنا: أنت عبد الله بن عمرو..؟ وأنت صاحب رسول الله- ﷺ . ورجل من قريش، وقد قرأت الكتاب الأول، وليس أحد نأخذ عنه أحب إلينا، أو قال: أعجب إلينا منك، فحدثنا بحديث لعل الله أن ينفعنا به.

فقال لنا: ممن أنتم..؟

فقلنا: من أهل العراق.

فقال: إن من أهل العراق قوماً يكذبون ويكذبون ويسخرون.

قال: قلنا: ما كنا لنكذبك ولا نكذب عليك، ولا نسخر منك، حدثنا بحديث لعل الله أن ينفعنا به، فحدثهم بحديث.

عبد الله بن عمرو فى معركة صفين..

اشتعل أوار الفتنة- وخرجت جيوش المسلمين من المدينة، ومن العراق، ومن الشام كل منها يحمل الدمار والخراب وإراقة دماء المسلمين. وتلاقت جميعاً فى معركة صفين.

وقد تجمعت فى هذه الجيوش مجموعة كبيرة من صحابة رسول الله ﷺ منهم الإمام على بن أبى طالب. ومعاوية بن أبى سفيان، وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمرو، وعمرو بن العاص وغيرهم الكثير.

ويصور لنا عبد الرحمن السلمى- رضي الله عنه - جزءاً مما حدث فى تلك الموقعة قائلاً: كنا مع على بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل. فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه إليهم وقال:

«لولا أنه انثنى ما رجعت.

قال: ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله- ﷺ -

ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة- وهو صاحب راية على فقال:

«يا هاشم تقدم: الجنة تحت ظلال السيوف، والموت فى أطراف الأسنة وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين.

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

ثم حمل هو وهشام فقتلا رحمهما الله تعالى.

قال: فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى عسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا..؟

وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم- فركبت فرسى،

وقد هدأت الرجل، ثم دخلت عسكرهم. فإذا أنا بأربعة يتسامرون: معاوية وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله بن عمرو- وهو خير الأربعة.

قال: فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول بعضهم لبعض.

فقال عبد الله بن عمرو لأبيه: يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله - ﷺ - ما قال.

قال عمرو: وما قال..؟

قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وعمار يتقل حجرين حجرين، ولبنتين لبنتين- فأتاه رسول الله - ﷺ - فجعل يمسح على ظهره ويقول يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين- رغبة منك في الأجر. ومع ذلك: ويحك تقتلك الفئة الباغية.

قال فرجع عمرو وصدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال:

«يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله؟

قال: وما يقول؟

قال: يقول: وأخبره الخبر.

فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث تدحض في بولك؟؟ أو نحن قتلنا عماراً؟ إنما قتل عماراً من جاء به..؟

قال: فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به.

وعن مسعود بن خويلد قال: بينما هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار، فقال لهما عبد الله بن عمرو:

«ليطب كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار، فإني سمعت

رسول الله - ﷺ - يقول: تقتله الفئة الباغية.

فقال معاوية لعمرو: «ألا تنهى عنا مجنونك هذا..؟

ثم أقبل معاوية على عبد الله بن عمرو فقال له: فلم تقاتل معنا؟

فقال له: إن رسول الله- ﷺ - أمرنى بطاعة والدى ما كان حيّاً وأنا معكم ولست أقاتل».

ولذلك كان يقول: مالى ولصفين، مالى ولقتال المسلمين، لوددت أنى مت قبله بعشر سنوات، أما والله على ذلك شهيد ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، وما رجل أجهد منى من رجل لم يفعل شيئاً من ذلك.

عبد الله بن عمرو والتطير..

عن عبد الله السلمانى قال:

«التقى كعب الأحبار، وعبد الله بن عمرو فقال كعب: أتطير..؟

قال: نعم.

قال: فما تقول..؟

قال أقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك ولا حول ولا قوة إلا بك.

فقال كعب: أنت أفقه العرب، إنها مكتوبة فى التوراة كما قلت..

عبد الله بن عمرو وقسمة غنائم حنين

عن مقسم أبى القاسم: مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل. قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثى، حتى أتينا عبد الله بن الحارث بن العاص. وهو يطوف بالبيت، معلقاً نعله بيده فقلنا له: هل حضرت رسول الله- ﷺ - حين كلمه التميمى يوم حنين..؟

قال: نعم. جاء رجل من بنى تميم، يقال له ذو الخويصرة(١)، فوقف عليه وهو يعطى الناس.

فقال: يا محمد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم..

فقال رسول الله- ﷺ - أجل: فكيف رأيت..؟

فقال: لم أرك عدلت..؟؟

قال: فغضب النبى - ﷺ - ثم قال ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟

فقال: عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله...؟

فقال: لا . دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية..؟؟

ومن هؤلاء: الخوارج الذين خرجوا على الإمام على- رضي الله عنه - عندما قبل التحكيم فى معركة صفين.

واستمر هؤلاء يثيرون القلاقل، ويشعلون المعارك، حتى كانت خلافة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز. فأقام بينهم حواراً، ونهاهم عن الفرقة

---

(١) هو حرقوص بن زهير ذكره الطبرى ـ كانت له صحبة من رسول الله ﷺ كان قائد المسلمين فى حربهم الهرمزان فانهزم الهرمزان وفتح حرقوص سوق الأهواز فنزل بها، وله أثر كبير فى قتال الهرمزان وبقى حرقوص الى أيام الإمام على رضي الله عنه وشهد معه معركة صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على الإمام على قتل سنه ٣٧هـ.

راجع أسد الغابه جـ١ ص٤٧٤ ـ ٤٧٥.

وشق عصا الطاعة، فاستجابوا لما دعاهم له، وتفرقت بهم السبل. وذهب كل فريق منهم إلى مصر من الأمصار.

وهؤلاء الذين قال فيهم الإمام على- عندما سأله أحد الرجال: هؤلاء الخوارج أكفار هم؟ فقال- رضي الله عنه - هم من الكفر فروا.

قال: فماذا إذن هم. قال: إخواننا بغوا علينا.

مجلس عبد الله بن عمرو بن العاص

تعددت مجالس الصحابى الجليل عمرو بن العاص- رضي الله عنه - فهو مرة فى مسجد الرسول- ﷺ - بالمدينة، ومرة على مشارف أرض الشام فى جامعها الكبير، وثالثة فى الحرم المكى - حيث يجتمع عمار بيت الله الحرام ممن يؤدون فريضة الحج. أو يرغبون فى أداء العمرة.

وكانت هذه المجالس تعقد فى هذه الأماكن بعد العشاء الآخرة، لما كان يتمتع به- رضوان الله عليه- من قدرة عجيبة على قيام الليل والتبتل إلى الله تعالى. وفى أحد هذه المجالس فى الجامع الكبير فى دمشق تحلق حوله: أتباع محمد - ﷺ - ممن يريدون التفقه فى الدين- والاستزادة من هدى النبى الكريم- صلوات الله وسلامه عليه:

وكان حاضراً لهذا المجلس- كعب الأحبار فسأل عبد الله بن عمرو قائلاً أتطير أنت يا عبد الله.

قال: نعم.

قال: فما تقول..؟

قال: أقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك ولا حول ولا قوة إلا بك».

عندها تقدم رجل وقال يا عبد الله بن عمرو جئتك من آخر مشارف

مسرى الأنبياء عندما علمت بوجودك، واستمعت لما قلته بشأن التطير، فهل من حديث للرسول- ﷺ - بشأن التطير..؟

قال: عبد الله بن عمرو: كنا فى مجلس الرسول- ﷺ - وذكرت الطيرة فقال عليه السلام:

«خيرها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

قال رجل يا عبدالله بن عمرو هل كانت الجاهلية الأولى: يعرفون التطير؟

قال عبد الله: أصل التطير نشأ فى الجاهلية. وهم كانوا يعتمدون على الطير فى ظعنهم وإقامتهم، فى حلهم وترحالهم. فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر.

وإن رآه طار يسراً تشاءم به ورجع..؟؟

وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهى عن ذلك وكانوا يسمونه السانح والبارح.

يقول عبدا لله: وليس فى شىء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضى اعتقاده وإنما هو تكلف بتعاطى ما لا أصل له. إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه.

وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله.

قال رجل يا عبد الله بن عمرو: إننا نتطير، ونتشاءم، ونظن الظن، ونخشى الحسد، فماذا نفعل..؟

قال عبد الله: قال الرسول- ﷺ -:

«ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الطيرة، والظن، والحسد. فإن تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق.

قال عبد الله- لا ترجع كما أمر بذلك الرسول- ﷺ - وتتجه إلى الواجهة التى تريدها وتقول:

«اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وإذا حسدت فلا تبغ: لأن الحسد شر مذموم: والمؤمن يغبط والمنافق يحسد. وإذا ظننت فلا تحقق.

لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾(١).

والتحقق يكون عن طريق التجسس وهو مذموم. يقول عبد الله: لقد سمعت الرسول- ﷺ - يقول فوق منبره:

«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا(٢) ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

والحسد نوعان: مذموم ومحمود.

فالمذموم: أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم- وهذا النوع هو الذى ذمه الله تعالى فى كتابه بقوله:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(٣).

وأما المحمود، فهو ما جاء به الشرع وسمعته من الرسول- ﷺ - «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار»(٤).

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٢.

(٢) ويقول الرسول ﷺ: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم وقال الرسول ﷺ «إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم»

راجع تفسير القرطبى جـ ٨ ص ٣٣٣.

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٤.

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٧٥٢٧ بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله- ﷺ - وذكره.

يقول عبد الله بن عمرو- ﷺ - وهذا الحسد معناه الغبطة، وقد يسمى منافسة ومنه قوله تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(١).

عندها أحس عبد الله بن عمرو أن منتصف الليل قد اقترب- وفيه يكون التهجد والعبادة وذكر الله- فحمد الله تعالى وأثنى عليه- وصلى وسلم على رسوله ثم قال: انصرفوا بارك الله فيكم وإلى الغد إن شاء الله.

عبد الله وأبوه عمرو وهو على فراش الموت

عن عوانة بن الحكم قال: كان عمرو بن العاص يقول- وهو صحيح معافى: عجباً لمن نزل به الموت- وعقله معه كيف لا يصفه..؟؟

فلما نزل به الموت قال له ابنه عبد الله: يا أبت إنك كنت تقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه.. فصف لنا الموت وعقلك معك..؟

فقال: يا بنى الموت أجل من أن يوصف، ولكنى سأصف لك منه شيئاً أجدنى كأن على عنقى جبال رضوى، وأجدنى كأن فى جوفى شوك السلاء وأجدنى كأن نفسى يخرج من ثقب إبرة..؟؟

وصدق ربى فى قوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٢).

الموت يا بنى: أشد من ضروب السيوف، ونشر المناشير وقرض المقارض. ثم فاضت روحه إلى بارئها- رحمه الله رحمة واسعة.

(١) سورة المطففين آية رقم ٢٦.

(٢) سورة ق الآيات من ١٧- ١٩.

وفاة عبد اللّه بن عمرو

إذا كان لكل أجل كتاب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(١) .

وكل نفس ذائقة الموت لا محالة . لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾(٢) .

فلقد جاءت سكرة الموت للصحابى الجليل عبد الله بن عمرو- وهو على أرض الشام مرابط على ثغر من ثغور المسلمين- وله من العمر: اثنتان وسبعون سنة رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان صواماً قواماً متبتلاً فى محراب ربه مهاجراً إلى مولاه.

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥.

(٢) سورة الجمعة آية رقم ٨.


تذييل
الهجرة إلى الله تعالى

ثم ماذا يا أمة الإسلام..؟
الهجرة إلى الله تعالى

هل يمكن أن نهاجر إلى الله..؟

وهل فى مقدور الفرد أن يفر إلى ربه..؟

وهل هناك من وسيلة..؟

وما الطريق إلى الله..؟

وما الأسباب التى تجعل الفرد قريباً من خالق الأرض والسماء..؟

أيمكن أن نتخلص من أثقال البشرية ونهاجر إليه..؟

أهناك مطية تنقلنا إلى هناك..؟

أم أن وسيلة الوصول صعبة المنال متشعبة المسالك..؟

أنلجأ إلى العقل فى أبحاثه واستنتاجاته..؟

أم أن العقل طريق غير مأمون ومتشعب المناحى..؟

وإذا كان ذلك كذلك.. أنلجأ إلى الروح فى إشراقه وشفافياته..؟

وأين هو..؟ وما طرقه..؟ وكيف ينقلنا إلى هناك..؟

أيكفى أن تكون لدينا الرغبة حتى نصل..؟

أم أن هناك طريقاً آخر غير العقل والروح..؟

أنهاجر إلى القرآن الكريم فى رحلة عميقة متأنية نستلهم معانيه ونتعرف على أحكامه، ونُخضع كل شئوننا لأوامره..؟

وهل يوجد من سبقنا إلى هذه الرحلة..؟

إذا كان ذلك هو طريق معبد معروف.

ويكفى أن تمتطى «صاروخك» أو تعتلى متن طائرتك حتى تصل.

أم أن هذه أوهام العقل القاصر، والتفكير العجل..؟

وإذا لم يكن العقل طريقنا للوصول إلى الله.

وإذا لم تكن الروح مطية الوصول أيضاً فماذا إذن..؟

إن القرآن الكريم يحدثنا عن رحلة للرسول ﷺ وعن قربه القريب من ربه، يحدثنا عن انغماره فى النور، يحدثنا عن مكان يضيق عنه النطق أو الكلام.

يقول الله تعالى: عن رسوله الكريم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(١).

ويحدثنا القرآن الكريم عن الذاهبين إلى ربهم.

يحدثنا عن الفارين إليه.

وعن الرحلة التى يقطعها الرجال فى مسيرتهم إليه، فيقول عن لسانهم وحالهم:

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٢).

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾(٣).

﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾(٤).

ونقول: إذا كانت هناك هجرة إلى الله.

وإذا كان هناك فرار إليه.

فما نوع هذه الهجرة..؟

(١) سورة النجم آية رقم : ١٧- ١٨.
(٢) سورة الصافات آية رقم: ٩٩.
(٣) سورة الذاريات آية رقم: ٥٠.
(٤) سورة العنكبوت آية رقم: ٢٦.

أتكون بالأبدان والتنقل بين الأوطان..؟

إذا كانت حقيقة الهجرة، على هذه الصورة فما أكثر المهاجرين وما أضخم الضاربين فى فجاج الأرض السائحين بين دروبها.

أم أن الهجرة التى يشير إليها القرآن الكريم هى من نوع جديد لم تألفه البشرية، ولم تعرفه فى تاريخها الطويل إلا عن طريق الواحد بعد الواحد ممن يختارهم الله..؟

إما عن طريق المجاهدة والعبادة الخالصة، والعمل المتواصل وتصفية الأنفس من أدرانها، والقلب من وساوسه.

وإما عن طريق الاجتباء المحض مصداقاً لقوله تعالى:

﴿يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(١).

إن كل ما تعنيه الآيات الكريمة من الهجرة، هى الهجرة من الخلق إلى الخالق.

من ظلام البصر إلى نور البصيرة.

الهجرة من الكون إلى خالق الكون.

من الآثار إلى موجد الآثار.

من ترابية الأرض، إلى شفافية السماء.

من ضيق الدنيا إلى سعتها.

ومن قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان.

ونتساءل مامطية الوصول إلى هناك..؟

وما المركبة التى تقطع بنا هذه الرحلة..؟

أهناك طريق واضح نسرع السير فيه حتى نصل..؟

إن القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾(٢).

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣.

(٢) سورة النجم آية رقم ٤٢.

صدق ربى فى قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.

ولكن كيف..؟

وبم..؟

إن الإمام القشيرى يقول: سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول:

«إن نبينا محمدا- ﷺ - أتى للأمة بالمعراج على التحقيق.

فإن الصلاة بمنزلة المعراج.

وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ثلاثة منازل:

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.

ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى.

فكذلك الصلاة- التى فرضها الله على عباده المسلمين- ثلاثة منازل:

القيام، ثم الركوع، ثم السجود.

السجود وهو نهاية القرب، قال الله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(١). أى اقترب من الله بسجودك.

ورسول الله ﷺ يقول عن السجود: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما - قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبى بكر فقال:

«أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»(٢).

---

(١) سورة العلق آية رقم ١٩.

(٢) رواه مسلم رقم ٤٧٩ فى الصلاة باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود وأبو داود رقم ٨٧٦ فى الصلاة: باب الدعاء فى الركوع والسجود. والنسائى ٢/ ١٨٩ فى الافتتاح.

.. ويروى الإمام مسلم- رضي الله عنه - فى صحيحه عن أبى فراس ربيعة بن كعب الأسلمى- خادم رسول الله- ﷺ - ومن أهل الصفة رضي الله عنه، قال:

«كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوَضوئه وحاجته فقال: سلنى.

فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة.

قال: أو غير ذلك..؟

قلت: هو ذاك.

قال: أعنى على نفسك بكثرة السجود[1].

فالسجود إذن من الوسائل التى توصل إلى الجنة، والجنة: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2].

ولقيمة السجود الكبيرة عبر عن الصلاة أحياناً بالسجود، فصلاة الضحى يسمونها «سجود الضحى».

ومن صفات عباد الرحمن التى يزكيهم ربهم بها .

من صفات عباد الرحمن المقربين إلى مولاهم.

من صفات عباد الرحمن الذين ينسبهم الله إليه.

أنهم يكثرون السجود ويكثرون القيام.

إنهم فى صلاة دائمة مع ربهم.. ولا يتخلون عن ذلك أبداً ولا يطيقون ذلك. قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[3].

(١) رواه مسلم رقم ٢٢٦ باب فضل السجود والحث عليه.

(٢) سورة القمر آية رقم ٥٥.

(٣) سورة الفرقان آية رقم: ٦٣، ٦٤.

وإذا كان ذلك كذلك. أتكون الصلاة طريقاً للقرب من الله؟

أتكون هى المطية التى يمتطيها العبد فيصل إلى ربه..؟

وإذا صح هذا الذى نقوله فما هى الصلاة..؟

أى صلة بين العبد وربه..؟

أهى نظام فى اليوم والليلة للفرد المسلم والجماعة المسلمة..؟

أهى ضراعة ودعاء ورفع الأكف إلى السماء..؟

أهى رحمة مهداة من الله إلى العباد..؟

أهى أسلوب للحياة، واتباع لنمط معين من أنماط التكاليف ليتعود المجتمع الإسلامى السمع والطاعة، والنظام والنظافة..؟

أهى مؤتمر للأسرة الصغيرة خمس مرات فى اليوم..؟

ومؤتمر للأسرة الكبيرة مرة واحدة فى الأسبوع..؟

ومؤتمر عام للمجتمع المسلم مرتين فى كل عام..؟

الحقيقة أن الصلاة هى مجموع ذلك كله الذى سبق أن ذكرناه.

فالصلاة: هى الصلة بين العبد وربه، والرابطة التى تربط الأرض بالسماء ومعراج المؤمنين إلى ربهم، والمطية السريعة التى تنقلنا إلى رحاب الله سبحانه وتعالى:

عندها يزول البعد، وتنمحى المسافات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(١). اقترب من منبع النور ما دمت فى محراب الصلاة.

والصلاة رحمة مهداة من الله إلى عباده ومن الملائكة الأبرار إلى العباد المخلصين.

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

---

(١) سورة العلق آية رقم ١٩.

النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾(١) .

فوصف نفسه بأنه يصلى، والصلاة هنا بمعنى الرحمة، رحمة لأنها تخرج المؤمنين من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، ومن العماية إلى الهدى، ومن الطرق المتشعبة إلى الطريق الواحد المستقيم.

ومن شقاء الانحراف إلى سعادة الاستقامة.

وصلاة الملائكة رحمة واستغفار.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٢) .

وصلاة الرسول لأمته رحمة ودعاء.

قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾(٣) .

ووصف الله سبحانه وتعالى- نفسه وملائكته بأنه يصلى على محمد ﷺ وطلب من عباده الدعاء والصلاة له. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٤).

ويوضح ما نشير إليه ما يقوله المسلم عند كل صلاة:

«اللهم أعط محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى ارتضيته» وإذا كانت الصلاة بهذا المعنى، صلة بين العبد وربه، ورحمة للمؤمنين ودعاء وسكينة.

فقد تأتى بمعنى التسبيح، تسبيح المخلوقات لربها، وتسبيح الكائنات لموجدها .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(٥) .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم: ٧.

(٢) سورة غافر آية رقم ٧.

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦.

(٥) سورة النور آية رقم ٤١.

والتسبيح فى لغة العرب: الصلاة...

قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- فى التنفل فى السفر، لو كنت مسبحاً أتممت، ويعنى بذلك أنه لو صلى النافلة فى السفر لأتم الفريضة.

وإذا كانت أوامر الإسلام ونواهيه، وجزئياته وكلياته، نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام، على قلب رسولنا الكريم- محمد ﷺ- لتكون هذه الكليات والجزئيات إنذاراً وبشرى إلى الأمة الإسلامية بخاصة، والإنسانية بأسرها بعامة فإن الصلاة لم تأت عن طريق جبريل عليه السلام.

ولم تأت عن طريق الوحى المعتاد.

ولم تأت عن طريق اتصال السماء بالأرض.

ولكنها فرضت فى منبع النور، وفى جوار الحق ، هناك بالأفق الأعلى.

قال تعالى:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(١).

والصلاة فترة مناجاة بين العبد وربه.

والصلاة فترة انقطاع كامل- ويجب أن يكون كاملاً- عن عالم المادة، عالم الشهوات، عالم الفتنة، عالم الدنيا الذى وصفه الله تعالى بقوله:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)، نقول فترة انقطاع لتخلص النفس إلى المنعم الوهاب فتتعم بسعادة الصلة به والقرب منه.

نقول أنها فترة مناجاة.

(١) سورة النجم آية رقم : ١٧- ١٨.

(٢) سورة يونس آية رقم ٢٤.

لأن رسول البشرية محمداً ﷺ عندما عرج به إلى السماء ناجى ربه وهو بالأفق الأعلى، ناجاه بكلمات، وتلقاه ربه بتحيات أصبحت بعدها من الصلاة.

لقد قال الرسول ﷺ وهو قريب من ربه: «التحيات لله والصلوات والطيبات».

وحياه ربه : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ورد الرسول عليه السلام- ومعه ملائكة أبرار، ومرسلون أخيار- تحية ربهم:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وكأن الوجود بأسره، والعالم بأجمعه قد تحول إلى جوقة فى رحاب محكمة الخالق المبدع لتشهد وتؤكد وتقرر وتعترف بقولها :

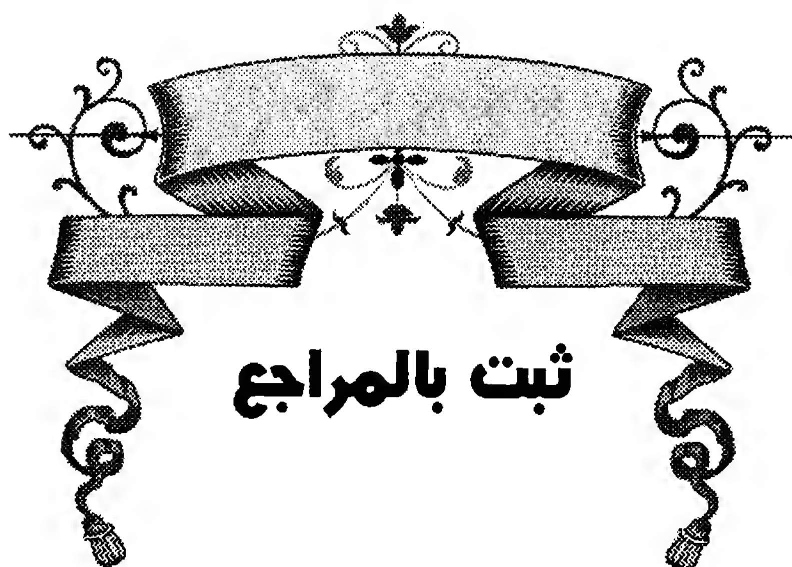
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ثم ماذا ..؟

ثم فرضت الصلاة على أمة محمد ﷺ فرضت فى منبع النور، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى.

فرضت فى ليلة مباركة. ليلة الإسراء والمعراج.



ثبت بالمراجع

ثَبْتٌ بالمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقى دار الشعب- مصر.

٣- أسباب نزول القرآن للواحدى: تحقيق الأستاذ أحمد صقر.

٤- تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير. دار الأندلس- بيروت.

٥- تفسير الطبرى: لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى- دار المعارف- مصر

٦- الجامع لأحكام القرآن: لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.- مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م

٧- الدر المنثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطى- المكتب الإسلامى - طهران

٨- فى ظلال القرآن: سيد قطب.- دار إحياء التراث العربى: بيروت ١٣٨٦هـ.

٩- تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى.

١٠- أسباب نزول القرآن: لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى.

١١- فتح البارى بشرح البخارى: للحافظ أبى الفضل العسقلانى: المعروف بابن حجر.

١٢-صحيح الإمام مسلم، بشرح النووى - المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م
١٣- مسند الإمام أحمد: شرح أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م
١٤- صحيح الترمذى، بشرح ابن العربى:
المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ- ١٩٣١م
١٥- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى: أ. ى. ونسنك.
تعريب محمد فؤاد عبد الباقى- مطبعة بريل فى مدينة لندن ١٩٦٢م
١٦- الجامع الصغير: للإمام السيوطى. مطبعة البابى الحلبى- القاهرة.
١٧- كشف الخفا ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلونى.
مكتبة التراث الإسلامى- حلب.
١٨- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى- دار صادر- بيروت
١٩- الكامل فى التاريخ: لابن الأثير- دار صادر- بيروت ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م
٢٠- تارخ الرسل والملوك: لأبى جعفر محمد الطبرى- دار القلم الحديث- بيروت.
٢١- البداية والنهاية- الحافظ ابن كثير.
مكتبة بيروت- ومكتبة النصر- الرياض.
٢٣- الطبقات الكبرى: ابن سعد- صيدا- دار بيروت ١٣٧٧.
٢٣- سيرة النبى لابن هشام: تحقيق محيى الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية- القاهرة.
٢٤- الروض الأنف: عبد الرحمن السهيلى.. دار الكتب الحديثة- القاهرة
٢٥- مروج الذهب: للمسعودى- دار الأندلس- بيروت- مكتبة نهضة مصر

٢٦- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: لابن عبد البر- دار الأندلس- بيروت- مكتبة نهضة مصر.
٢٧- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر: على الطنطاوى وناجى الطنطاوى. دار الفكر بيروت- الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م.
٢٨- رجال حول الرسول: خالد محمد خالد- دار الكتاب العربى- بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
٢٩- العبقريات: لعباس محمود العقاد.
٣٠- على بن أبى طالب- بقية النبوة- وخاتم الخلافة: للأستاذ عبد الكريم الخطيب- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٣١- هذا هو الطريق: د. عبد الرحمن عميره- دار التراث مصر- ١٩٧٣.
٣٢- مع الإلحاد وجهاً لوجه: د. عبد الرحمن عميره- دار الحلبى القاهرة.
٣٣- أشهر مشاهير الإسلام: رفيق العظم.
٣٤- الأعلام: للزركلى.
٣٥- الأغانى: للأصفهانى.
٣٦- تاريخ الخلفاء: للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى. مصر- ١٣٠٥.
٣٧- تفسير الخازن والبغوى: المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل والبغوى المسمى معالم التنزيل- دار الفكر- بيروت- لبنان.
٣٨- تلبيس إبليس: لابن الجوزى- مصر- ١٣٤٧هـ.
٣٩- الرياض النضرة فى مناقب العشرة: للمحب الطبرى.. مصر.
٤٠- سنن الترمذى: حققه وصححه عبد الرحمن عثمان. الناشر محمد عبد المحسن الكتبى- صاحب المكتبة السلفية: المدينة المنورة

٤١- سنن الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى «ابن ماجه»
حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقى- ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م- دار إحياء التراث العربى.

٤٢- تراث الإنسانية: مجموعة من العلماء - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.

فهرس المحتويات